

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي هذه النسخة إلى
مكتبة الجامعة الإسلامية بقرية
مع عظيم احتزازي وتقدير

جله الطاهر

١٤٠٢/٥/١٠



بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي هذه النسخة إلى
مكتبة الجامعة الإسلامية بقرية
مع عظيم احتزازي وتقدير

جله الطاهر

١٤٠٢/٥/١٠



جامعة الفاتح

كلية التربية

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

الزمخشري

آثاره ومنهجه النحوي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

من الطالب

عبد الحميد طاسم الفجار

إشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الجواد محمد الطيب

١٩٨٢م

المكتبة
قسم الرسائل العلمية

١٧

١٠٩٥، ٤١٥/٤٨

١٧/٧/٥٧

١- لغة عربية - نحو - ترقيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :
فقد أفاقت الأمة الإسلامية من سباتها العميق ، فرأت نفسها تتعثر
في خطواتها ، وما تزال آثار تلك السّنة تثقل لمجفانها ، وغسق الليل
يحف بها ، فأخذت تفكر طويلا ، فإذا بها تلحج آثار ماضيها البعيد
باشراقه المستنير ، وكأنه رؤيا ضام .

لقد وجدت نفسها في مؤخرة الركب تتقدمها حضارات متقدمة
مزدهرة ، فجعلت تتحفز للحاق بذلك الركب ، وعلمت أن بداية الطريق
هو البعث الجديد ، فكان لزاما عليها أن تدرس ذلك العايش دراسة
واضحة لكل ما يمت الى ذلك العهد بصلة : من علم ، وثقافة وأدب ،
ودراسة رجاله وابطاله ، من مفكرين ، وساسة ، وحكام ، وقادة ، وعلماء برزوا
في العلوم الدينية واللسانية .

ولا يخفى أن ذلك البناء الضخم أقامه فكر إسلامي عظيم جمع في
حنايه العديد من العظماء ، والمفكرين ، منهم العريس الخالص ، ومنهم
المستعرب الذي خدم هذا الفكر الإسلامي العريس في جدارة وإخلاص لا
يقل عن العرب الخُلص ، بل لقد أصبح هو الآخر عربيا في لسانه ودينه
يدافع عن حيانه هذه اللغة ، وهذا الدين ما وسعه ذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة ، لسانا وتأليفا ،
وأخلص نفسه لهذا الدين شريعة وعقيدة ، فلهم الفضل في ذلك الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :
فقد أفاقت الأمة الإسلامية من سباتها العميق ، فرأت نفسها تتعثر
في خطواتها ، وما تزال آثار تلك السنة تثقل لمجفانها ، وغسق الليل
يحف بها ، فأخذت تفكر طويلا ، فإذا بها تلحج آثار ماضيها البعيد
باشراقه المستنير ، وكأنه رؤيا منام .

لقد وجدت نفسها في مؤخرة الركب تتقدمها حضارات متقدمة ،
مزدهرة ، فجعلت تتحفز للحاق بذلك الركب ، وعلمت أن بداية الطريق
هو البعث الجديد ، فكان لزاما عليها أن تدرس ذلك الماضي دراسة
واصية لكل ما يمت الى ذلك العهد بصلة : من علم ، وثقافة وأدب ،
ودراسة رجاله وابطاله ، من مفكرين ، وساسة ، وحكام ، وقادة ، ففعلما ، برزوا
في العلوم الدينية واللسانية .

ولا يخفى أن ذلك البناء الضخم أقامه فكر إسلامي عظيم جمع في
حنايه العديد من العظماء ، والمفكرين ، منهم العربي الخالص ، ومنهم
المستعرب الذي خدم هذا الفكر الإسلامي العربي في جدارة وإخلاص لا
يقل عن العرب الخالص ، بل لقد أصبح هو الآخر عربيا في لسانه ودينه
يدافع عن حياض هذه اللغة ، وهذا الدين ما وسعه ذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة ، لسانا وتأليفا ،
وأخلص نفسه لهذا الدين شريعة وعقيدة ، فلم يهتم الفضل في ذلك الجهاد

(ب)

العظيم الذي وقفوا أنفسهم عليه ، وكرسوا حياتهم له ، فلهم علينا حسن الذكر ، وواجب الشهادة ، وتقدير الخلف البار بأصنافه العظيمة .

وليس المقام هنا مقام تعداد مآثر هؤلاء الأعلام حتى أبين ما عليه كل ، وما امتاز به كل واحد منهم في ميدانه ، فهم لا يحدون عدا ، ومآثرهم لا تنق تحت حصر ، فحسبني أن أتناول أحد هؤلاء الأعلام وهو العلامة محمود بن عمر الزمخشري ، على ضوء هذا الفكر الذي بينت . وقد تناولته تناولا يكشف عن بيئته ، عصره ، وحياته ، وتطوره ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وتراثه العلمي ، ومناهجه فيه .

ولما كان ذلك العالم الجليل متشعب الثقافة اللسانية من نحو ولغة ، وتفسير ، وبلغية ، وأدب . كان البحث ملزما بالألمام بهذه الثقافة المتعددة الجوانب قبل الشروع في الجانب النحوي ، الذي هو موضوع البحث ، وقد كان الزمخشري في هذا الجانب متكنا ، بزم علماء عصره بتفوق وإبداع .

وكان واجبا على أن أبدأ البحث بالقراءة الشاملة ، فرجعت إلى العديد من المراجع المتعددة على تفاوتها ، وتعدد مناحيها ، واتجاهاتها ، وعصرها المختلفة بين قديم وحديث ، ورجعت إلى كل ما وصل إلى من المصادر المختلفة التي تتمثل في آثار الزمخشري نفسه ، وما يتصل بها من شروح وحواش .

وقد تلى ذلك جمع المادة وتنسيقها ، وعلى هذا الأساس ارتأيت

تقسيم البحث على النحو التالي :

مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

أما المقدمة فهي هذه ، والتصعيد فهو في اقلهم خوارزم ، من حيث الهيئة الجغرافية ، والاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، وحال اللغة العربية حتى صدر الزمخشري .

وكان الفصل الأول : في نشأته وحياته .

والثاني : في اعتزاله الذي عقدت له فصلا خاصا لأهميته القصوى

في حياته ، وتراثه ، وعلمه .

والثالث : كان حول نشأته العلمية ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .

والرابع : كان خاصا بالنحو ، ما تلا في مذهبه النحوى وموقفه من

المدرستين البصرية والكوفية ، وموقفه من أئمة النحو السابقين عليه ، ثم

فرجت على النحاة المصدقين له وخصمت منهم أبا حيان ، وأبن هشام

لتأثر كل منهما بشخصيته العلمية الفذة .

أما الفصل الخامس : فقد جعلته في منهجه النحوى ، والأصول

التي قام عليها فلم النحو عنده ، وشواهد النحوية .

والخاتمة لخصت فيها أهم النقاط البارزة في البحث ، وما وصلت

إليه من جديد فيه ، وما صححته من آراء ومفاهيم وأحكام كانت تتجافى

من الصواب .

وأنا على يقين من أن النتائج الذى يعمل اليها باحث في مثل

هذا الموضوع ليست هي الكلمة الأخيرة ، ولكن هذا تعارفى ما انتهيت

إليه ثمرة لما بذاته من جهد متواضع فيه .

والله سبحانه الهادى الى سواء السبيل .

التعليق

اقليم خوارزم : أوله بين الغمة والفتحة والألف مسترقة مختصة

ليست بالألف الصحيحة • (١)

اقليم خفقت عليه راية الاسلام في وقت مبكر من فتوحاتنا الشاسعة ،
وطالما افتخر به تاريخنا العتيق ، فهو شاهد نستدل به على ما كان
عليه المسلمون من القوة والسلطان •

ولا يخرب من بآلنا أنه غر من غيور الاسلام العناني لبلاد الترك ،
قد اكتنعه الشرك من كل جانب ، لذلك كان أهله في رباط دائم •
ويفخر الزمخشري بانتمائه الى هذا الاقليم ، ويؤكد أن له فضائل
على غيره من البلاد • ويوليه قدسية خاصة في أحاديث يوفعها الى
حضرة النبي صلى الله عليه وسلم • (٢)

وعن ابن ميمون أنه سأل رجلا من أهل خوارزم عن بلاده ، فذكر له
أن الرجل يفصل وجهه فيصير الماء على وجهه ثلجا •
نقال بشر تلك الوجوه بالجنة • (٣)

وينقل الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ما كتب عن خوارزم فيقول :
"وهي غر من غيور الاسلام ، قد اكتنفتها أهل الشرك ، وأطاعت بهم
قبائل الترك ، فغزو أهلها محهم دائم ، والقتال فيها بينهم قائم ،
ولأخلموا في ذلك نياتهم ، وأمحصوا عن طوياتهم ، وقد تنكف الله بنصرهم
على عامة الأوقات ، ومنحهم الخليفة في كافة الوقعات ، ولمسهم

(١) ها قوت : معجم البلدان ١٤٧ : ٣

(٢) القزويني : كذا في البلاد وأخبار العباد ص ٥١٩

الزمخشري : ربيع الأبرار ١ : ٢٤٩

(٣) السامرائي : الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠

السداد والديانة "وعندهم الوفاء والأمانة"، و"مما أثرهم نقية طاهرة"،
ورغباتهم في أعمار الخير ظاهرة ودينهم محبة الاخيار، ومقت الاشراق
والاحسان الى الغرباء، والتعطف على الضعفاء، وخصائص أخرى لاتعد
ولا تحصى " . (١)

ويعلق الزمخشري على هذا في قوله : " ان رأس الفضائل فيها هو
ما رزقته من المذهب السديد ، مذهب اهل العدل والتوحيد ، الباطشين
فيه بقوة السواعد ، الرامين عنه بالنبل الصوارد ، الشاقلين فيه لهقائق
الشعر المطيرين عن نحر اعدائه الشجر ، وذلك في زمان ، وخاصة في
زماننا هذا ، فقد أظهر الله فيها ما شاء من السرج وأطال فيها
السنة الحجج " . (٢)

ويحرف أهل خوارزم بالجد والنشاط كما أنهم أهل علم وتعلم فقد
أنجب ذلك الاقليم العديد من العلماء الافاضل ، من أمثال : الزمخشري
والجرجاني ، والخوارزمي ، وغيرهم .

ولما كانت شخصية الزمخشري الذي ينتمي الى هذا الاقليم هي

محور هذا البحث كان لزاما على الدارس لمثل هذا الموضوع أن
يقلب صفحات المراجع التي يراها متصلة بالموضوع ليقتبس منها ما يمكن
أن يهديه الى تمثل شخصية ذلك العالم ، الذي حاز أعجاب العلماء
في علمه وفضله .

من أجل هذا ينبغي لي أن أبحث جوانب حياته في ضوء بيئته ،
وبذلك أستطيع الخروج بصورة صادقة عن بناء شخصيته .

(١) ربيع الابرار ١: ٣٥١

(٢) المرجع السابق ١: ٣٥٢

البيئة الجغرافية والاقتصادية :

منذ أن تم فتح إقليم خوارزم واسمه يقتزن بخراسان ، فكثيرا ما يقال : خراسان وما وراء النهر .

وخراسان تعني في الفارسية القديمة " البلاد الشرقية " ولهذا كانت الكلمة تطلق على جميع البلاد الشرقية وما وراء نهر جيحون والذي كان يعتبر فاصلا طبيعيا بين من يتكلم الفارسية في الغرب ومن يتكلم التركمانية في الشرق .

فيصف الاصطخرى اقليم خوارزم بأنه منقطع عن خراسان وما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جانب . (١)

وبقرب خوارزم على ست مراحل منها بحيرة تستمد من جيحون وبها جبل على ثمانية فراسخ من المدينة . (٢)

والشاء هناك شديد جدا حتى أن النهر وعرضه ميل يجمد ، والقوافل والعجل الموقرة تمر عليه ذاهبة وآتية ، وكل انواع السوائل تجمد من شدة البرد كما يصفها ياقوت . (٣)

ويصف الجرجانية بأنها عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون ومن أمهات المدن وهى جامعة لأشتات الخيرات ، وأهل خوارزم يسمونها بلسانهم (كركانج) فعربت الى الجرجانية .

(١) الاصطخرى، المسالك الممالك ص ١٦٨

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٢٦

(٣) معجم البلدان ٢ : ١١٩

ومما ينقل في وصفها : " سرت من دامغان مياسرا الى جرجان في
 مسعود وهبوط ، وأودية هائل ، وجبال عالية . . . وهي مدينة
 حسنة على واد عظيم في ثغر بلدان السهل ، والجبل ، والبحر والبحر
 بها الزيتون والنخل والجوز والرمان ، وقصب السكر والتمر " (١) .
 فهذه الموصاف تدل على أن إقليم خوارزم وفيه الخيرات ، جنى الثمرات
 فيه حياة انطرب والسرور ، فشمسه شارق ، ومروجه واسعة ، يكسوها
 الريح الزاهر والجداول تنساب بعائها العذب الفرات في أحضان مرابعه
 البعيدة الأرجاء ، كما تتخللها الأخاديد الملتوية ، والجبال الراضة
 بقممها الحالية ، وسفوحها التي يظللها الربيع ، فتكمل الحياة الهادئة
 للناس والحيوان والطير . فالمتعة متوفرة ، والمناظر جميلة ، والطبيعة
 جذابة ، لكن تناقض الجو وتقلبه كما يبدو من وصف بعض الشعراء لهذا ،
 قد يكون له تأثيره الذي لا يدرك كل أفسان .
 ينقل ياقوت عن أبي القاسم كافي الكفاة ذمه جرجان لهذا السبب
 في قوله : (٢)

نحن من هوائك يا جرجان في خطه وكرب شديد
 حرها ينضج الجلود فان هبت شمساً تكدرت بركود
 ويذكر أبو منصور النيسابوري في شعره اختلاف الهواء بها في

يوم واحد . (٣)

(١) معجم البلدان ١ : ١٢٠

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع نفسه

فالاقليم على الرغم من شدة حره وبرده ، وتقلب الجو فيه بين ساعة وأخرى فانه كثير الخيرات ، وأسباب الرزق فيه واسعة ، فقد كان أهله في ذلك الحين أصحاب مهنات كالحدادة والتجارة وغيرهما . (١)

وكانت تصدر من شباب القطن والصوف أمتعة كثيرة تنقل الى الافاق وعمامة يسارهم من التجارة ، واقتناء المواشى ومن الاوبار والخز ، وغير ذلك من أصناف الوبر . (٢)

وعى الرغم من مناخ الاقليم المتقلب فأهله أذكيا ، والبيئة تنمي ملكة الادب والشعر ، وتفتح القريحة وتريح النفس ومن ثم أنجب اقليمها كثيرا من أجلة العلماء الافاضل في مختلف العلوم الاسلاميه والحريه ، والرياضية والفلسفية وغيرها من أمثال :

الإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ) والإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) وأبو منصور الماتريدى (ت ٣٣٣هـ) وابن حبان التميمي السمرقندى (ت ٣٥٤هـ) ومحمد ابن علي القفال الشاشى (ت ٣٦٥هـ) وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندى (ت ٣٧٣هـ) وأبو بكر بن فورك الاصفهاني (ت ٤٠٦هـ) وكل هؤلاء محدث أو فقيه أو متكلم . (٣)

كما تخرج من علماء تلك الساحة على بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب الوساطة (ت ٣٦٦هـ) وأبو منصور الازهرى صاحب التهذيب (ت ٣٧٠هـ)

(١) آثار البلاد واخبار العباد ص ٥٢

(٢) المسالك والممالك ص ١٧٠

(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام ١ : ٢٦٢ كالزمخشري ص ٣٠

وأبو عمرو أحمد بن محمد الزوزنى وله شرح القصائد السبع (ت ٣٧٤هـ)
 وأبو بكر بن مهران النيسابورى له كتاب الشامل وكتاب الغاية (ت ٣٩١هـ)
 وإسماعيل بن حماد الجوزى صاحب السداح (ت ٣٩٨هـ) وأبو منصور الثعالى
 صاحب اليتيمة (ت ٤٢٩هـ) وأبو الحسن الباخري مؤلف دمية القصر في
 شعراء العصر (ت ٤٦٧هـ) وعبدالقاهر الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز
 (ت ٤٧١هـ) . (١)

ومن أشهر العلماء المعاصرين للزمخشري التبريزي (ت ٥٠٢هـ)
 والميداني (ت ٥١٨هـ) والجوالقي (ت ٥٢٩هـ) وابن الشجرى (ت ٥٤٢هـ)
 ورشيد الدين الطوطا (ت ٥٧٣هـ) والانبارى (ت ٥٧٧هـ) وطام الدين
 ابن أبي الصغالي الخرازى (ت ٥٨١هـ) . (٢)

والكثير من غير هؤلاء سيأتى ذكرهم في ثنايا البحث كانوا يجمعون
 اللسانين العربى والفارسى ولهذا كان بعضهم يوسف بذى اللسانين .
 (٣)

الخصائص الاجتماعية والدينية فى خوارزم :

يذكر الاصطخرى من خواص أهل الأقليم ، التعاون فيما بينهم وأنهم
 أهل مروءة ظاهرة ، وأكثر أهل خراسان انتشارا وسفرا ولختهم تخالف لغة
 خراسان وخلقهم لا يخفى بين أهلها ، ولهم بأس على القتال ومنعة . (٤)

(١) ظهر الاسلام ١ : ٢٦٢ - معجم الادباء ١ : ١٠١

(٢) المرجع السابق ٢ : ١٦١

(٣) الشيرازى : الزمخشري لخوايا ومفسرا ص ٦٣

(٤) المسالك والممالك ص ١٧٠

ويحدثنا ياقوت عن بساطة حالهم ، وقناعتهم في معيشتهم

قناعة يكاد يستوى فيها الأغنياء والفقراء * (١)

أما شعورهم الدينى فى تلك المنطقة ، فكان حيا قويا ، فهم
شغل من شغل المسلمين يحيط بهم المشركون من كل جانب ، والقتال
بينهم لا ينقطع ، والعداوة بينهم مستمرة ، وقد أخلصوا نياتهم للجهاد
والدفاع عن دين الله ، لهذا فقد تكفل الله بنصرهم على أعدائهم ،
ومنعهم الخلية عليهم * (٢)

ويروى ياقوت بأن لهم عادة دينية نادرة الوجود فى مجتمع غير
مجتمعتهم وهى أن المؤذن يقوم فى وقت سحر من الليل يقارب نصفه ،
فلا يزال يؤذن حتى الفجر (قامت قامت) (٣)

ويذكر ابن بطوطه أخرى فيقول : " ان لهم عادة جميلة فى
الصلاة لم يرها لغيرهم ، وهى أن المؤذنين بمساجدهم يطوف كل واحد
منهم على دور جيران مسجده معلما اياهم بحضور الصلاة ، فمن لم يحضر
الصلاة مع الجماعة ضربه ارباعا بحضور من الجماعة ، وفى كل مسجد درة
معلقة يرسم ذلك ، ويخرج خمسة دنابر تنفق فى مصالح المسجد ، ويطعام
الفقراء والمساكين ، ويذكرون أن هذه العادة مستمرة من قديم الزمن * (٤)
ولهم عشيات يجلسون فيها فى جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدى
السلطان ، فيبدأ هو فيسأل مسألة يتكلمون فيها * (٥)

(١) معجم البلدان ٢ : ٣٩٦

(٢) ربيع البرار ١ : ٣٥١

(٣) معجم البلدان ٢ : ٤٨٤

(٤) رحلة ابن بطوطه ٣ : ٤

(٥) أحسن التقاسيم ص ٢٨٤

وخوارزم معقل للمعتزلة من فترة طويلة ، حتى ليندر أن يوجد فيها

خوارزمي غير معتزلي ولحل الاعتزال صدر اليها من البصرة وبخداداد إذ أنه ظهر هناك حتى كاد يعم المشرق كله . (١)

يقول المقدسي : انه وجد أكثر الشيعة في بلاد العجم معتزلة ، وأكثر فقهاءهم على الاعتزال . (٢) وان العوام في الري يتابعون الرأي الاعتزالي في خلق القرآن .

ويمتاز أهل جرجانية بعدم التعصب في مناقشاتهم ، وينكرون على من تعصب في ذلك .

والغالب عليهم ممارسة علم الكلام حتى في الاسواق . يناظرون فيه من غير تعصب وإذا رأوا من أحد تعصبا ، أنكروا عليه وقالوا : ليس لك الا الخلية بالحجة ، وإياك وفعل الجاهل . (٣)

وهناك من هو على غير مذعب الاعتزال ، ويظهر رأيه واضحا دون

خبر . يذكر ياقوت أنه سأل القاسم بن الحسين الخوارزمي المولود سنة ٥٥٠ هـ ما مذهبك ؟

فقال : حنفي ولكن لست خوارزميا ، ويكررها ثم يقول : انما اشتغلت

ببخارى ، فأرى رأي أهلها فهو بهذا ينفي عن نفسه ان يكون معتزليا . (٤)

(١) أحسن التأسيس ص ٢٨٤

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٦

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٢٠

(٤) معجم البلدان ٦ : ٢٢٩

الناحية السياسية :

ثم للحرب فتح خوارزم سنة (٩٦٣هـ) بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي (١) . وقد تعاقب على الاقليم منذ فتحه كثير من الولاة . فكان يحكم حكما مستقرا حتى عهد الطاهريين ، ثم اضطرب فيه الحكم ، وبدأ يدخل مرحلة جديدة منذ حكمه بنو الصفار (٢٥٩-٢٦١هـ) . ثم حكمه السامانيون حتى سنة ٣٨٩هـ وكانت عاصمتهم بخارى ، ولغتهم الفارسية ، واجتذبت عاصمتهم كثيرا من العلماء والشعراء ، وكانوا حماة لأهل السنة ، ثم قضى محمود بن سبكتكين على دولتهم سنة ٣٨٩هـ . وكانت هذه الاحداث تتلاحق فحكما البويهيون أريصين سنة حتى ٤٢٩هـ ، وكانت هذه الفترة منذ قيام الطاهريين كلها قلقا واضطرابات أدت الى انفصال بعض الولايات عن الخلافة العباسية ، فأصبحت بذلك امارات أو دولا مستقلة ليس للخلافة فيها سوى الدعاء على المنابر وقد زادت تلك الاضطرابات من أعماق الخلافة العباسية ، وما أن تولى البويهيون حتى أصبحت تلك الخلافة تحت رحمتهم وتعاني من سيارتهم . أضف الى ذلك مؤامرات الدولة الفاطمية التي أحدثت في البلاد اضطرابات مذهبية عنيفة بين السنة والشيعة . لهذا لم يجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٦٧-٤٦٨هـ) وسيلة سوى الاستنجاد برعيم الاثراك السلاجقة - طغرل بك - للقضاء على هذا الوضع الشاذ فأمر أن يخطب باسمه في مساجد بغداد .

استولى السلاجقة على مرو، ونيسابور وبلخ وطبرستان وخوارزم ثم
 الجبال وهذان ودينور والرى وأصفهان حتى سنة ٤٢٩ هـ وقد حرصوا
 خلال زحفهم على اظهار تمسكهم بذهب السنة ومحاربتهم للذهب الشيعة (١)
 فتخلصت الدولة العباسية من الاضطرابات الداخلية الخطيرة ولم
 يحمر طغربك طويلا إذ توفي في رمضان سنة ٤٥٥ هـ فحمل لواء الجهاد
 بعده ضد الروم ابنه - البارسلان - فرأى أن يستولى على حلب وشمال
 الشام من يد الشيعة كي يحمي ظهره من الخطر الفاطمي (٢).
 فلما توفي البارسلان سنة ٤٦٥ هـ وتولى بعده ابنه - جلال الدين
 ابو الفتح ملكشاه - سار على سياسة أبيه محاربا للنفوذ الفاطمي في الشام
 حتى استطاع قائده (اتمز) أن يستولى على دمشق ويتربعها من يد
 الشيعة بعد عدة محاولات فأخذت الامور بعد فتح دمشق تنيل الى
 الاستقرار، وقد تعاون على هذا الاستقرار ثلاثة شخصيات غريفة في تلك
 الحقبة وهم: الخليفة المعتدى بأمر الله والسلطان جلال الدين ملكشاه،
 والوزير نظام الملك .

وكان هذا الوزير من رجال العلم المشهورين، ومن أكبر المشجعين
 على نشر الثقافة العربية والاسلامية فكان أول وزير اتصل به الزمخشري وهو
 في مقتبل شبابه إذ كان ذا مظاهر فسيحة وآمال عريضة، فوسح اتصالاته
 بكبار رجال الدولة من ذلك الحين .

(١) العبادي : من التاريخ العباسي والانديلسي ص ١٨١

(٢) ابن الاثير : الكامل حوادث ٤٦٣ هـ

منذ أن توفي ملكشاه سنة ٨٥ هـ وتولى ابنه ميركياروق - بدأت :

المنازعات والحروب الداخلية مع اخوته واعمامه مما أدى الى تفكك الدولة فيها بينهم ومجزؤها عن عهد الخارات ، كما هزمت جيوشها أخيرا أمام شاهات خوارزم الذين بدأوا فى بناء دولتهم منذ ٤٧٠ هـ على يد أنوشتكين ولم يكن الزمخشري يبلغ من السن اذ ذاك سوى ثلاث سنين حين فتح عيفيه على دولة مستقلة تستطيع منازعة الدول الاخرى .

اعتد حكم انوشتكين حتى سنة ٤٩٠ هـ ، وكان الزمخشري فى بداية طموحه العلمى يحمل على نيل مكانته .

مشهورا

فلما خلف (قطب الدين محمد) أباه فى الحكم وكان بالادب

وانصرفه الى العلم ، يبدو ان الزمخشري قد نال عنده حظوة فهو يمدح فيه رعاية العلم والأدب . (١)

ولما ولى (أشز) بن قطب الدين محمد اكتسب محبة السلطان وكان راعيا للأدب وأهله حتى أن الزمخشري أهداه كتابه (مقدمة الأدب) .

وكان أشز أول من طمح فى الاستقلال من أفراد هذا البيت ولكن

(سنجر) آخر سلاطين السلاجقة عزله اثر ثورته عليه سنة ٥٢٢ هـ ثم عاد الى ولايته بعد قليل .

وفى سنة ٥٣٦ هـ سار أشز الى مدينة مرو فهزمه سنجر وقتل ابنه واستولى على خوارزم وأقطعها ابن أخيه ، ثم استردها أشز وفكر فى الثأر لمقتل ابنه . (٢)

(١) الجوينى : مشيخ الزمخشري ص ٣٨

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٩٥ : ٤

توالى الفتوحات لاتسز حتى تم لة فتح نيسابور سنة ٥٣٧هـ ، وفي السنة التالية ٥٣٨هـ (وعلى السنة التى توفى فيها الزمخشري) حاول سنجر محاصرة خوارزم ، ولكنه عجز عن ذلك فقبل المصلح مع اتسز سنة ٥٥٠هـ (١) فالفترة التى عاصرنا الزمخشري كانت فترة قلاقل مستمرة ، وحروب تكثف عن ساقها بين حين وآخر . فمرة بين جند السلاطين وخلفاء بغداد وأخرى بين الدويلات التى انفصلت عن الخلافة العباسية ، وكانت هذه الحروب على مستويات شتى ، فتكون بين الامراء كما تكون بين الحكام ذوى الاخوة والاعمام .

البيئة الثقافية

يتبغى لمن يتحدث فى هذا الجانب أن يلقى نظرة على الثقافة قبل الزمخشري ، فهى المعين الذى ورده ^{ومرسله} منه سجله . وللحديث يعود بنا الى الفتوحات الاسلامية ، واحتلال الشعب العربى بغيره من شعوب الاسلام ، إذ التقت أنواع الثقافات التى حملتها تلك الشعوب على اختلاف جنسياتها . فالعرب لهم ديوانهم الشعرى والنثرى فتوجا بالقرآن الكريم ثم الحديث الشريف ، والعلوم الشرعية واللسانية ، والبلاد المفتوحة تحمل الوان حضاراتها ، وآدابها المتنوعة ، فتكونت تلك الثقافة الجديدة فى الدولة الاسلامية .

تطور الزمن على هذا الانفتاح ، وأخذ النشاط العلمي ينمو نمو مطردا فأصبح هناك العلماء والمؤلفون ، والمترجمون ، والمدرسون كل في ميدانه وانتشرت المكتبات فعمت الاقطار الاسلامية .

ولما انفصل من جسم الخلافة العباسية مجموعة من الدول ، استقلت كل واحدة منها عن الاخرى . أخذ أمراؤها يقلدون قصر الخلافة في كل شئ ، والعلم أهم ما يلتقى على الأمراء الصهاية والجلال ، ففتحوا قصورهم للعلماء والشعراء والأدباء والشعراء والمؤدبين ، والمنجمين . فكثر المحاورات والمناظرات بين العلماء ، فزاد التنافس بينهم .

ولم يكن اقليم خوارزم في عزلة عن الحياة العلمية والأدبية الجارية في ذلك الحين ، سواء في عهد السامانيين ، أو البويهيين ، أو السلاجقة . فقد نشط أهلهم في تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكانت المدارس في الإقليم كثيرة ، والمكتبات منتشرة ، والحكام حريصون على تشجيع الحركة العلمية ، وتقريب العلماء والشعراء إليهم ليضيفوا على ملكهم جمالا وهيبه ووثارا لينافسوا جيرانهم السلاجقة في الجاه والمهيت .

يقول النسوي عن خوارزم : ان سلاطينهم عمروا قصورهم بالشعراء ، والكتاب والعلماء من غربي وعربي . وقربوهم إليهم وأغدقوا عليهم ، كما فتحو المدارس ، وشجعوا الحفاظ ، على الرغم من أن بعضهم كانوا أتراكا قليلي المعرفة باللغة العربية . (١)

ويعتبه المقدسي بأنه أجل الأقاليم ، وأكثرها أجلة وعلماء ، وأن الفقهاء فيه يبلغون درجة الملوك . (١)

وكان موقف الحكام يشجع أهل العلم على المحاضرة ، والمناظرة ، وكان الكثير منهم يناقش العلماء ويجادلهم .

يروى أن عضد الدولة ، كان محبا للعلم — وعظما للعلماء — وقد حدث أنه كان يتلقى النحو واللغة — على — أستاذه أبي علي الفارسي فسأله يوما لماذا ينتسب الاسم المستثنى في نحو : قام القوم إلا زيدا ؟ فقال أبو علي : ينتسب بتقدير أستثنى زيدا .

فقال عضد الدولة : لم قدرت أستثنى زيدا فنسبت ؟ هلا قدرت امتنع زيد أرفعت ؟

فقال أبو علي : هذا الذي ذكرته جواب ميداني ، فإذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح . (٢)

ولما منف أبو علي لعضد الدولة كتاب (الإيضاح) .

قال له : ما زاد علي ما أعرف شيئا وإنما يصلح هذا للمصبيان فسأله كتاب التكلمة . (٣)

وكان من وزراء هذه الدولة صاحب من عباد ، الذي لم تشغله الوزارة وأعباء الحكم عن الأملاء والتأليف في اللغة . (٤) وكان في عصره يأسبهاان والرى وجرجان عشرات من ذوي العلم والأدب . (٥)

(١) أحسن التقاسيم ص ٨٤

(٢) معجم الادباء ١٢ : ٦٦ عاين العماد : القذرات ٣ : ٨٨

(٣) معجم الادباء ٧ : ٢٣٨

(٤) التنطى : انبعاث الرواة ٢٠١ : ١ - كشف الظنون ٣١٠ : ١

(٥) بيتيمة الدهر ٣ : ١٩٢

وكان له أصدقاء من العلماء ، وندما في العلم يلوذون به . (١)
 وكان السامانيون لا يقل شأنهم عن البويهيين في تقدير العلماء
 فكان نوح بن منصور الساماني يقدر العلماء ، ويؤثر الانتفاع بهم في شؤون
 الدولة ، ولما سمع بشهرة صاحب بن عباد ، كتب يستدعيه إلى بخارى
 ليقرض إليه وزارته ويدير مملكته فامتذر صاحب بسبب كتبه التي تحتاج
 - فيما يقال - إلى أربعمائة جمل لنقلها . (٢)

واشتهر وزيران من السامانيين بشغفهما بالأدب والعلم وهما :
 أبو الفضل بن عبيد الله الخلعفي الذي كان وزير المشهور بن نوح الساماني
 وهو الذي ترجم تاريخ الطبري إلى الفارسية ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد
 الجيهاني الذي كان وزيراً للملك السابق . (٣)

أما الدولة التي قامت على أنقاض الدولة البويهية وهي دولة السلاجقة
 فلم تكن أقل عناية بالعلم والعلماء من سابقتها .
 فقد قيض الله لها منذ تأسيسها الوزير (نظام الملك) الطوسي وكان
 من رجال العلم المشهورين ومن أكبر المشجعين على نشر الثقافة بخاصة
 والثقافة الإسلامية بخاصة فقام ببناء المدارس في أكثر المدن وأجرى لهم
 الجرايات الحظيمة . (٤)

وكان يمدحهم العلماء النابغون فيوليهم المناصب الرفيعة ويؤمن لهم الرزق
 لينصرفوا إلى العلم . (٥)

(١) الشلقاني : رواية الحرية فيما وراء الحراق ص ٥٣

(٢) المرجع السابق

(٣) الزمخشري ص ٢٦

(٤) الكامل في التاريخ ط ٢ : ١٦٢

(٥) الزمخشري ص ١١

كما جعل لعامة العلماء فرضاً على الدولة تُؤديه إليهم ليظلوا في مأمن
من عوارض الزمن . (١)

شجع هذا كله الآباء على تأديب أبنائهم ليؤهلوهم لحضور مجلسه
والحظوة بقرية خُشاً للناس أولاد نجباء ، يصلحون لما يهيئهم له الوزير
اذا كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له ، وإن وجد في بلده من تبخر
وتميز في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً ، وجعل فيها دار كتب (٢)
ومن عنوا بالثقافة الإسلامية من السلاجقة محمود بن سبكتكين ، فقد
جمع العلماء في سجستان وكلفهم وضع كتاب في التفسير يجمعون فيه
أقوال المفسرين ، ويبينون فيه وجوه القراءات وعلى النحو والتفسير ويخسون
إليه ما رواه ثقة الحديث ، وتم هذا العمل الضخم في مائة مجلد . (٣)
وذكر النسوي أن السلطان محمد بن تكتش سیر الى خوارزم (برهان
الدين محمد بن عبدالعزيز البخاري) رئيس الحنفية ببخارى ، وكان في
جملة من يعيش في ظل برهان الدين ما يقارب ستة آلاف فقيه . (٤)
لاحظ العلماء الى جانب ما عليه الاُمرء من الاشتغال بالعلم ،
ميلهم الى اقتناء الكتب ، فأصبحوا يهدون إليهم كتبهم أو يؤلفون لهم
كتباً خاصة يدلبونها .

فألف اليزيدي كتاب (المختصر) في النحول وأولاد المأمون . (٥)
وآلف الفراء كتاب (المذكر والمؤث) وكتاب (البهي) لعبدالله

(١) الزمخشري ص ١١

(٢) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٢٦

(٣) رواية الحربية فيما وراء العراق ص ٧٢

(٤) سيرة جلال الدين منكبرشي ص ٦٨

(٥) الفهرست ص ١٠٠

ابن طاهر . (١)

وصنف ابن دريد أكبر كتبه وهو (الجوهرة) لآل ميكال .
وأهدى أبو علي الفارسي كتاب (الإيضاح) وكتاب (التكملة) لعضد
الدولة البويهى .

وَأَلَفَ أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب (الغريب المصنف) الذى ألفه في
ثلاثين سنة ، وجاء به الى عبدالله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار ،
ولما أَلَفَ غريب الحديث) أهداه إليه فقال : " ان عقلا بحث صاحبه
على عمل هذا الكتاب لتحقيق آلا يخرج إلى طلب معاش . وأوصى له كل
شهر بعشرة آلاف درهم . (٢)

وصنف أحمد بن فارس كتاب فقه اللغة ، وأهداه إلى صاحب بن عباد
ويعرف بالصاحبى إلى اليوم .
وتطابقا لهذه العادة أهدى الزمخشري كتاب (مقدمة الأدب) إلى
الأمير (أئمز) بن خوارزم شاه .

يتبين من هذا أن رؤساء الأقليم وحكامه لم يكونوا مشجعين للعلم
فحسب بل كانوا علماء على الوجه الذى أوضحنا جانباً منه ، فكان طبيعياً
أن تذخر عواصم هذا الاقليم بالعلماء وأن يكون للعلوم الاسلامية والحريية
فيه شأنها الملحوظ .

المراكز الثقافية :

كان من أثر انتشار الثقافة أن تعددت المراكز الثقافية في العظام الإسلامية

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٥

(٢) المرجع السابق

وحفلت هذه المراكز بالعلماء في مختلف الميادين وكانت اللغة العربية في لغة العلم والسياسة والثقافة حتى في إيران حيث كانت الكتابة بخير العربية في ذلك الحين. تعد نقما كبيرا . (١)

كان الناس يتسابقون إلى اقتناء الكتب في جميع فروع المعرفة فازدادت حركة التأليف والترجمة ، وازداد بذلك اقتراح دور الثقافة التي كان يريدها كل طبقات العلماء ، والطلاب والمثقفين على مختلف درجاتهم فخلق نظرة على تلك المراكز في ذلك الحين .

المساجد :

المسجد من أعظم مراكز الثقافة العربية والإسلامية وكان هو المكان الذي يتخذ به العلماء مقابله لهم والفقر الذي يتخذونه لعقد جلساتهم . منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحاضر والمسجد ينهض بتدريس مختلف العلوم ، كما نعرفه عن الأزهر الشريف الذي تاور إلى جامعة الأزهر أسيرا والذي كان إلى جانب التدريس يقوم بشئون الطلاب ويهتم لهم المنهج الدراسية .

وكذلك مسجد القرويين في فاس ، والزيتونة في تونس وتونس ومساجد قرطبة التي اجتذبت إليها الأوربيين لارتشاف العلم والتزود من الثقافة الإسلامية وكان من أوائل هذه المساجد مسجد عمرو بن العاص وجامع أحمد بن أولون بصرى . (٢)

(١) الزمخشري لخوايا ومفسرا ص ٤٥

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ٤٢١:٤

لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر الجبالي ، وتقدمت صناعة الورق ، تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين ، واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم ، فكثر المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية . وبهنا من هذه المكتبات بالدرجة الأولى المكتبات المحيطة ببيت الزمخشري وتتلخص فيما يلي :

مكتبات مرو : بها خزانة لنظام الملك في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها . والخزائن الخاتونية .

وفي هذا يقول ياقوت : كانت/عامرة بالكتب ^{لا سيما} في خزانة السلطان سنجر السلجوقي ، وأنه كان بها عشر خزائن لم يعرف في الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان في الجامع ، أحدهما يقال لها (العزيزية) وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها . والأخرى يقال لها (الكمالية) وبها خزائن شرف الملك المستوفي . (١)

مكتبة نوح بن نصر الساماني ، وقد ذكرت بكثير من الكتب النادرة (٢)

مكتبة صاحب بن عباد وقد اعتذر بسببها عن تلبية دعوة نوح بن منصور الساماني ، اذ تحتاج لنقلها الى أربعمئة جمل ^{كما} سلف ذكره . (٣)

مكتبة مؤيد الدين البلعمي وزير المستعصم وكانت تحتوى على عشرة آلاف مجلد من نفاة الكتب . (٤)

(١) معجم البلدان ٥ : ١١٤

(٢) تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٣١

(٣) المرجع السابق

(٤) تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٣١

لم تكن هذه المكتبات مجرد مخزائن للتي هي بل كانت تمد أصحابها
ومن يلوذ بهم من الباحثين والعلماء والطلاب بغير من العلم كل في
اختصاصه وميدانه وهي سهلة التناول كما يذكر ياقوت . (١)

المدارس :

لم تنشأ مدارس اسلامية قبل بداية القرن الخامس الهجري حيث كانت
المساجد تقوم بمهمة نشر العلم .
وأول مدرسة أنشئت وانتظم فيها الطلاب للتعلم هي المدرسة
البيهقية نسبة للإمام البيهقي ت ٤٥٤ هـ في نيسابور . (٢)

والثابت أن نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي أسس
المدرستين اللتين تعرفان باسمه في بغداد ونيسابور ، وتعرف كل منهما
بالمدرسة النظامية ، كما أسس المدرسة الحفصية في بغداد ، وانتشرت
مدارسه في شتى البلاد مثل : نظامية بغداد ، ونيسابور وأصفهان ،
ومرو وعسكرمكرم ، وخوزستان ، والبوسل ، وهراة ، وبلخ و آمد ونظامية
طوس . (٣)

وقد اتخذ السلاجقة نظام المدارس منشآت سنوية لمحاربة المذهب
الإسماعيلي الشيعي ونسار على هذه السياسة نورالدين محمود زنكي في
الشام ، ثم صلاح الدين الأيوبي في مصر للقضاء على الدعوة الفاطمية . (٤)

والكثير من هذه المدارس تقع في إقليم خوارزم ، وما حوله من المدن وذلك

(١) معجم البلدان ٥ : ١١٤

(٢) الزمخشري ص ١١٣ لغويا ومفسرا ص ٤٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٨

(٤) من التاريخ الجعاني والاندلسي ص ٢٠٠

مثل المدارس المنتشرة في : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ ، وآمد ، وطوس
فضلا عن المدارس التي بناها الأمير سبكتكين أخو السلطان محمود الخزنوي
في الاقليم نفسه وهي : مدرستان باسمه ، وثالثة سماها السعيدية ، ورابعة
بناها لابي اسحق الاسفراييني .

ولم يكن بناء المدارس في البلاد الشرقية مقصورا على الملوك والوزراء
بل كان العلماء والشعب يسهمون في هذا الضمار كابي بكر البشتي ،
فقد أنشأ مدرسة نيسابور ، ووقف عليها الكثير من امواله وعقاره . (١)
وبذلك كانت البلاد الشرقية من الخلافة العباسية تربة طيبة تثبت
أجلاء العلماء من المتخصصين في مختلف العلوم كما سيأتى في موضعه .
بلاط الحكام :

بدأت دار الخلافة ملجأ للعلماء ، والشعراء منذ الصدر الاول ،
عندما دُون الخليفة العادل عمر بن الخطاب الدواوين ، وتطورت الامور
بعد ذلك حتى استقر الحكم للخلفاء الأمويين الذين فتحوا دورهم
للشعراء والنسابين ، وما مدائح الفرزدق وجريروالاخطل عنا ببعيد .
وما أن قامت الحضرة العباسية حتى توسع الامر بفعل الترجمة والتأليف ،
ففتح الخلفاء العباسيون دورهم المناظرات ، والمناقشات العلمية فأضحى ذلك
عادة تأثر بها الحكام الجدد الذين اقتطعوا ولايات من أطراف الخلافة ،
فأصبحوا حكاما يتنافسون دار الخلافة بالعلم والعلماء حتى أمسى بلاط كل
منهم مركزا تقام فيه المناظرات واليك منها :

ببلاط بنى بويه فى أصبهان والرى ، والبلاط السامانى فى بخارى

و بلاط شمس المعالى قابوس بن موسىكمير فى طبرستان ، وبلاط --

خوارزمشاه مأمون الثانى فى خيوة ، وبلاط محمود الغزنوى فى غزنة وبلاط

السلاجقة فى مرو حاضرة خراسان حيث أقام أمراء السلاجقة ولا سيما

السلطان سنجر فى عهد الأمراء الخوارزميين *

والمعلوم ان هذه كلها تقع فى إقليم خوارزم أو حوله وكان الزمخشري

قد اتصل بهذه الحواضر ، وخاصة اتصاله بأمراء الخوارزميين *

اللغة العربية فى الإقليم الشرقى :

بحكم انتشار الثقافة العربية والاسلامية فى خوارزم وما حولها ، تلزم

الأشارة الى ما كانت عليه اللغة العربية هناك *

أخذت اللغات القومية تختفى من وجه العربية شيئاً فشيئاً لتحل محلها

لغة القرآن الكريم ، حتى أصبحت لغة السياسة والحكم ، والادب والثقافة

بجانب الدين الاسلامى *

ولما تمزقت اطراف الخلافة وانتزع الولاة منها ما يقيمون عليه دولا تحكمها

أسر غير عربية ، شجع أولئك الحكام الجدد مثل الصفاريين والسامانيين ،

العلماء والأدباء على الكتابة باللغة الفارسية وإحياء تراشيها فأخذت اللغة

الفارسية تعود فى شرق ما بين النهرين ، كما بدأت اللغة العربية تفقد

مكان الصدارة فى تلك البلاد رويدا رويدا ، وكان ذلك فى القرنين الثالث

والرابع *

يرى عن احياء اللغة الفارسية أن السلطان يعقوب بن ليث الصفارى

عندما تولى العرش ، جاء الشعراء العرب ، ونظموا له أشعارا بالعربية ،
 فرد عليهم قائلا : لا أفهم هذا اللسان ، ولا أريد أن اسمع ما لا أفهم .
 (١)
 يتبين من هذا أن إحياء اللغة الفارسية بدأ في عهد الصفاريين
 (٢٥٤ - ٢٦٥ هـ . وجاء بعدهم السامانيون ، فسعى سلاطينهم لإحلال
 اللغة الفارسية مكان العربية حتى ظهر في عهدهم من بلاد ما وراء النهر
 وخراسان كثير من الشعراء ، والكتاب باللسان الفارسي ، فأخذت اللغة
 الفارسية مكانتها في البلاط (٢٦١ - ٨٦١ هـ) فأكب العلماء والأدباء على
 ترجمة الكتب العربية الى الفارسية فترجم تفسير الطبري ، وترجم تاريخه بأمر
 من الملك منصور بن نوح الساماني .

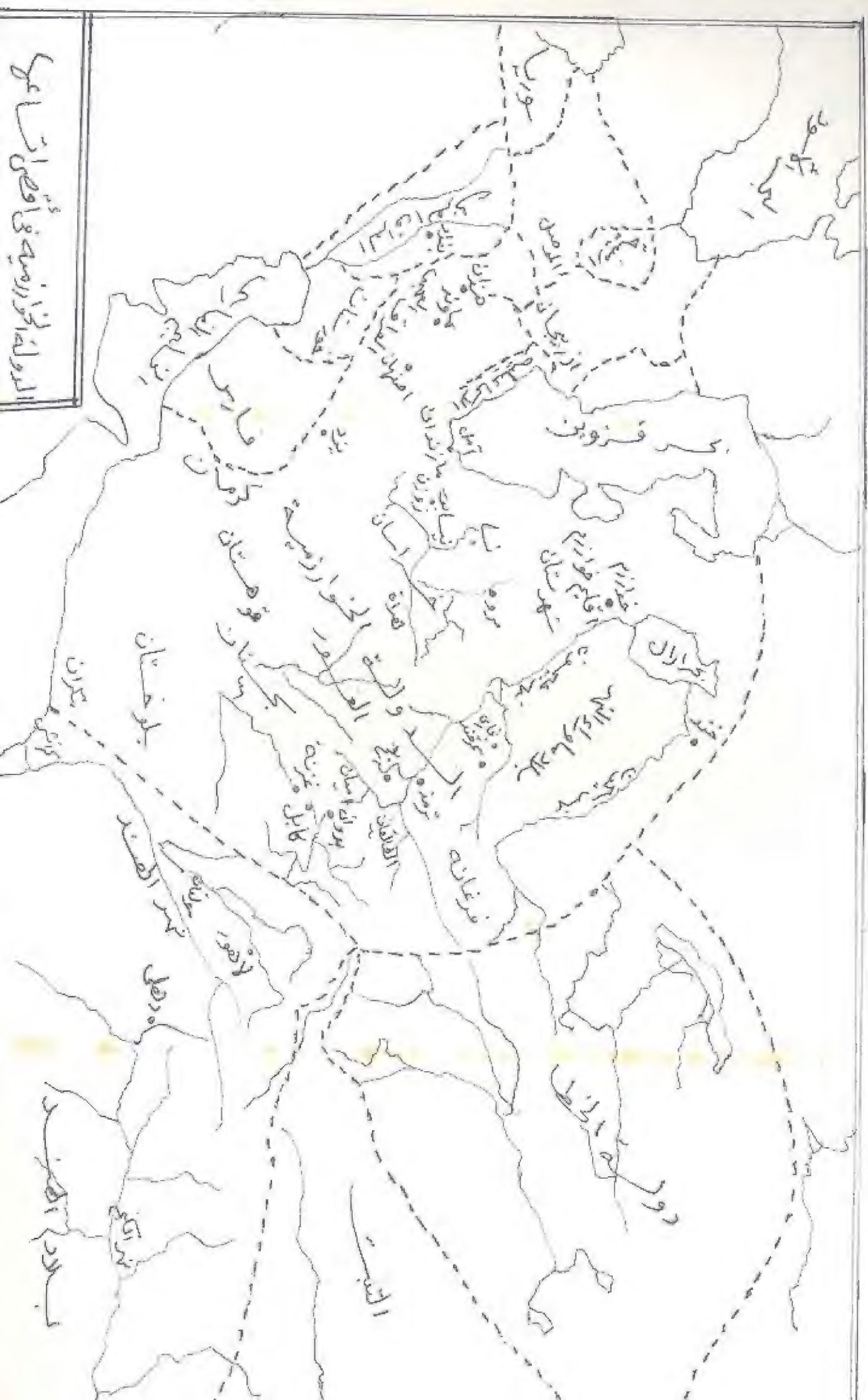
وقد لاحظ المتنبى هذا التغيير ، وغربة اللسان العربي حين مروره ببلاد
 فارس ، فاصدا عند الدولة فقال قصيدته التي - تتلى فيها :
 مغاني الشعب طيبا في المغاني بمزلة الريح من الزمان

x x x

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
 وقد ظل للغة العربية السيادة التامة في الشام ومصر والحجاز والعراق
 والبيئات القريبة من الجزيرة العربية . واحتفى بها العلماء والأدباء والشعراء
 والمفكرون ، وألّفوا فيها نفاثات الكتب العربية والاسلامية .
 وقد حدث رواج للغة العربية في الاقليم الشرقي خلال القرنين
 الخامس والسادس ، خصوصاً بعد قيام العهد السلجوقي ، فاهتموا باللغة
 العربية وآزروها ، فنهى لغة الدين والحكم والثقافة .
 ولم يضر سوى قرن من تولى السلاجقة للحكم حتى اختفى الكتاب الفرس
 من الدواوين ، وحلّ مكانهم كتاب . عرب أو مستعربون .
 وهكذا نجد ان اللغة العربية في عصر الزمخشري كانت لها الخلية ،

(١) الزمخشري لخويا ومفسرا ٦٣٠

نقد زاحمت اللغة الفارسية فطغت عليها ذيوها وشهرة ، حتى يش الكتاب
 الفرس من احياء لغتهم ، فأخذوا في نشر العربية وإذا كتبوا بالفارسية
 كان الاسلوب والكلمات والاستدلال بالآيات والاحاديث ، والا شعار كلها
 عربية لذلك أخذ الادباء الفرس يهتمون بحفظ اللغة العربية وتواعدها
 وكان جل همهم أن يتعلموا نحوها وصرفها •
 ولعل الزمخشري كان له نصيب المشاركة / نصرة اللغة العربية . . .
 ومهاجمة خصومها • (١)



الفصل الأول

الزمخشري

شأته وحياته

اسمه ،كنيته ولقبه :

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ثم الزمخشري .
وقد اتفق كتاب التراجم على الاسمين الأول والثاني من هذه السلسلة
أما الثالث والرابع ،وهو (محمد بن أحمد) فمنهم من ذكرهما على هذا
الترتيب ،(١) ومنهم من خالف بينهما . (٢)
وهناك من ذكر (محمود بن عمر) دون أن يزيد على ذلك (٣)
ولا أعتقد أن بينه وبين ما سبق خلافا ،ولكنه من قبيل الإيجاز والاكتفاء .
ويذكر السامرائي أن هذا الاسم نقله من خط الزمخشري نفسه في
إجازته للسلفي . (٤) ولعل هذا هو الصحيح بين ما عرضناه .
ويكاد يجمع المؤرخون والباحثون على أن الزمخشري يكنى (أبا القاسم)
ولم أر من شذ عن هذا فيما تحت يدي من مراجع الآ ابن العماد في
كتابه (شذرات الذهب) فكنيته عنده (أبو القاسم) اللهم إلا أن يكون
ذلك خطأ مطبعيا لا يستحق الوقوف عنده .
وفي كل حال هو مشهور بأبي القاسم ،ويؤيد ذلك مقاماته التي
تخللها هذه الكنية دائما دون اختلاف أو تغيير .
ويلقب الزمخشري (بجار الله) وهذا اللقب الذي عرف به ،لا يعرف
أحدًا لقب به غيره ،فمن أين جاء هذا اللقب ؟ ومن الذي لقبه به ؟
بعض الروايات تذكر أنه لقب بجار الله ،لكنه مجاورته لبيت الله
الحي . (٥)

-
- (١) وفيات الأعيان ٥ : ١٦٨ - تاج العروس ١١ : ٤٤٩
ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ١٢١ - النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤
(٢) معجم الأدباء ١٩٩ : ١١٧ - الحوفي : الزمخشري ص ٣٥
(٣) شرح المفصل لابن يعقوب ١ : ٢ - دائرة المعارف الإسلامية باللغة
العربية ١٠ : ٤٠٣
(٤) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ص ٢٢ - الشذرات ٤ : ١١٨
(٥) ابن يعقوب ١ : ٢ - تاج العروس ١١ : ٤٤٩ - النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤

أما الذى لقبه به فلعله شيخه وتلميذه على - التصغير - بن عيسى بن وهاس حين حضر عليه وقت جواره فأطلق عليه هذا اللقب . (١)

ومن القاب سبستان ، وأصحاب التراجم ، منهم : القزوينى فى (آثار البلاد وأخبار العباد) وياقوت فى (معجم الأدباء) ووافقه بعض المحدثين . (٢)

أما نسبه (الخوارزمى) فقد نسيه بها : الذهبى فى كتابه (العبر فى خبر من غبر) والزبىدى فى معجمه (تاج العروس) .

وهناك من يجمع بين النسبتين فيقول : (الزمخشري الخوارزمي) ومن هؤلاء : ابن شكري بردي فى كتابه (النجوم الزاهرة) وابن العماد فى كتابه (شذرات الذهب) .

فهو منسوب مرة الى قريته ومسقط رأسه (زمخشر) وأخرى الى إقليمه خوارزم الذى طالما اقتحربه .

ولكن نسبه التى اشتهر بها هى النسبة الى قريته ، وكانت قرية صغيرة ليست بذات بال كما يروى الزمخشري نفسه فى رسالته التى كتبها لابى طاهر السلفى ردا على دعوته له فى طلب الإجازة حيث قال : " وأما المولد قرية مجهولة من خوارزم تسمى زمخشر وسكنت أبى رحمه الله يقول : اجتاز أعرابى فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل : اسم القرية زمخشر واسم كبيرها الرداد . فقال : لاخير فى شر ورد ولم يلهم بها " (٣)

ويبدو ان القرية قد تطورت بها الحال في عهد المتدسى ، اذ كتب عنها يقول : " زمخشر : قرية عليها حصن وخنديق ومحبس وأبواب محددة والجسور - ترفع كل ليلة ، والجادة تشق البلد والجامع ظريف بطرف السوق " (٤)

ولم تشهر القرية الا بعد أن نبغ الزمخشري وطار صيته ، فعرفت بانتسابه اليها .

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١ - البلاغة القرآنية ص ٢١ الزمخشري : الاحاجى النحوية المحقق ط ٥

(٣) معجم البلدان ١ : ١٤٧ - تاج العروس مادة زمخشر

(٤) المتدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٨٩

أكثر المراجع التي رجعت إليها تنبئ أن ولادة الزمخشري كانت في
قرية التي ينسب إليها (زمخشري) في شهر رجب سنة سبع وستين
وأربعمائة (١) .

ولم يحدث خلاف بين المؤرخين وأصحاب التراجم في مكان ولادته
أما تاريخها فيذكر أنه ولد في أواخر شهر رجب سنة ثمان وستين (٢)
ولعل إجماعهم يرجح بما اعتمده القفطي في ولادته .
أصله وأسرته :

تشير الدلائل التاريخية إلى أن الزمخشري كان فارسياً ، ومع هذا فمن يتابع
سيرته يرى مدى اندفاعه نحو العروبة والدين الإسلامي ، وإخلاصه لهما ،
وذوده عن حياتهما .

وقد يلاحظ المقتضى لترجمته أن ليس هناك بين المراجع من تعرض
للبحث عن أصله أو أسرته ، ولعل السبب في ذلك أن آله — باستثناء
أبيه — كانوا من المغمورين الذين لم يتح لأحد منهم مكانة سياسية أو
ثقافية أو اجتماعية ، أو علمية تظهره كما فعل الزمخشري نفسه .

والحديث عن أسرته لم يأت إلا عن طريقه ، وذكر أقرانه لم يبتلنا إلا في
شعره ، وليس لنا شاهد على ما يقول عنهم في ديوانه سواء .
وقد بين لنا مدى استقامة أسرته ، ونزاهتها في أبيات من شعره (٣)

كما ذكر أباؤه وما يكتنفه من تقوى ، فهو صوام قوام ، ذو طباع صافية
وهو مستقم اللون من خشية الله ، وكان معولاً كما يوحي بذلك شعره . (٤)

(١) انظر : ابن الأنباري : نزعة الألباء ، ص ٢٩٢ — معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧
— الزمخشري ، ص ٣٥ — دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٣ — المزعمر
٢ : ٤٦٨ — الكشف ٤ : ٣٠٧ — منهج الزمخشري ، ص ٢٣ — الد راسات
النحوية واللغوية ، ص ١٠ — المدارس النحوية ، ص ٢٨٣ .

(٢) انباه الرواة ٣ : ٢٧١

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص ٢٥

(٤) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، ص ٢٦ — البلاغة القرآنية ، ص ٢٤

ويبدو أن أباه قد وصى به الوشاة ، إلى كافي الكفاة مؤيد الملك
(ت ٤٩٤ هـ) (١) فسجنه ، ومكث في السجن بضع سنين ، وكان سبب
سجنه مجهولا ، إلا أن الواضح من شعر الزمخشري أن السبب كان سياسيا
فهو يستعطف (مؤيد الملك) ويستشفعه بفضل أبيه ، ويعلمه وبالعنفاء
من اطفاله ، وهو يرى في سجن أبيه أسرا ، وليس ارتكابا لجريمة ضارة
بالمجتمع فيقول : (٢)

أكفا الكفاة مؤيد الملك الذي خضع الزمان لعزه وجلاله
أرحم أبي لشبابه ولفضله وأرحمه للضعفاء من أطفاله
أرحم أسيرا لورآه من العدى أقساقم قلبا لرق لحاله

ولكن مؤيد الملك لم يستجب لنداء الزمخشري في طلب الرحمة بأبيه
ذلك لأنه كان سياسيا حريصا ، شديد الحيطه ، ولعل هذه الصفات هي
التي دفعت بعض المؤرخين أن يصفوه بسوء السيرة كما فعل ابن الاثير (٣)
مات والد الزمخشري في السجن ولم يتجاوز عمر الابن في ذلك الحين
إحدى وعشرين سنة ، وكان أبوه قريب عهد بالشباب حين توفي كما يبيننا
شعر الزمخشري . (٤)

وهكذا فقد أبوه الذي شمل بعطفه ، ورعاه في حداثته ، ومما زاد الابن
حسرة وأسى أنه لم يكن عند أبيه حين وافاه الأجل ، فهو دائم الترحال
في طلب العلم ، ووالده مكبل في ظلمات السجون ، ويبدو أنهما كانا يحسان
لذعة الفراق معا في حياتهما ، فكيف الفراق الدائم الذي يخبر عنه في
هذا الرثاء : (٥)

(١) هو ابن نظام الملك الذي كان يتولى رئاسة دواوين السلاجقة
في ذلك الحين .

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٥

(٣) الكامل في التاريخ ٨ : ١٩٧

(٤) بهيجة الحسنى : الزمخشري شاعرا ص ٥ - الزمخشري مناقب العشرة

المحقق ص ١٠

(٥) منهج الزمخشري ص ٢٦ - البلاغة القرآنية ص ٢٤

يا حسرة أننى لم أروغلتها وغلتي بزمان فيه نجتمح
قد كنت أشكو فراقا قبل منقطعها وكيف لى بعده بالعيش منقطع
هذا شأن أبيه ، حياة كلها إرهاب ، وعيلة وسجن ، وموت بطنى .
أما أمه فنلمس مما ذكره عنها أنها صالحة تقية ، ذات عاطفة رقيقة
حتى على بخت الطير أو ضعف الحيوان .

فقد تحدث عن سبب سقوط رجله حين سئل عن ذلك ، فقال : دعاء
الوالدة ، وذلك أنه كان في صباه أمسك عصفورا ، فربطه بخيط في رجله
فأفلت من يده ، فأدركه وقد دخل في خرق ، فنجذبه فانقطعت رجله في
الخيط ، فتألمت والدته لذلك ودعت عليه . . بقطع رجله كما قطع رجل
العصفور ، فلما وبل إلى سن الطلب رحل إلى بخارى يطلب العلم ،
فسقط عن الدابة ، فانكسرت رجله ، ثم انتهى الأمر إلى قطعها بسبب ذلك (١)
رقعة إنسانية فأقت عاطفة الأمومة ، فقد أنساها نزع رجل العصفور ابنها
فاندفعت تلقى عليه اللوم ، فتدعو تلك الدعوة التي انطلقت وكأنها سهم
أصاب هدفه .

كان لهذه الأم أثرها البالغ في حياة صغيرها ، فقد سهرت على
تهذيب طبعه ، وحسن تربيته فبث نباتا حسنا ، وصار إلى ما صار إليه
من صلاح وتقوى ، وخدمة للعلم والدين .

إن شيئا بعد هذا عن خيلة أمه لم يصلنا ، وأكثر من هذه القيمة
التي ارتبطت بقطع رجله لم نعرف عن حياتها ، أو أسرتها ، أو عملها
شيئا وكل ما هنالك مورثاؤه أياها رثاء ينم عن شدة جزعه ، وتفجعه عليها (٢)
فهو يكيها بدمعة لاتجف ، ويتمنى أن تكون روحه وأرواح عشيرته لها فداء
أما عن أقاربه فقد ذكر من فرستهم المنية منهم ، ذكر أن له جدا
وأخا ، وكما وخالين شهد المنايا تتخطفهم ورثاهم في شعره . (٣)

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ - الشذرات ٤ : ١١٨ - الوفيات ٥ : ١٦٨

(٢) الزمخشري شاعرا ص ٥

(٣) منهج الزمخشري ص ٢٧

هذا كل ما نعرف عن أسرة الزمخشري وآله ، وهي كما أُلْمِعا إشارات
عابرة جاءت على لسان الرجل في شجره .

شخصيته :

البحث في الشخصية هو البحث في صفاتها ، وهي إما حسية أو معنوية
فالحسية : تقوم على الصفات الحلقية من المحاسن والعيوب .
والمعنوية : تقوم على الأخلاق التي يتفاعل بها الإنسان مع المجتمع
وأهم ضوابط هذه الصفة هو الدين ، فكما زاد قرب الإنسان من الله
كلما استقام خلقه ، وكلما بعد عنه كلما تاه والتبس عليه أمره .
ولم يصلنا شيء عما كتب في صفات الزمخشري الحسية ولحل ما كتب
عن صفاته المعنوية أضاع ما كتب عن صفاته الجسدية .
والصفة الوحيدة التي كررتها المراجع المتعددة ، هي ستوط ساقه ،
ويبدو أنه كان شديد الحساسية إزاء هذا العيب ، فقد عمل جاهدا على
أن يتم الكثير من صفاته المعنوية تحويها لهذا النقص شأنه في ذلك
شأن الكثيرين من أصحاب العاهات .
وقد ذكر أنه كان إذا مشى ألقى على رجله المبتورة الثياب الطوالى
فيثمن من يراه أنه ليس بأعرج . (١)

أما صفاته المعنوية ، فيمكن تقسيمها قسمين :

- الأول : سن الشباب المتوثب سن المخامرة والطموح .
- الثاني : الميل إلى الهدوء والاستقرار ، والنظر إلى الدار الآخرة .
- فالطور الأول : يبدأ بولادته وينتهي بمرضه المذرة وينبغي أن

أن البقى الضوء على المؤثرات التي كانت توجه تصرفاته مع غيره .

فقد ولد لأبوين صالحين وعاش في كنفهما حياة الطفولة ، وأول عهد
عهد الشباب وكانا صاحبي دين وثقوي فكونا له البيئة الخامة التي
رعته رعاية حسنة طيبة ، بعيدا عن مؤثرات الجهل والخلال ، وأسسهما
في تنشئته تنشئة دينية إذ كان أبوه عالم قريته وكان ورعا صواما قواما
حريصا على مكارم الاخلاق ، وكانت أمه ذات عاطفة دينية وإنسانية رقيقة
فأضحى ثمرة طيبة لشجرة طيبة .

ولا شك أنه كان هناك تعاون في تنشئته بين أهله وبيئته العلمية التي
كان لها الأثر العظيم في هذا التدين وكانت هذه البيئة تمثلها
مدارس الحديث الكثيرة التي أسسها نظام الملا ، كما تمثلها مجالسه التي
كان يعمرها القراء والفتهاء وأهل الخير والصالح .

وقد هيأته هذه النشئة منذ أصبح في باكورة شبابه إلى أن تطمح في
نفسه للوصول إلى أصحاب المناسبات من العلماء ، والحكام والوراء والأمراء
علّه يتبوأ مكانة تليق بعلمه وذكائه ، وأدبه كما كان يرجو أن ينال من
المال ما يكفل له حياة رغيدة تجعله في مصاف الطبقة المرموقة في ذلك
العصر ، فوسم اتصالاته برجال الدولة السلجوقية ، وكان الفضل في الاتصال
يعود إلى أحد شيوخه إذ قدمه إلى الوزير نظام الملك .

ومنذ أن اتصل بهذه الطبقة ، وهو يتفاعل بطموح الشباب المتوقد إذ
يهمه الشهرة والافصاح عن الذات كثيرا ، لذلك يناقش العلماء ومدح الأمراء
وطلب الجائزة لكنه طلبها في عزة نفس ، وكان يحفظ بهذه العزة مبكرا ،

فقد مدح نظام الملك قبل الثامنة عشرة ، وكما شفه بفقره وحاجته مح
اعتداده بعلمه وأدبه * (١)

ولكن مسيحاته عند الوزير ذهبت أدراج الرياح ، ولم يحظ منه بطائل
كما قال ولعل ذلك يرجع الى عقيدته الاعتزالية التي تناقض عقيدة الوزير
نفسه .

ومع هذا لم يكف عن المدح والشكوى بعد وفاة الوزير فقد أخذت
قدمه تحمله إلى أعقاب الساسة والأفراء ، ويعرض رأس ماله من علم وأدب
ليلقى منهم العون الذي يستطيع به أن يحول الأسرة والضعفاء الذين
تركهم أبوه ولعله يستطيع بذلك أيضا مواصلة الدرس والبحث العلمى
يقول مادحا الوزير مجير الدولة ، ومفتخرا فى آن واحد : (٢)

فمن مبلغ عنى الوزير بأنى كفيل بغاد من شناه ورائح

فليت رحالى ألقيت بقائه فارتح فى تعمائه غير نازح

ويقدح زندا وأريا من مناقبى اذا صلدت كل الزناد لقادم

وقد يفهم من شعره أنه تنبى أن يكون غنيا بالمال والجاه ولا يريد

تلك الألقاب والنحوث الكريمة حين يقول : (٣)

فيا ليتنى أصبحت مستغنيا ولم أك غمر خوارزم ورأس الاغاضل

ويا ليتنى مرضت بديقى ومسخدم عدوى وأنى فى فهاهة باقل

فلمست بفضل بالغا ولو اننى كقس إياك أو كسحبان وائل

ولكن يبدو أنه ليس جادا فى أمانيه هذه ولعل مبعث هذا أنه

كان يرى الدنيا مقبلة على من دونه فى معارفه وعلمه فكان كثيرا ما يرفع

فقيره مادحا نفسه ، مفتخرا بعلمه ، وموئلاته * (٤)

(١) الزمخشري ص ٧٣ - ربيع الابرار المحقق ١٠ : ١

(٢) منهج الزمخشري ص ٣٤

(٣) الزمخشري ص ٧٥

(٤) ربيع الابرار المحقق ١٦ : ١

وتد لخص أخلاقه في هذه الفترة السابقة لمرضته المنذرة بأنه إن من الله عليه بالسحة ألا يثأر بأخيمه عتبة السلطان ، وأن يربأ بنفسه ولذائه عن قرصه الشعير في الحكام ، وأن يحف عن عطاياهم ، ويوجد في اسقاط اسمه من الديوان ومحوه ، وأن يحنث نفسه حتى تعوض ما فاتها في سنى جاهليتها . . . (١) فهو يطلق على هذه الفترة سنى الجاهلية من عمره . ويقول وهو يؤنب نفسه في مائة الانابة : " أبعد ما عطيت شبيبتي في التغزل والتشبيب ، وذهبت بنفوة عمرك في صفة الحب والحبيب ، واخلفت حلمك في أودية الهوى ، وعكفت همك على أبرق الحمى وسقط اللوى ، واتخذت بقر الجواء بلائك ، وفنتك ووشيت لطباء وجرة ذئلك وفطنتا . . . " بخلاف هذه لخص حياته في شبابه ، وبين مستوى ما كان عليه من اسلاق رديئة ثم اتجه نحو خط الجادة في حياته الجديدة .

الطراز الثاني :

فاذا ما يرى من مرضته تلك وعاول شفاطه نراه يرتضى لنفسه أخلاقا جديدة يلخصها في خطابه نفسه " . . . وتتقن بقرسيها ولطريها ، وأن يجتهد بحبل التوكل ، ويثبتل إلى ربه ويتشك ويجعل مسكنه لنفسه محبسا ويتخذ لها مخبسا . . . وأن لا يدرس من العلوم التي هو بعيد عما إلا ما هو مهيب بدراسة من الهدى ، وادع له عن مشايحة الهوى . . . وتاب التوبة النمود . . . (٢)

(١) انظر : الزمخشري : مقامات الزمخشري ص ٨ - ١٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

(٣) المصدر نفسه ص ٨ - ١١

تنفيذا لهذه الخطة التي اختطها لنفسه لمزم بيته أربع سنوات يراقب نفسه ويؤلف الكتب النافعة في دنيا الناس وآخرهم : ألف المفضل ، والمقامات والفائق في غريب الحديث ، وكتب أخرى كثيرة وأخذت نزعة الفخر والإعجاب بنفسه تنزوي حتى زالت ، ثم تنسك وزهد في آخر أيامه فأصبح شديد التواضع في نفسه وعلمه . يبدو ذلك واضحا في كتبه التي ألفها ، وينبغي أن نورد بعض النماذج التي توضح للقارئ مدى التغيير الذي طرأ عليه .

— يقول في مقامة الإنابة مخاطبا نفسه : " تريد ويحك أن تضر على ما فعلت ، وأن تشيع النار التي أشعلت ، مهلا مهلا فطست لذلك أهلا عليك بالخروج الواهية ، مشنوقا في رفوعا ، وبالكلوم الدامية متنطسا في أسوها أنب الى الله لحل الإنابة تحصن ، واغزع الى الله لحل الفرع يخلص . . . " (١)

— وينقل عنه الساموئي قوله : " ان النفس لا مارة بالسوء تطلب منك أن يكون مسكنها دارا اقورا " وسكنها مهلاة حورا تجر في عرضتها فضول مرحطها " (٢) وفي جوابه لأبى طاهر السلفي حين كتب اليه من الاسكندرية يستجيزه : " ما مثلي مع اعلام العلماء الأكمل السهلا مع مهابيح السماء والجهايم الصفر من الرهام ، مع الضوادي العامرة للقيعان والآكام والسكيت المحلق مع خيل السباق والبغات مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة الاشبه الرقم بالعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلى فيها أقلص من ظل حصاة . . . " (٣)

(١) مقامات الزمخشري ٣٤

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٢

(٣) الكشف ٤ : ٢٠٨

— ويحدثه رشيد الدين الوطواط أحد تلاميذه عن أخلاقه العلمية ، وما كان يحدث بينهما من حوار علمي فيقول : " وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحته ، مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام علوم الحرب مسائل أكثر من أن يحصى عددها ويستعصي أمرها رجح فيها إلى كلامي ونزل على أحكامي " (١)

منافقهم يتبين لنا الفرق بين عهدينا عاشهما الزمخشري عهد الشباب الطامح الذي كان لا يسلم فيه لأحد في قضية ، وقد ذكر أنه كان يقول : " أنا أبو القاسم المعتزلي من يبارزني ؟ " (٢)

ثم تهدأ تلك الثورة وتنزوي فيخل مكانها فضل أهل العلم ونموذج العلماء الاتقياء في تواضعه وقد رأينا كيف أن ذلك الشيخ الحلاق ينزل عند إرادة تلميذه ويمنح العلم حقه .

فحق لنا أن نعدّه عبورا على مرارة الحق مع أنه من أرباب هذه العلوم ، وأصحاب هذه الفنون ، فهو مع الحق ولو على نفسه .

انصرافه عن الزواج :

عاش الزمخشري عزبا لم يتزوج ، فلم يشغل نفسه بصاحبة ولا ولد واختار هذه الطريقة قبله بعض العلماء منهم : الكسائي ، والطبري ، وأبو حيان التوحيدي . (٣)

ولعل السبب في سلوكهم هذا ، هو انصرافهم إلى طلب العلم ووجود لذتهم فيه ، والبحث والتحصيل ، وإذا كان أحد منهم لم يفصح عن سبب انصرافه عن الزواج فإن الزمخشري قد علل عزوفه ذلك ببعض العلل فهو

(١) رشيد الدين الوطواط : من رسائل البلغاء ص ٣٧٨

(٢) الشيرازي : الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١٥٨

(٣) البلاغة القرآنية ص ٢٦ — أحمد الحوفي : الطبري ص ٤٢

فهو يخشى + يولد له ولد غير كيس فيكون سباً وماراً ، وكلم من والد
يرى ولدً ويشقى ثم يشقيه ولد ، حين يراه حقيراً ، يحباً به ويبتلى
اليه فهو يقول في ذلك : (١)

تصفحت أورد الرجال فلم أكد أصادف مراً يقضى امرأته وأبناً
أخو شقوة ما زال مركب طفله فأصبح ذاك الطفل للناس مركباً
لذال تركب النسل واخترت سيرة مسيحية أحسن بجذلك مذهبا
وأن أدري كيف يسبق الزمن فيحكى هذا الحكم ، أو يتحلل بتلك
العلة وما علمه بمستقبل ذلك المولود ان كان عالماً أم طالماً ؟ أم
اطلع على الغيب ؟ .

وكيف يسمى لنفسه بسيرة مسيحية ، ويشقى على تلك الطريقة وهو
للذى ينقل عن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم : (٢) " من أحب
فطرته فليستن بسنتي وهي الناح " .

وقوله : " من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا " .
وقوله : " اذا تزوج أحدكم عج شيطانه ، ياويل له عصى ابن آدم مني
فلشي دينه " . (٣)

وللزمخشري حطاً عجيباً يعجب فيها جاء غضبه على الزواج والنساء
فمن أقواله في ذلك : " وأدري أيهما أشقى : من يحوم في أمواج
أم من يقوم على الزواج " . (٤)

ويقول : " أنت من النسوة من اتخذ النسوة أسوة " .

ويقول : " النساء متى عرفن قلبك بالرقاع المقت أنفل بالرقاع " (٥)

(١) الزمخشري ص ٦٧ - البرغوث القرآنية ص ٢٦

(٢) الكشف ٢ : ٦٣

(٣) المصدر السابق

(٤) الزمخشري شاعراً ص ٤

فهو صارم في هذا الأمر دون تردد ولعله نسي كل دوافع الزواج حتى التي كتبها بيده عن رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ، إذ يخاطب عياضا " يا عياض (١) لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا غائبي مكاشر " (٢) فهو يردف أقواله السابقة بهذا الحديث ، والأحاديث في هذا الشأن مستفيضة .

ولكن ، لعل الزمخشري وجد لنفسه مخرجا دينيا يعتمد عليه في تركه الزواج فهو يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت العزوة والعزلة والترهب عليي رؤس الجبال (٣) وفي حديث آخر " يأتى على الناس زمان لاتزال فيه المعيشة إلا بالمعصية ، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوة " (٤) .

والزمخشري أجل من أن ينال عيشه بالمعصية فقد ثبت علمه وتقواه ولا ينبغي له أن يتردد في مثل هذا . ليعترك النسل خشية الاملاق ، كما لا يصح أن يأخذ بهذا الحديث وحده دون الأحاديث التي تحثه على الزواج .

أما الزمخشري على موقفه هذا حتى الأمه أهله ونصحوه بالزواج فكان يرد عليهم نصحهم ويلومهم في : عوتهم ويبين لهم فساد الأولاد ، وقبحاتهم وأن من له عيال شقي طيلة دهره فهو يخشى فضيحة الابن لأنها فضيحة لأبيه ، وينبغي له أن يترفع عن تلك الفضائح . (٥)

والاسباب التي التمسها الزمخشري مبررا لعدم زواجه ، أسباب واهية ،

(١) هو عياض بن غنم من شجعان الصحابة وغزاهم ت ٢٠ هـ .

(٢) الكشف ٦٣ : ٣

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر نفسه

(٥) منهج الزمخشري ص ٤٣ - البلاغة القرآنية ص ٢٦ - الزمخشري شاعرا ص ٤

ولكن بقی هناك سبب تحدث به واعتمد عليه ، وهذا السبب من اليسير أن يلجأ اليه أمثال الزمخشري وذلك هو العلم . انظر اليه في قوله : (١)

سهرى لتتقيح العلوم أذلى من وصل غانية وطول عناق
وشايلى طربا لحل عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساق

فلأنصرف إلى العلم عنده أجدر من الزواج ولكن هناك من العلماء من يضاهونه بل يرجحونه ، ولا نعلم أنهم تركوا الزواج من أجل ذلك . ومع هذا يبدو من الشعر المنسوب للزمخشري في روضات الجنات أنه تزوج (٢) ،

فلعل عزوفه عن المرأة مرده إلى زواجه الذى لم يصحبه فيه التوفيق ثم ان عاهته ربما كان لها في هذا الموضوع شأن .

جواره الاول لبیت الله الحرام :

كانت نفس الزمخشري في شبيبته تطمح في الوصول الى ما يرى أنه أليق به ويعلمه الخزير ، أن يعينه في كشف السلطان علّه بذلك يخدم آله ومذهبه ، فلما لم يتحقق أمله ولم يبلغ ما كان يهدف اليه فكر في الرحيل . ولكن نزوعه إلى وطنه وحبه إياه كان سببا يحول دون تنفيذ رغبته تلك . فغبر عما تنطوى عليه نفسه من ألم وحسرة وشغور بالاذلال في قوله : (٣)

وما منزل الاذلال للحر منزلا وان كان عيش الحر فيه رغيدا
سأرحل عنها ثم لست براجح وأضرب رمي في البلاد بعيدا
فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة ولا عشت بين الصالحين حميدا
وجعل يكرر ما بنفسه من ألم ومرارة حتى مرض مرضة أنهكت قواه . تلك

(١) الكشاف ٤ : ٣٠٤ - البلاغة القرآنية ص ٢٧

(٢) الخونساري روضات الجنات ص ٣٢٣

(٣) منهج الزمخشري ص ٣٢

هي المرضة المنذرة كما سماها ، فاخذ على نفسه العهد ان من الله
 عليه بالشفاء "ألا" يطأ عتبة سلطان ، أو يمدح واليا ، أو يطمع في منصب .
 وتاب بعدها توبة نصوحا وجعل لنفسه منهاجا يسير عليه .
 من الله عليه بالشفاء ، فعاود التأليف والمناظرة ، وكان ينزع الى طهارة
 النفس ، ففكر جادا في الحج إلى بيت الله الحرام ومجاورته هناك . فشرح
 الله صدره ، وعبر عن نيته وهو في طريقه فجعل يصبر فيها عن غيظته
 وسعادته في قصيدة مطلعها : (١)

سيرى تماضر حيث شئت وحدثى أنى إلى بطحاء مكة سائر
 حتى أنيخ وبين أطمارى فتى للكعبة البيت الحرام مجاور
 وفي هذه القصيدة يخترق الزمخشري بكباثر مثل الجبال وذنوب لا
 يكثرها الحمى ويرجو الله أن يكسوه لباس البر ويعلن أنه ترك وطنه
 مهاجرا الى الله وأن هذه الهجرة هي تجارة الأبرار ونعم التاجر من يبيع
 دنياه بدينه ويعلن أن كل بيع سوى ما عقده التقي فهو بيع خاسر ، فيقول :
 خربت هذا العمر غير بقية فلعلنى لك يا بقية عامر
 ثم يصرح بأنه سيقى بين وفود مكة ، ويضرب قلبه حتى يحل أجله وهو
 ضيف الله وحسبه جواره ، يقول في قصيدته هذه :

بقناء بيت الله أضرب قهتي حتى يحل بي الضريح القابر
 ألقى العصا بين الحطيم وزمزم لا يطببني اخوة وعشائر
 استقرت بلابله بمكة البلد الحرام ، وهناك عرف أميرا شريفا ذا فضل
 وقلم غزير ، هو على بن عيسى بن وهاشم الحسنى فرحب بالزمخشري ، ورفع
 من شأنه ورعاه وبنى له منزلا على باب أجياد وتوطدت بينهما الصداقة والمودة
 وشياد لا الاستفادة العلمية ، والاخوة الصادقة .

جعل الزمخشري، يتردد على بيت الله الحرام مطمئناً «هأدي النفس
 في رعاية ذلك الأمير وكشفه، والأمير يبذل في سبيله الغالي والرخيص،
 فيمدحه الزمخشري معترفاً بأياديه عليه، ويمدح فيه انتماءه لسلالة الرسول
 صلى الله عليه وسلم (١) . وعند إقامته بالحجاز زار عمداً، ومدح آل
 زبير هناك (٢) .

ومكة، يتطوف في أرجاء الجزيرة العربية، ويتعرف على أهلها (٣) .
 انتدح الزمخشري للعلم في مكة، ووفد إليه طلاب كثيرون فضلاء عن قتيان
 مكة المذنبين كانوا في طلبه تلك الجموع الحاشدة (٤) .
 حنت نفس الزمخشري إلى وطنه - وأى نفس لا تحن إلى مرتع مباحا
 وملعب طفولتها، فنفسه نفس بشرية تهفو مرة وتجفو أخرى، تحن لذكرى
 عزيزة سكنت إليها مدة من الزمن - فاراد أن يطأ مهدى شوقه الذي
 عبر عنه في شعره (٥) .

وظل هذا الحنين يعاود الزمخشري حتى عاد إلى خوارزم وأقام فيها
 زمناً .

جواره الثاني :

منذ فارق الحرم الشريف راجعاً إلى وطنه، عاوده الشوق، والحنين
 إلى الأماكن المقدسة، وكان شوقه إليها أشد مما كان عليه .

(١) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ - الزمخشري ص ٤٣ منهج الزمخشري ص ٢٦

(٢) الزمخشري ص ٤٣

(٣) أساس البلاغة مادة (ترب)

(٤) انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ - مناقب العشرة مقدمة المحقق ص ١٤

(٥) البلاغة القرآنية ص ٤١

لقد بكى غرقه هذا في قصائد تحبر عن مرارة ، وألم على ما فرط منه
فهو . بكى على الصخر المبارك كالخنساء تبكي صخره فيقول : (١)
تذكرت أيامي بها فكأنني قد اختلف زرق الاسنة في سدرى
أبيت على الصخر المبارك باكيا كما كانت الخنساء تبكي على صخر
وتزداد حسراته ليحبه الفوز بالشتاوة واستبداله الدنيا بالآخرة فهو
يكابد ليلا أسود ، وقد غار مجرى دمه ، ولا يلصق لنفسه عذرا في رحيله
عن مكة . (٢)

لهذا عزم على العودة الى أم القرى ، ليكون في رحاب بيت الله ،
وكانت عودته تلك في سنة ٥٢٦ هـ وجاور بها جواره الثاني سبع سنين ،
فاستقر به المقام وكان راضيا عن نفسه شاغلا قلبه بعبادة ربه . وقد قال في
ذلك شعرا ينم عن راحة ضمير ، وسعادة نفس . (٣)
مكث عند وصوله مكة لدى ابن وهام وسحبته ما شاء الله ان يمكث
وتوثقت بينهما ^{الروابط} . وتبادلا المدح وأقر الزمخشري للشريف باتعانه
وأياديه عليه . (٤)

أكب الزمخشري على التأليف في بيت الله الحرام ، فألف الكثير من
كتبه هناك كما جمع ديوان أشعاره تنفيذا لاقتراح الشريف ابن وهام .
عاود الزمخشري الحنين الى وطنه فتوجه اليه ، وأثناء عودته مر ببغداد
سنة ٥٣٣ هـ ، وقرا بعض كتب اللغة على ابن منصور الجواليقي ، ينقل صاحب
وفيات الأعيان عن بعضهم قوله : قدم علينا بغداد سنة ٥٣٣ هـ ورأيت

(١) منهج الزمخشري ص ٣٧

(٢) مناقب العشرة للمحقق ص ١٥

(٣) البلاغة القرآنية ص ٤٣ - مناقب العشرة المحقق ص ١٥

(٤) ربيع الأبرار المحقق ١ : ١٢

عند شيخنا أبي منصور الجواليقي مرتين • (١)

مدة جواره :

لم يرد شيء عن مدة جوار الزمخشري وقد اختلف الكاتبون في هذا الامر ، فمحقق ربيع الأبرار يرى أنه عاد من جواره الاول الى بلاده سنة ٥٢٥ هـ • (٢)

لكن الراجح أنه عاد الى مكة لجواره الثاني سنة ٥٢٦ هـ وفي أثناء عودته مر بالشام ومدح تاج الملك صاحب دمشق المتوفي في ذلك العام الذي عاود فيه جواره ، ولما تولى ابنه شمس الملك أرسل اليه بقميدة تهنئة من مكة المكرمة • (٣)

ويقول صاحب كتاب (الزمخشري لغويا ومفسرا) : لا ندري متى فارق الزمخشري مكة الى بلاده حوارزم للمرة الاخيرة ، ولكننا نحرف أنه تردد على بغداد مرتين آخرهما سنة ٥٢٣ هـ ، وقد يكون أنهي إقامته ذلك العام (٤) وهذا التاريخ الذي حدده لانها جواره الثاني متفق عليه •

ولكنه يقع في الخطأ حين يحلن ان الزمخشري رحل الى مكة المكرمة نحو عام ٥١٢ هـ وأقام فيها مجاورا • (٥) وألف في هذه الفترة : الفصل (٥١٢ - ٥١٥ هـ) والفائق ٥١٦ هـ وفي هذا العام عاوده الحنين الى وطنه ، فتوجه اليه ثم عاد الى مكة مرة أخرى قبل ٥٢٠ هـ أو على الاصح ٥١٨ هـ حيث لقي فيها اليايى (٦) وقرأ عليه كتاب سيبويه (٧)

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٤٤٠ - منهج الزمخشري ص ٤٢

(٢) ربيع الأبرار المحقق ١ : ١٢

(٣) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٢٤٣

(٤) الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١٦

(٥) المرجع السابق ص ١٠٤

(٦) عبدالله بن الحمة اليايى : نحوى أندلسى كان مجاورا بمكة (ت ٥١٨ هـ) انظر البحر المحيط ٤ : ٢٧٢ - بحية الوعاة ١ : ٨٤

(٧) الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١١١

ويقول : وطالت إقامته بمكة في المرة الثانية ، فامتدت قريبا من الأربع
عشرة سنة) . (١)

وكانه يقول هذا ليربط بين جواره الثاني الذي حدده بسنة ٥١٨ هـ
ومروءه الأخير ببغداد سنة ٥٢٣ هـ في نهاية هذا الجوار .
ويضعف قوله هذا أنه يغفل مرور الزمخشري بالشام في سنة ٥٢٦ هـ
ومدحه لتاج الملك .

ويبدو لي أن مدة جوار الزمخشري الأول كانت خمس سنين . ومدة
الثاني كانت سبعا . فالجوار الأول يبدأ بسنة ٥١٦ هـ وينتهي بسنة ٥٢١ هـ
وفي هذا الجوار التقى باليابري ٥١٨ هـ كما سبقت الإشارة .

والجوار الثاني يبدأ في ٥٢٦ هـ وينتهي هذا الجوار في ٥٢٣ هـ حيث
(٢)

التقى بالجواليقي في بغداد أثناء عودته ، ويثبت هذا من شعره إذ يقول :

فجاورت ربي وهو خير مجاور	لدى بيته البيت المحرم عاكفا
أقمت بأذن الله خمسا كواملا	وصادفت سبعا بالمعرف واقفا
وتم لي الكشف ثم ببلدة	بها هبط التنزيل للحق كاشفا
وزرت ابن عباس بوج ونممت	يدى عند رأس الحبر منه طرائف

لقد شعر الزمخشري بموجة من الزهد عارمة فاختار لنفسه الطريقة
الأويسية ، ونقل كتبه الى مشهد الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان ووقفها
عليه ليستفيد بها علماء المسلمين وطلاب العلم ، ولم يبق معه غير كتاب
الله المبين . (٣)

وافته عينه بجرجانية خوارزم وقد اتفقت المراجع التي وصلت اليها أنها
كانت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ومنهم من حدد اليوم بيوم عرفة من

(١) الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١١٦

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٠

(٣) ربيع الابرار ١ : ١٤

ذلك العام . (١)

ويتفق ابن كثير معهم فى سنة وفاته لكنه يقول : انه توفى عن

ست وسبعين سنة . (٢)

ومعنى ذلك أن ميلاده يكون سنة اثنتين وستين واربعمائة ولم يقل به

غيره .

وعبارة ابن الصمد واضحة لا لبس فيها حين يذكر وفيات خمسائة

وثمان وثلاثين للهجرة فيقول : " وفيها توفى أبو القسم الزمخشري

محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي صاحب الكشف ، والمفصل ، ثلاثين احدى

وسبعين سنة " (٣) وهذا موافق للجميع كما يضعف من رواية ابن كثير .

هذا ، ورثاه احد فتيان مكة بقوله : (٤)

فارض مكة تزي الدمع مقلتها حزنا لفرقة جار الله محمود

ويذكر ابن خلكان ان الزمخشري أوصى أن يكتب على قبره هذه

الابيات : (٥)

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى نياط عروقها في حرها والمخ في تلك العظام النحل

انظر لعبد تاب من قراته ما كان منه في الزمان الاول

ويقول اليافعي : ان الزمخشري أوصى أن يكتب على قبره هذين

البيتين : (٦)

(١) شذرات الذهب ٤ : ١٢١ - نزهة الألب ٢٠١ : ٢٩٢ - الكشف ٤ : ٣١٠

تاج العروس مادة (زمخشري) - دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣
النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ - البحر المحيط ١ : ١٠

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢ : ٢١٩

(٣) شذرات الذهب ٤ : ١٢١ - اليافعي مرآة الجنان ٣ : ٢٧١

(٤) الزمخشري : مناقب العشرة المحقق مرآة

(٥) وفيات الاعيان ٥ : ١٦٨ - ربيع الابرار المحقق ١ : ١٤

(٦) مرآة الجنان ٣ : ٢٧١ - الداودي طبقات المفسرين ٢ : ٣١٦

النهي لقد أصبحت مُبِقِك في الشرى
وللضيف حق عند كل كريم

فهب لي ذنوبي في قرأى قانها
عظام ولا يقرى بخير عظيم

لعل هذه الابيات توحى بحدود الزمخشري الى احضان السنة المحمدية
وتركه لمذهب الاعتزال فالفكر الاعتزالي يقر بأن الاله يعلم الكلليات دون
الجزئيات سبحانه . (١)

(١) أحمد محمود سبحي : في علم الكلام ص ١٣

الفصل الثاني

الزمخشري والاعتزال

رئيسية المعتزلة

الاعتزال نقطة بارزة في حياة الزمخشري ، كان له أثره المباشر في اتجاهاته العقلية واللغوية والثقافية ، لذلك خصصت هذا الفصل ليتضح مدى تأثره بتلك الفرقة ، ومدى تفانيه وإخلاصه في خدمة ذلك المذهب .

وقد نشأت هذه الفرقة بسبب /أحد تلاميذ الحسن البصري حين كان يحضر دروس الحسن البصري ، فتقدم رجل يسأل الشيخ عن رأى الدين في مرتكب الكبيرة قائلًا : لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بها عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج .

وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تنزع مع الإيمان ولا ينزع مع الإيمان محصية . كما لا تنفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا ؟ (١) فلجابه بأنه منافق .

فقال وأصل بن عطاء : مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن بالطلاق ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين ثم انسلخ عن حلقة الدرس ، واتخذ لنفسه مجلسا في مكان آخر من المسجد وتبعه مناصروه في الرأي ، فقال الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) : اعتزلنا وأصل يسمى هو وأصحابه بالمعتزلة .

ومنذ ذلك الحين نشأت فرقة المعتزلة : وكان رأسها وأصل هذا (٢) .

لم يقف الأمر بالمعتزلة عند مسألة مرتكب الكبيرة ، بل تطور بهم إلى أن نصبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام وحمايته .

فقد دخل الاسلام بعد الفتح اهل ديانات مختلفة من يهودية ،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٦٠

(٢) الشالبي : لطائف المعارف ص ١٠٧

وفضرائية ومانوية، وزرادشتية وبرهانية وجائنة، ودشيين وغيرهم *
 وكان ممن أسلم من هؤلاء علماء في تلك الديانات لعلمهم غير مخلصين
 للإسلام فآخذوا يفكرون في مسائل يثيرونها، لتدخل في جدل ومناقشات
 يلبسونها ثوب الاسلام * (١)

منهم المعتزلة للدفاع عن الاسلام منذ رد واهل على مخالفى مذهب
 وهو في الثلاثين من عمره، وألّف كتابا للرد على المانوية سماه " الف
 مسألة للرد على المانوية " (٢)

كان المعتزلة قد تسلحوا باملاح الذى يتحصن به هؤلاء المخالفون
 وهو الفلسفة اليونانية بما فيها من منطق ولاهوت *

فانكب علما وعم وطلابهم على الفلسفة يدرسونها وخاصة فلسفة أفلاطون
 وأرسطو فأصبحوا بذلك من أقدار المسلمين على المجادلات الكلامية -

ولعل هذه الفلسفة كانت أوضح ^{عند} تكون علمائهم مثل: إبراهيم النخاس
 ت ٢٢١ هـ وابو الهذيل العلّاب (ت ٢٣٥ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) (٣)

يحكى المرتضى عن مناظرات أبى الهذيل مع المجوس والثنوية وغيرهم
 أنها طويلة مدودة وكان يقطع عصمه بأقل كلام، ويقال إنه أسلم على
 يديه ما يزيد على ثلاثة آلاف رجلا * (٤)

وللجاحظ في هذا الميدان بلاء عظيم فله رسالة في الرد على النصاري

(١) أحمد أمين: ضحى الاسلام ٢ : ٧

(٢) المرتضى : المنية والأمل ص ٢١ - الزمخشري ص ١١٨ - مسند
 منهج الزمخشري ص ٦٦

(٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٩

(٤) المرتضى : المنية والأمل ص ٢١

وله كتاب للرد على الرافضة وله ردود ومناقشات في كتاب الحيوان . (١)

ويورد الجاحظ أيضا آراء وردود استاذة النظام على أصحاب الديانات

المختلفة كرده على الديسانية . (٢)

أصول عقيدة المعتزلة :

يدعى المعتزلة أنهم يسندون أصول ^{أرائهم} إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم يستقون من واصل بن عطاء ومن عمرو بن عبيد ، وهذان أخذان عن محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله ، وقد أخذ محمد عن أبيه علي وأخذ علي عن النبي عليه الصلاة والسلام .

يقرر المرتضى في أماليه أن أصولهم مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وخطبه وأنها تتضمن من ذلك ما لا مزيد عليه ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول . (٣)

ويقفر المعتزلة بأن سند مذهبهم أضح الاسانيد ، وأنه أوضح من الفلق ، إذ يتصل بواصل وعمرو حتى النبي صلى الله عليه وسلم وأما سائر المذاهب فليس لها سند محمول به .

فالخارج حدث مذهبهم في أيام علي رضي الله عنه وقد ظهرت تخطئته إياهم ومناظرته لهم ، وقتال من بقى على ذلك الاعتقاد . (٤)

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٤ : ٨٥ ، ٩٢ - ٥٥ : ٦٨ ~ ٦٩ ، ٧١

(٢) الحيوان ٥ : ٤٦

(٣) أمالي المرتضى ١ : ١٠٣

(٤) الضية والأمل ص ٥

والرافضة حدث مذهبهم بعد مضي الصدر الأول . (١)

والمجبرة حدث مذهبهم في دولة معاوية ، وملك بني مروان ،
فهو حادث مستند الى من لا ترضى طريقته .

وأما الحشوية فلا سلف لهم ، وإنما تمسكوا بظواهر الأخبار ولا

يرجعون الى تحقيق . (٢)

ويلاحظ المرء أنهم لم يأتوا أهل السنة بذكر في هذا المجال

ولكنهم يحرقون أن أهل سندهم هو القرآن الكريم والسنة المطهرة .

والمعتزلة يذكرون أخبارا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء

يتخذونها سنداً يقرر مبادئهم وأصول هذه المبادئ ، منها :

خبر عن علي رضي الله عنه يقول فيه : ان الله تعالى ، أمر

تخييراً ونهي تحذيراً ، ولم يكلف مخييراً ، ولا بحث الأنبياء عبثاً . (٣)

ويروون أن أبا بكر سئل عن الكلالة ، وابن مسعود عن المرأة

المفوضة في مهرها ، فقال كل واحد منهما حين سئل : أقول فيها برأى

فان كان صواباً فمن الله ، وان كان خطأ فعني ومن الشيطان ، ومن هذا

يستتجون التصريح بالعدل وانكار الجبر . (٤)

ويذكرون أن الحسين بن علي بعث كتاباً الى أهل البصرة ، قال

فيه : " من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على

ربه فقد فجر " . (٥)

(١) الفنية والأمل ص ١٠

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع نفسه ص ٧

(٤) منهج الزمخشري ص ٦٨

(٥) الفنية والأمل ص ١٠

ويقولون إن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن تفسير (سبحان الله فقال : هو تنزيهه عن كل شر ، وكان يقول في الصلاة والشر ليس اليلئ^(١) وهناك بعض الأدلة يسوقونها ولا تسمح ظروف البحث باستقصائها * (٢)

الزمخشري والفكر الاعتزالي :

يشمل الحديث ناحيتين هما : قواعد مذهب الاعتزال التي أسسها واصل بن عطاء مؤسس الفرقة ، والثاني منهجهم في تأكيد فكرهم الاعتزالي

١- قواعد مذهب الاعتزال :

أما قواعد واصل التي دار حولها مذهب الاعتزال فهي أربع : (٣)

التوحيد : وهو القول بنفي صفات الباري سبحانه وتعالى وهذه الصفات هي : العلم ، والقدرة ، والإرادة ، والحياة * فنفوا عن الله الصفات القديمة وقالوا : إنه سبحانه عالم بذاته قادر بذاته ، مرید بذاته ، حي بذاته ، لا يعلم وقدرة ، وإرادة ، وحياة * فهي صفات قديمة به ، لأنها لو شاركته تلك الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية * (٤) ففي نظرهم من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الهين *

ونفوا التشبيه عن الله سبحانه نفيا قاطعا ، مكانا وجهة وصورة وجسما وتحيزا وتخيرا وأوجبوا تأويله الآيات المتشابهة وسموا هذا توحيدا * (٥)

(١) المنية والأمل ص ١٠

(٢) انظر المنية والأمل ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠

(٣) الملل والنحل ١ : ٥٧ ، ٥٨

(٤) المرجع السابق ١ : ٥٥

(٥) نفس المرجع ١ : ٤٩

وقد حرص الزمخشري - المعتملي - على تأويل الآيات الكريمة لتوافي عقيدتهم هذه وكان مندفعاً في الانتصار لذهبه أيما اندفاع . ويبدو ذلك فيما يأتي :

في قوله تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " (١)

قال : وجه ربك ذاته . والوجه يعبر به عن الجبهة والذات ، ومسكين

مكة يقولون : أيد وجه عيسى كريم ينقذني من الهوان . وقرأ عبد الله

(ذي الجلال) على صفة ربك ، ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه

بخلقه ، أو الذي يقال ما أجلك وأكرمك ، أو من عنده الجلال والإكرام

لالمخلصين من عباده . (٢)

وفي قوله تعالى : " إن الذين يبایعونك إنما يبایعون الله يد الله

فوق أيديهم " . (٣)

قال : أكد المبايعة على طريق التخييل فقال : " يد الله فوق أيدي

أيديهم " يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تحلوا أيدي

المبايعين هي يد الله والله تعالى منزّه عن الجوارح ، وعن صفات الأجسام

وإنما المعنى تقرير عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت

بينهما ، كقوله تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله " . (٤)

والمراد ببيعة الرضوان . (٥)

(١) سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) الكشف ٢ : ٤٢٥

(٣) الفتح آية ١٠

(٤) الكشف ٢ : ٢٨٣

(٥) النساء آية ٨١

وفي قوله تعالى : " ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لنتبار
كيف تعملون " (١)

قال : أي استخلفكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا لئلا نذر
أنتم خيرا أم شرا ، فنحاطكم على حسب عملكم .

فان قلت : كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى العقابلة ؟
قلت : هو مستحار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا أشبه
بنظر الناظر وهيأت المعاني في تحققه . (٢)

وعلى ذلك ابن القيم بقوله : كنت أحسب أن الزمخشري يقتصر
على انكار رؤية العبد لله تعالى ، فضم إلى ذلك انكار رؤية الله . (٣)
أي أن الله لا يرى ولا يرى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

المسألة :

ومفهوم هذه القاعدة عندهم ، هو ما يقتضيه العقل من الحكمة ، وهو
إصدار الفعل على وجه المصواب والمصلحة . (٤) ويسمون أصحاب العدل
والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية . (٥)

فروايل أن هذه القاعدة أكثر ما يقرر قاعدة الصفات فقال : ان
الباري تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يخالف فيه شر وظلم ، ولا يجوز
أن يريد بالعباد شيئا خلاف ما يأمر ويحكم عليهم ، ثم يجازيهم
عليه ، فالعبد هو الغافل للخير والشر ، والأيان والكفر ، والطاعة والمعصية ،

(١) يونس آية ١٤

(٢) الكشف ٤١٦:١

(٣) ابن القيم : لا انتصاف على الكشف ٤١٦:١

(٤) صبحي أحمد : في علم الكلام ص ١٠٩

الشهرستاني : الطلوع والينحل ٥٤:١

وعو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله . (١)

لأنه سبحانه عادل ، والظلم منفي عنه ، وعو يريد لعباده خير

ما يكون ، ولا يريد السر ولا يأمر به ، لذلك عيون أن الله لم يخلق

أفعال العباد وإنما يحفظون أعمالهم أحرارا فيثابروا على الخير ، ويحافظون

على الشر ، فانضموا بذلك الى شجرة الصبح والامسح : أى أن الله يقصد

من أعماله نفع العباد وعلاهم .

جاء الزمخشري مؤيدا لهذه القاعدة ، فقال فى قوله تعالى : " وعلى

الله قصد السبيل ، ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين " (٢) معناه

ان هداية الطريق الموصلى الى الحق واجبة عليه ، كقوله : " ان علمنا للهدى "

فان قلت : لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) ؟

قلت : لمعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ، ولو

كان الأمر كما ترمح المجرة لقليل : وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها ،

أو عليه الجائر ، وقرأ عبد الله (ومنكم الجائر) يحى ومنكم جائرها من القصد

بمعنى اختياره ، والله يرى منه ، ولو شاء لهداكم أجمعين قصرا .

ولق ابن القيم على هذا رأى بقوله : أين يذهب به من تنمة

الآية ، وذلك قوله تعالى : " ولو شاء لهداكم أجمعين " ولو كان الأمر كما

ترحم القدرة لكان الكلام : وقد هداكم أجمعين ، وما تأتيم الا يؤمنون

ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقصر

والإجاء ، فما كأنهم الا يحرفون الكلم عن مواضعه .

(١) الطل والنحل ١ : ٥٨

(٢) سورة النحل آية ٩

(٣) الزمخشري : الكشاف ٢ : ٤٠٣ . وانظر الانتصاف نفس الصفحة .

وفى قوله تعالى : " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " . (١)

قال : اذ عادة الملوك والجبابة " لا " يسألهم من فى مملكتهم عن :

أفعالهم وهما يوردون ويصدرون من تدبير مملكتهم ، تهيبها وجلالا مع .

جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم ، كان ملك الملوك ورب الارباب

وخالقهم ورازقهم أولى بال " يسأل " عن أفعاله مع ما علم واستقر فى العقول

من أن ما يفعله كله معقول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل

القبائح . (٢)

وهلق ابن القيم على ذلك بقوله : " سحقا لها من لفظة ما أسوأ ..

ادبها مع الله تعالى ، أعنى قوله دواعى الحكمة فان الدواعى والصورف

انما تستعمل فى حق المحدثين ، كقولك : هو مما توفر دواعى الناس اليه

أو صوارفهم عنه " . (٣)

المنزلة بين المنزلتين :

وقد سبقت الإشارة لهذا عند اعتزال واعمال لشيخه الحسن البصرى :

وقرر ذلك بقوله : ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمي المرء

مؤمنًا ، وهو اسم مدح . والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق

اسم المدح فلا يسمى مؤمنًا ، وليس هو بكافر مطلقًا أيضًا ، لأن الشهادة

وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، ولا وجه لانكارها لكنه إذا خرج من الدنيا

على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار بخالد فيها إذ ليس فى الآخرة

(١) الأنبياء آية ٢٣

(٢) الكشف ٥٦٠ : ٢ ط الحلبي .

(٣) ابن القيم : الانشاف حاشية على الكشف ٢ : ٤٣

(١١)

الآخريتان ، فريق في الجنة - وفريق في السعير ، لكنه يخفف عنه العذاب
لم يحفظ وأعلى بموافقة أهل السنة ، في إشارته لوصف الايمان ، والفسق

وبذلك اعتبر رأيه خروجاً على رأى الجماعة ، واشتقاقاً وبدعة في القول (٢)

واعتبر أهل السنة رأيه في مرتكب الكبيرة ميلاً الى رأى الخوارج ،

واعتبر هذا الرأى غريباً حين يجعل الفاسق في منزلة بين المؤمن . . .

والكافر ثم يسوى بينه وبين الكافر في خلود العذاب . (٣)

وجاء الزمخشري مؤيداً لرأى المعتزلة بأن الفاسق في منزلة بين

المنزلتين وعلى هذا الرأى أول بعض الآيات الكريمة ، ففي قوله تعالى :

" وما يضل به إلا الفاسقين "

قال : الفاسق في الشريعة ، الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة

وهو النازل بين المنزلتين ، أى بين منزلة المؤمن والكافر . (٤)

وفي قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون " (٥)

قال : الايمان الصحيح أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدق

بعمله ، فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهاد

فمنه كافر ، ومن أخل بالعمل فهو فاسق .

وعلق ابن المنير بقوله : إنه أراد بالفاسق غير المؤمن وغير الكافر وهذا

(١) الطلل والنحل ١ : ٦١

(٢) في علم الكلام ص ١٣٢

(٣) المريج السابق ص ١٣٣

(٤) الكشف ١ : ٢٦٧ لفظ الحلي

(٥) سورة البقرة آية ٣

من الاسماء التى سماها القدرية وما انزل الله بها من سلطان . (١)
 وفى قوله تعالى : " ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا " وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما .
 قال : إن الله ذكر المؤمنين الأبرار ، وذكر الكفار ولهم يذكر الفسقة
 لأن الناس حينئذ إما مؤمن تقي ، وإما مشرك ، وإما حدث أصحاب المنزلة
 بين المنزلتين بعد ذلك . (٢)

قوله : أسبل فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين :

قال : ان أحدهما مخطئ ، لا يحينه وكذلك قوله فى عثمان - رضى
 الله عنه - وقاتليه وخاذليه . إن أحد الفريقين قاسق وأقل درجات
 الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما ، كما لا تقبل شهادة المتلاعنين . (٤)
 ولم يتعمد الزمخشري لهذه القاعدة التى عرضها وأصل ولعل ذلك
 يرجع الى اجلاله لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .
 هذه القواعد الأربع هى التى بدأ البحث فيها فى عهد وأصل ،
 ثم اخذت الفرقة تبحث فى مسائل مستحدثة مثل : الوعد والوعيد
 والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما اخذت الفرقة نفسها تتفرع الى
 فروق تتفق وتختلف فيما بينها مثل الواعية والنظامية ، والجاحظية .
 وقد حاول علما هذه الفرقة الاتصاف بالخلفاء ورجال الحكم انتصارا
 لمذهبهم وقد استغلوا هذه الصلة للإنزال بخموصهم الكثير من الضمير

(١) الكشاف ١ : ١٧

(٢) الاسراء آية ٩ - ١٠

(٣) الكشاف ١ : ٥٤١

(٤) الملل والنحل ١ : ٦١

والأذى . (١)

وقد حاول الزمخشري الاتصال بالطبقات الحاكمة ولعله تصور استغلال ذلك في نصرة مذهبه لو تم له ما يريد ، فقد ثبت أنه كان شديد التعصب لمذهبه الاعتزالي حتى روى أنه إذا استأذن على أحد يقول لمن يأخذ له الاذن قل له : أبو القاسم المعتزلي بالباب . (٢)

وكان اول انتصار لصلتهم بالحكام هو استخدام المأمون في مسألة خلق القرآن اذ كان تلميذا لأبي العذيل الحلاف أحد ائمتهم . ولم يغب عن ذهن الزمخشري هذا الموقف ، فقد وجه تأويله للآية الكريمة في قوله تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني " . (٣)

فقال : كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك ، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام ، كما خلقه مخطوطا في اللوح ، وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة . (٤) وهذا تصريح منه بخلق كلام الله جل وعلا .

استمر الاضطهاد الذي وقع على العلماء بسبب هذه الفتنة حتى جاء المتوكل فانتصر لهم ضد المعتزلة . (٥)

فأخذ الاعتزال في الاندثار في الاقطار التي غلب عليها أهل السنة

(١) اسلام بلا مذاهب ص ٢٣١

(٢) الوفيات ٥ : ١٧٠

(٣) الامراف آية ١٤٣

(٤) الكشف ط الحلبي ٢ : ١١١

(٥) يوم الاسلام ص ٨٨ — اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٧

وخامة بعد ظهور مذهب الأشاعرة الذي اتخذ موقفا وسطا بين السنة
والمعتزلة . (١)

ولكن أهل خوارزم بقوا على مذهبهم المعتزلى ، وإن كان حكمهم
من أهل السنة . (٢)

— منهمهم فى تأكيد مذهبهم المعتزلى :

حاول المعتزلة تأكيد وجهة نظرهم المعتزلية فى بحوثهم العلمية
على مختلف العلوم وهم بموجب مذهبهم يصرفون كثيرا من التصبيرات عن
الحقيقة الى المجاز ، ويظهر هذا جليا عند الزمخشري فى تفسير كشافه ،
وعند غيره من أعلامهم . فابن جنى مثلاً - وهو معتزلى - يرى أن قوله
تعالى : " خلق السموات والأرض " (٣) مجاز ، حقيقة ، ولو كان
حقيقة ، مجازا لكان خالقا للكفر والعدوان وغيرهما . (٤)
وكانوا يحكم مواقفهم الجدلية مضطرين ، لانتحاب اللفظ الدقيق ،
والتعبير الجميل فأقبلوا على روائع الكلم يحفظونه ، ويروونه ، إن قرأنا
أو شحرا أو غيرهما .

يقول الجاحظ : " . . . وروت المعتزلة عامة الأشعار وكان بشر (٥)

أرواهم للشعر خاصة . (٦)

(١) وفيات الأنبياء ١ : ٥٧٨

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٠

(٣) سورة النحل آية ٣

(٤) ابن جنى الخصائص ٢ : ٤٤٩

(٥) بشر بن المعتز مؤسس فرع بغداد للمذهب المعتزلى ت ٢١٠ هـ

انظر فى علم الكرم ص ٨٤

(٦) الجاحظ ٨ : الحيوان ٤ : ٥٠٤

وللنظام أشعار تأخذ بالقلب والسمع، إلى جانب حفظه للقرآن والتوراة

والإنجيل والزيور وتفسيرها . (١)

وليشر قصيدة واحدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع

المخالفين .

هذا وقد كان الجاحظ كثير الرواية للشعر كما تشهد بذلك كتبه .

وكان من طبيعتهم إذا أقبلوا على دراسة علم ان يحتدوا فيه على

المهارة العقلية ، والرياضة الفكرية ، فإذا فهم يقدسون العقل .

يقول الجاحظ : وللأمور حكمان حكم ظاهر للحواس ، وحكم باطن

للعقول ، والعقل هو الحجة . (٢)

ويقول بشر بن الصنوبر : (٣)

لله در العقل من رائد وصاحب في العسر واليسر

وحاكم يقضى على غائب قضية الشاهد للأمور

لهذا كان لزاما عليهم أن يجعلوا حول مذاهبهم سورا عقليا يحفظه

من الضياع والهدم ، ويتكون هذا السور من الفلسفة واللغة ، وقد سبق

الإشارة إلى الفلسفة بما يكفى دليلا على اهتمامهم بها .

أما اللغة فقد قالوا فيها بحرية الإرادة ، وساندوا الدعوة إليها ولا شيء

عندهم أبلغ في اظهار هذه الحرية من الكلمة المعبرة عنها ، ومن هنا كان

الانطلاق في التجديد ، وبعثه على أصول غير تلك التي ورثوها عن

الجاهليين ، فكان لهم الأثر الكبير في القياس في اللغة كما يظهر ذلك في

(١) منهج الزمخشري ص ٧١

(٢) الحيوان ٦ : ٢٩١

(٣) منهج الزمخشري ص ٧٠

قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر لا توقيفية ، وكما يظهر في تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة في تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل الأعجمي ، وعلى هذا سار أيضا زعيما مدرسة الفلاس أبو علي الفارسي ، وابن جني * .

ويبدو ذلك واضحا في البحوث التي حققها الزمخشري في كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ، ودلالاتها عن طريق المجاز . (١) .
كما أن له تأثيره البالغ في بحوثه النحوية واللغوية ، والبلاغية في كشافه وتأثير عقليته الاعتزاليته في توجيه تفسير كثير من الآيات تأييدا لعقيدته عن طريق التأويلات البعيدة ، وأسوق بعض النماذج التي تبين مدى خدمة الزمخشري لمذهبه الاعتزالي في كشافه باستخدامه مقدراته الفائقة في التأويل واعتماده على اللغة فمن ذلك :

- في قوله تعالى : " ونودوا أن تلکم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون " (٢)
(٣) قال : بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم ، لا بالفضل كما تقول المبطلون * .
وفي التصريح بـ " التعويض " ، وتسمى بـ " المقابلة " (٤) .
وابن هشام يروي هذا في معنى اللبيب بشأن الباء في قوله تعالى :
" ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " (٥) اذ يقول : وانما لم نقدرها بـ " السببية كما قال المعتزلة " (٦) .

(١) سعيد الافغانى : فى أصول النحو ص ٩٣

(٢) الاعراف آية ٤٣

(٣) الكشاف ط الحلبي ١ : ٥٤٩

(٤) الأزهرى : التصريح ٢ : ١٢

(٥) النحل آية ٣٢

(٦) معنى اللبيب على الامير ١ : ٢٧

وفى قوله تعالى : " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط

مستقيم " (١)

قال : معنى يضلله أى يخذله ، ويضلّه وضلاله لم يلطف به لأنهم ليس

من اهل اللطف .

ويرد ابن الصير بقوله : وهذا من تحريفاته للهداية ، والضلال اتباعا

لمعتقده الفاسد فى أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال ، وانهما

من جملة مخلوقات العباد ، وكما يخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرفعها

وقد اتسع الخرق على الراقع . (٢)

وفى قوله تعالى : " سأستغفر لك ربى انه كان بى حقا " (٣)

قال : فان قلت : كيف جاز له أن يستغفر للكافر ، وان يعده بذلك ؟

قلت : قالوا : اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي

الشرعية على الكفار ، والمراد اشتراط الايمان . (٤)

ورد ابن المنير : وهذه لمظ من الاعتزال مستطيرة من شرر شر قاعدة

الחסنين والثقيين ، والحق أن العقل لا مدخل له فى أن يحكم بحكم

الله تعالى قبل ورود الشرع به ، ثم يعرف الزمخشري بها ، فانه جعل

العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ، ولا يتصور هذا على

قاعدتهم الصدمية كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل فى الامهات .

نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافاً وأما ما يظهر العقل

(١) الانعام آية ٣٩

(٢) الكشاف ١٧ : ٢

(٣) مريم آية ٤٧

(٤) الكشاف ط الحلبي ١٢ : ٥١٢

خلاقه فلا . (١)

وفى قوله تعالى : " قال رب أرني أنظر إليك " . . . (٢)

يقول : والتقدير أرني نفسك انظر إليك . . .

فرد عليه ابن القيم : ما أشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية ،

لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ، ويشين بكفه وجه الغزاة . . .

ويقول : فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز

ذلك على الله . . . والحديث في ذلك يطول . (٣)

وفى قوله تعالى : " سبحانه بل عباد مكرمون " (٤)

قال الزمخشري : مقرنون عندى مفضلون على سائر عباد الله . . .

فرد ابن القيم : وهذا التفسير من جعل القرآن تبعاً للرأى ، فإنه

لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده ، وليس

غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتطه وتناول منها ما لا تحطيه ،

لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لأعلى بعضهم ، فدعواه شاملة

ودليله مطلق . (٥)

— ومن صرفه صفات الله تعالى عن الحقيقة الى المجاز ، جاء في

الكشاف ، فان قلت : ما معنى وصف الله بالرحمة ، ومعناها العطف والحنو

ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ؟

(١) الانتصاف على الكشاف ط الحلبي ٢ : ١١٢

(٢) الاعراف آية ١٤٧

(٣) انظر : الانتصاف على الكشاف ط الحلبي ٢ : ١١٢ ، ١١٣

(٤) الانبياء آية ٢٧

(٥) الانتصاف ٢ : ٥٦٩

قلت : هو مجاز عن انعامه على عباده ، لأن الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه . (١)

واستناد الى قاعدة أن الرب منزّه أن يضاف اليه شر وظلم ، وكفر ومعصية صرف الزمخشري الآيات التي فيها اسناد الاغواء الى الله تعالى ونحو ذلك الى المجاز وعمد الى التأويل ، مثل ما جاء في قوله تعالى :
" ختم الله على قلوبهم ... " (٢)

قال : فان قلت : فلم أسند الختم الى الله تعالى ، واستناده الية

يدل على المنع من قبول الحق ؟

قلت : القصد الى صفة القلوب .

فعلق ابن المنير على هذا بقوله : هذا أول عشواء خبطها في مهواة من الأغواء . (٣)

وزهب الزمخشري الى أن الاسم يختلف عن المسمى ، لا كما يقول

أهل السنة بأنه عين المسمى .

جاء في الكشف في قوله تعالى : " وعلم آدم الاسماء كلها " (٤) .

أي أسماء المسميات ، فحذف المضاف اليه لكونه معلوما . (٥)

وجاء في التوضيح : اختلفوا في الاسم والمسمى ، هل هما متغايران

أولا ؟ فالأول رأى المعتزلة والثاني قول الأشعرى وهو مذهب أهل السنة

(١) الكشف ط الحلبي ١ : ٣٦

(٢) البقرة آية ٧

(٣) الكشف ط الحلبي ١ : ١٢١

(٤) البقرة آية ٣١

(٥) الكشف ط الحلبي ١ : ٢١٠

ثم قال الأزهرى : والتحقيق أن الخلاف لفظي ، وذلك أن الاسم إذا أُريد به اللفظ فغير المسمى ، وإن أُريد به ذات الشيء فهو عينه . (١)
 هذا ولم يكن الزمخشري مقلدا في مذهبه الكلامي بل كان له
 اجتهداه في محيط هذا المذهب ، على أساس فهمه للنص .
 فقد خرج على المعتزلة في تفسير قوله تعالى : " قل أي شيء أكبر
 شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم " (٢)

قال الزمخشري : الشيء أعم الهام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم
 ويخبر عنه ، فيقع على القديم والجرم ، والحزن والمحال . ولذلك صح أن
 في الله عز وجل شيء لا كالأشياء .

قال ابن المنير : وتفسيره الشيء يخالف الفريقين ؛ الأشعرية فانهم
 فسروه بالموجود ليس إلا ، والمعتزلة فانهم قالوا : المعلوم الذي يصح وجوده
 فاتفقوا على خروج المستحيل . (٣)

الزمخشري والمذاهب الأخرى :

سبق القول بأن الزمخشري كان معتزليا مجاهدا بعقيدته ومذهبه
 متعصبا لهما فكان له بذلك أعداء كثيرون من الفرق الأخرى ولكنه لم
 يهادن أحدا منهم بل كان صريحا كل الصراحة في مجابتهم فانكرا
 يعتقد بطلانه من آرائهم وهاجم كل من كان في عصره من الفرق الإسلامية

(١) الأنعام آية ١٩
 (١) الأزهرى : شرح التصريح ٧ : ١

(٢) الأنعام آية ١٩

(٣) الكشف وهامشه ط الحلبي ٩ : ١

الأخرى ، واليك نماذج من ذلك في ايجاز :

المصطلة : قال في مقدمة كتابه ربيع الأبرار : " . . . والمنة

والصميم على النهى المرسل رحمة للعالمين ، المنهكت قدوة للعالمين ،

أردحى بآياته حجج المبطلين ، وصق بمعجزاته شبه المعتولين " . (١)

الحشوية المجبرة : في تفسير قوله تعالى " ولقد كرّمنا بني آدم وحطناهم

في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً " (٢)

قال : على كثير من خلقنا ، هو ما سوى الملائكة ، وحسب بني

آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة ، وهم هم ، ومزلقهم عند الله منزلقهم .

والعجب من المجبر كيف عكسوا في كل شيء ، وكابروا حتى جهّروهم

عادة العكابر على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الطك بد ما

سمعوا تفضيل الله أمرهم ، وتكبرهم من التعظيم لذكرهم ، وعلموا أين أسكنهم

وأى قريبهم ، وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أصمهم . . . ثم قال :

فانظر الى تعديلهم وتشبههم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملائكة على ،

كأن جبريل عليه السلام غاضبهم حين أهلك مدائن قوم لوط ، فتلذذ لهم

السخيمة لا تدخل من قلوبهم . (٣)

وهاجم المجبرة مرة أخرى في تفسير قوله تعالى : " وقلن حاش

لله ما هذا بشراً إن هذا إلاّ ولك كريم " . (٤)

يقول : كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الجن

الشاخين ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفتنة الخائسة المجورة من تفصيل

(١) ربيع الأبرار ٢٥٤١

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠

(٣) الكشاف ٢ : ٤٥٩

(٤) سورة يوسف آية ٢١

الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم
الضرورية ومكابرتهم في كل باب . (١)

المتصوفة : في تفسير قوله تعالى : " من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . . . " (٢)

سابق بعد أن فسر هذه الآية قوله : وأما ما يعتقد به الجهل الناس
وأعداهم للعلم وأهلهم . . . وهم الفرقة المفتعلة من الصوف ، وما يدينون به
من المحبة والعشق ، والتغنى على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطشها
الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم
التي أين عندها حقيقة موسى عند ذلك الطور . . . (٣)
وعند تفسير قوله تعالى : " ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته
ويرسل السواعق . . . " (٤)

يقول : ومن بدع المتصوفة : الرعد صعقات الملائكة ، والبرق زفرات :
أفدتهم والمطر بكاء ولهم . . . (٥)

أهل السنة : كان كثير التناول عليهم ، ويحتد في النيل منهم
وكان يظهر تحصيه ضد أعلام السنة كقوله : زعم ابن قتبية كذا وكذا ،
أما إذا تعرض لأعلام المعتزلة فهو يثنى عليهم كقوله في غروب عبید :
فلا دره أسدا فراسا كان بين ثوبه يدق الظلمة بانكاره ويقمع أهل

(١) الكشف الحلبي ٢ : ٢١٧

(٢) المائدة آية ٤٤ هـ

(٣) الكشف الحلبي ١ : ٢٢١

(٤) الرعد آية ١٣

(٥) الكشف الحلبي ٢ : ٣٥٤

الأهواء والبِدْع باحتجاجه * (١)

وفى تفسير قوله تعالى : " قال رب أرني أنظر إليك " قال لن تراني
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ... (٢)
يقول : ولا بغرنك تسترهم بالبلكة فانه من منسوبات أشياخهم والقول

ما قاله بعض العدلين فيهم : (٣)

لجماعة سموا هواعم سنة وجماعة حمر لعمري مؤكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الوري فتستروا بالبلكة
ولم يفض غذا دون / أهل السنة ، ومنهم القاضي أبو بكر السكوني
مفيدا أقوالهم * (٤)

وكان الزمخشري في نقد إياهم : يقول : امش في ... دينك

تحت راية السلطان - يعنى العقل - ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان ،
فما الأسد المحتجب في عرينه أمز من الرجل المحتج على قرينه وما الحنز
الجرباء تحت الشمال البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل * (٥)
ويقول : وجامع الروايات الكثيرة ولا حجة عنده مقوية أو قهر ظهره

بالحطب وأففل زنده * (٦)

وتعريض الزمخشري هكذا بأهل السنة ، واتهامه إياهم بالتقليد وسماع
الرواية دون تثبت ، اتهام قديم عرف به المعتزلة ، وكان يسفون أهل السنة

(١) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٢) الاعراف آية ١٤٣

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ٤ : ٣٨٥

(٤) المرجح السابق

(٥) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٦) المرجح السابق

بالعوام الذين لاناسر لهم .

فقد ذكروا أن عند الدولة لاحظت خلو مجلسه من أهل السنة .

فقال : هذا مجلس عامر بالعلماء ، ألا أنسى لأرى فيه واحدا من أهل

الإثبات ، والحديث ، أما لهؤلاء المعتبة من شامير ؟ فقال القاضي ابن

بشر بن الحسين وكان من شياطين المعتزلة : ليس لهم ناصر ، وإنما عامة

أصحاب تقليد ورواية ، يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعا لا يعرفون

النظر والمعتزلة فرسان الجدل والمناظرة . (١)

والواقع أن هذه تهمة لأدليل عليها فكثير من علماء الأشاعرة ،

والماتريدية أقدر على مقارعة الحجة من علماء المعتزلة ، ولهم منهجهم في

البحث والمناظرة ، وليس الفكر الاسلامي في هذا المجال نتاجا للفكر ،

الاعتزالي ، وإنما هو نتاج كل تلك الفرق السابق ذكرها . (٢)

(١) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٢) لمعرفة جهود أهل السنة في الفكر الاسلامي ، ينظر :

الفرق للبغدادى ، ومقالات الاسلاميين للأشعرى ، والملل والنحل للشهرستانى . . . وغيرها .

القسط الثالث

الزمشـرى

علمه و منزلته

بـين

العلماء و الحكماء

أول ما يلاحظنا عن تعليم الزمخشري أنه تلقاه عن والده ، (١)
ثم أخذ يتنقل في حياته الأولى تلميذاً على شيوخ خوارزم ولما اشتد عوده
دخل إلى بخارى . (٢)

شغل الفتى منذ نعومة أظفاره بالعلم ، ووصل فيه ليله بنهاره
وليس غريباً أن ينصرف عن شواغل الدنيا إلى تحصيل العلم ، فقد اخلص
في الطلب وذاق حلاوته ، فمتمت عنده ملكة البحث ، وبرز في علوم شتى ،
فهو إمام في التفسير يعد من المفسرين الممتازين ، ونحوى بارز الرأى
والاجتهاد ، هذا فضلاً عن أصالته وقضله في علم البيان واللغة والأدب
شعره ونثره ، لذلك وصف بالحديد من النعوت العلمية التي شاركته
حياته ، كقولهم : العلامة وعلماء الدنيا ، وإمام وإمام وثته ، وإمام عصره
وفريد عصره ، ووحيد دهره ، وفخر خوارزم ورأس الأفاضل .

وكان كثير المطالعة للكتب ، دقيق المراجعة للمسائل فوصل إلى ذروة
العلوم التي درسها ، وغزارة مؤلفاته المتشعبة الجوانب تدلنا على مدى علمه
واطلاعه .

لقد وفق العلم حقه ومنحه اخلاصه فأثنى عليه العلماء ، فقال عنه ياقوت :
" كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب واسع العلم كبير الفضل متقناً
في علوم شتى " . (٣)

(١) مناقب العشرة المبشرين بالجنة المحقق ص ١٠

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٧ - الزمخشري ص ٤٩

(٣) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٦

وقال ابن خلكان : " كان امام عصره من غير منازع تشدّد اليه الرجال
في فنونه " . (١)

وفي الشذرات : " هو ابو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي ،
المفسر صاحب الكشف والمفصل " . . . (٢)

ويذكر المقزويني انه كان بالغا في علم العربية وعلم البيان وله تصانيف حسنة
ليس لأحد مثلها في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني ، مع إيجاز في اللفظ
حتى لو أن أحدا أراد أن ينقص من كلامه حرفا أو يزيد فيه حرفا لبيان
الخلل ، وانه كان من أهل العلم والفضل . (٣)

شيوخ الزمخشري :

ذكرت كتب المراجع العديد من شيوخ الزمخشري فمن هؤلاء الشيوخ —
ابن البطريق بن أحمد بن عبد الله :
قال عنه صاحب (تلحج الحروس) تفرد في وقته ورحل اليه الناس ،
روى عنه ابو طاهر السلفي وأبو الفتح ابن البطي ، وشهادة الكاتبة
(ت ٤٩٤ هـ) . (٤)

— قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الدامخاني :
ولي القضاة ببغداد مدة وكان فقيها فاضلا محنفا المذهب ،
التقى به الزمخشري في بغداد (ت ٤٩٨ هـ) . (٥)

(١) الوفيات ٢ : ١٠٧

(٢) الشذرات : ٤ : ١١٨

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٣٣

(٤) تلحج الحروس مادة بطر

(٥) الوفيات ٢ : ١٠٧

— وأبو مضر محمود بن جرير الضبي الأسبغاني : (١)

بهذا الاسم ذكره : ياقوت والداودي ، وابن خلكان ، والذهبي والسيوطي ، وابن شغري بردى ، والزركلي ، وقد خالفهم في هذا كل من : ابن الحماد ، والانباري فقد ذكراه بأبي مضر منصور ولعل ذلك تحريف من أحد النساخ أو خطأ مطبعي . (٢)

وكان أبو مضر يلقب بفريد الحصور . ويذكر أنه كان وحيد دهره في علم اللغة ، والنحو ويضرب به المثل في أنواع الفضائل . أقام في خوارزم مدة انتفع به وبعلمه الناس ، فتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء في اللغة والنحو منهم الزمخشري .

وقيل أنه هو الذي أدخل إلى خوارزم مذهب الاعتزال ولكن سبق القول بأن هذا المذهب دخل الأقاليم الشرقية مبكرا فلعله كان مجددا وباعثا للنشاط الاعتزالي .

كان لأبي مضر أعظم الأثر في نفس الزمخشري ، وغوسح علمه الخبير لم يعرف له مصنف مذكور إلا كتاب يشتمل على نكت وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب . (٣) (ت ٥٠٧ هـ) ورثاه الزمخشري شعرا . (٤)

— وأبو بكر عبدالله بن طلحة بن محمد اليبيري الأندلسي : من أهل يابرة من بلاد الأندلس ، نحوي ، أصولي ، فقيه ، روى عن

-
- (١) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ — طبقات المفسرين ٢ : ٣١٤ — الوفيات ٥ : ١٦٨
النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — ٥٥٨
(٢) الشذرات ٤ : ١١٨ — نزهة الألباء ص ٢٠
(٣) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧
(٤) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — نزهة الالباء ص ٢٩٠ معجم الادباء ١٩ : ١٢٧

عن أبي الوليد الهاجى ، وشرح رسالة أبي زيد ، ورد على ابن حزم ،

قرأ عليه الزمخشري كتاب سيبويه بمكة المكرمة . (ت ٥١٨ هـ) . (١)

— أبو منصور ، موهوب بن أبي طاهر الجوالقي :

كان إماما في فنون الأدب ، درس في المدرسة النظامية بعد الخطيب

التبريزي ، وهو في اللغة أمثل منه في النحو ، وكان متواضعا من أهل

السنة .

قرأ على الخطيب التبريزي ، وكتب بخطه كثيرا من كتب الحديث

والأدب وكان يعلّم بالمقتفي لأمر الله لديانته وطهارته .

قرأ عليه الزمخشري بعض كتب اللغة والأدب .

وله من الكتب : كتاب الغرض ، وكتاب المختار في بعض مسائل النحو

وشرح أدب الكاتب والمحرّب من الكلام الأعجمي ، والتكملة فيما يلحق

فيه العامة ، أكمل به ذرة الخواص للحريرى . (ت ٥٣٩ هـ) (٢)

— وابن الشجرى محبة الله أبو السعادات :

ينتهي نسبه الى علي بن أبي طالب وكان فرد زمانه في العلوم

الحرية وعلم النحو سبعين عاما .

له من المؤلفات : الأمالي ، والانتصار^{علي} لابن الخشاب والحماسة

نماهى بها حماسة أبي تمام ، وكتاب ما اختلف لفظه واتفق معناه ، وشرح

كتاب اللصم (التمهيد الملوكى) وهما لابن جنى وله غير ذلك من الكتب

(٣) . (٥٤٢ هـ)

٣١ : ١

(١) بغية الوعاة ٢ : ٢٨٤ — البحر المحيط ٤ : ٣٧٢ — طبقات المفسرين :

(٢) الانباه ٣ : ٢٧٠ — بغية الوعاة ٢ : ٤٠١ — الفيروز ابادى : البلغة ص ٢٧

(٣) نزهة الألباء ص ٤٧٠ — الزمخشري ص ٥٠

— وابن وهاس : أبو الحسين علي بن عيسى :

كان شريفاً جليلاً من أهل مكة وشرفائها ، وأمرائها ، وكان ذا فضل وعلم غزير ، وله تمانيف مفيدة في النظم والنثر .

لقي الزمخشري منه ترحيباً وحفاوة ورعاية وإكراماً مدة جواره ، وأخذ
(١)
عنه الزمخشري كما أخذ هو عن الزمخشري ، وقال كل منهما شعراً في الآخر .
توفي ابن وهاس في أول ولاية الأمير عيسى بن خليفة ، أمير مكة سنة
نيف وخمسين وخمسائة ، وكان الناس يقولون : ما جمع الله لنا بين ولاية
عيسى وبقاؤه علي بن عيسى . (٢)

— وأبو الحسن علي بن المظفر النيسابوري :

ذكره بهذا الاسم معجم الأدباء ، وتاج العروس ، وطبقات المفسرين
للداودي . (٣)

وقال ياقوت : كان أبو الحسن كاتباً شاعراً موهوباً ، موعظاً لأهل
خوارزم وهو شيخ الزمخشري قبل أبي نصر ، وله مؤلفات منها : تهذيب
ديوان الأدب ، وتهذيب إصلاح المنطق ، ومحاسن من اسمه الحسن ، وزيادات
أخبار خوارزم وديوان شعر ، وديوان رسائل . (٤)

أراد الدكتور الحوفي أن يصحح هذا الاسم إذ لم يوجد له ترجمة
فاعتقد أنه خطأ وأن المصواب هو : أبو علي الحسن بن المظفر ولهذا

(١) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — الزمخشري شاعراً ص ١

(٢) معجم الأدباء ٤ : ٥٨

(٣) المرجع السابق ١٦٨ : ١٢٧ — تاج العروس مادة زمخشري

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ١٢٧

ولهذا الاسم ترجمة في معجم الأدباء ٩ : ١٩١ أما الاسم الاول - ابو الحسن علي - فيوجد عنه حديث ضمن ترجمة الزمخشري في معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ ، ولكنه لم يذكر له تاريخ وفاة .

وما ذهب اليه الحوفي بأن أبا علي الحسن هو شيخ الزمخشري فهو يجانبه الصواب ، فقد توفي سنة ٤٤٢ هـ والزمخشري ولد ٤٦٧ هـ فمحال أن يكون الحسن شيخا للزمخشري على ذلك .

والذي كتبه ياقوت في تلك الصفحة والجزء : مات ابو علي الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٤٢ هـ وهو شيخ أبي القاسم الزمخشري قبل أبي مضر وله نظم ونثر . (١)

ولعل على هذا هو ابن الحسن المذكور بياقوت ٩ : ١٩١ وبذلك تتفق حياته مع وجود الزمخشري .

- والامام ركن الدين محمود الاصولي :
أخذ من الزمخشري وأعطاه ، فهو شيخ للزمخشري وتلميذ له ، فكان الاصولي يقرأ عليه علم التفسير ويأخذ منه الزمخشري علم الاصول . (٢)

- وابو منصور نصر الحارثي :

ذكره السيوطي في بغية الوعاة . (٣)

- وابو سعد الشقاني نسبة الى شقان من قرى نيسابور . (٤)

(١) معجم الأدباء ٩ : ١٩١

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري ص ٢٠

(٣) تاج العروس ١١ : ٤٤٦ - بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ - طبقات المفسرين للداودي ٢ : ٣١٤

تلاميذ الزمخشري

كان للزمخشري حظ وافر في الأخذ عنه في كل مكان حل به ،
حتى يمكن أن نطلق عليه مدرسة متنقلة كانت تعلم مختلف العلوم الانسانية
يقول القفطي : ما أدخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه ، وتعلموا له ،
واستفادوا منه (١)

كان لهذه المدرسة الكثير من التلاميذ المجتهدين الذين يكون
لها كل اخلاص وقد أثبت كتاب التراجم الكثير من تلاميذ الزمخشري القوايع
ومريديه الذين وصلت اليها أخبارهم ، أو غيرها ممن لم يبلغوا هذه الدرجة
العلمية أما الذين وصلت أخبارهم اليها من تلاميذه ، أو من روى عنه أو
استجازوه فهم النثر اليسير ، فمن تلاميذه :

— محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي :

ذكر أنه كان اخصيا مائلا في الأدب ، وحجة في لسان العرب (٢)

أخذ عن الزمخشري اللغة والنحو وسمع منه الحديث ، وجلس بعده في

مجلسه للدرس . (٣)
وكان كثير الفوائد عزيز الجانب كريم النفس نزيه الخلق لا يدخل

فيما لا يعنيه وله في نقد الشعر جهد . (٤)

له من التصانيف : مفتاح التنزيل وتقويم اللسان في النحو والاعجاب
في الاعراب والبداية في المعاني والبيان بمنازل العرب ومباحها وشرح

(١) الإنباه ٣ : ٢٧٠

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٣) طبقات النحاة لابن قاضي شهبة ص ٢٣١ — بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٤) المرجع السابق

أسماء الله تعالى ، والتراجم بلسان الأعاجم ، والتفسير والفتاوى والتنبية
على إعجاز القرآن . (١) (ت ٥٦٢ هـ)

— والموفق بن أحمد بن أبي سعيد اسحق أبو المؤيد المعروف
بأختاب خوارزم :

كان متمكناً في العربية ، غزير العلم ، فقيهاً فاضلاً ، أديباً شاعراً ،

قرأ على الزمخشري وله خطب وشعر ، (ت ٥٦٨ هـ) . (٢)

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون الحمزاني الخوارزمي
الموصوف بحجة الأفاضل ، وفخر المشايخ .

قرأ على الزمخشري فصار أكبر أصحابه وأوفرهم حظاً من علومه المتشعبة

وكان ولوعاً بالسمع والكتابة وجعل في آخر عمره أيامه مقصورة على نشر العلم

واقادة طالبه ، ففزع الناس إليه في حل المشكلات ، وكان علماً في الدين

والصلاح ، زاهداً ، يقول عنه صاحب تاريخ خوارزم : " الحمزاني حجة

الأفاضل ، سيد الأدباء " ، قدوة المشايخ ، المحيط بأسرار الأدب ، المطلع

على غوامض كلام العرب " . (٣) .

(٤)

له في التفسير واشتقاق الاسماء ، والمواضع والبلدان ، (ت ٥٦٨ هـ) .

— المطرزي ناصر بن عبد السيد بن علي :

فقيه نحوي أديب ، حنفي المذهب . كانت له معرفة تامة بهذه العلوم

(١) الأعلام ٧ : ٢٢٧ — بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٣٠٨

(٣) معجم الأدباء ١٥ : ٦١ — بغية الوعاة ١ : ٣٥٠

(٤) بغية الوعاة ١ : ٣٥٠ — منهج الزمخشري ص ٤

ويقال إنه كان بخوارزم خليفة الزمخشري . (١)

له من المصنفات : شرح مقامات الحريري ، والمغرب في لغة الفقه ،
والمغرب في شرح المغرب ، والافتاح في اللغة ومختصر المصباح في النحو
ومختصر الإصلاح لابن السكيت ، (ت ٦١٠ هـ) . (٢)

— على — بالتصغير — بن حمزة بن وهاس :
قرأ على الزمخشري بمكة وقد سبق الحديث عنه شيخا وتلميذا
للزمخشري .

— ركن الدين محمود الاصولي :

تلميذ وشيخ للزمخشري ، وقد سبق الحديث عنه في شيوخه . (٣)

— أبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشري :
ذكر بعض كتاب التراجم أنه ابن اخت الزمخشري . (٤)
— وأبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلي . (٥)

— وأبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي :
أحد الأئمة في النحو والأدب ، لم يكتف بالأخذ عن الزمخشري بل
طلالت ملازمته إياه . (٦)

وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم . (٧)
وأبو سعيد أحمد بن محمود الشاذلي بسمرقند . (٨)

(١) بنية الوعاة ٢ : ٣١١ — التبريز علي التوضيح ١ : ٢٤٢

(٢) تاج العروس مادة (طرز)

(٣) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩

(٤) منهج الزمخشري ص ٦٤

(٥) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩

(٦) معجم الادباء ٢٠ : ٥٥

(٧) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩ — منهج الزمخشري ص ٤٦

(٨) المرجعان السابقان

— وأبو المحاسن عبد الزحيم بن عبد الله البزار بابنورث (١) .

— ويعقوب بن شيرين : وهو الذى روى الزمخشري عند وفاته وقد سبق الحديث عنه عند الكلام عن وفاة الزمخشري .

إجازاته

الب الإجازة من الزمخشري جماعة من العلماء منهم :

— الحافظ أحمد بن محمد السلفي :

كتب اليه من الاسكندرية يستجيزه في مسموعاته ، ومصفاته وكان

الزمخشري حينئذ مجاورا بمكة ، فرد عليه ردا لا يشفى غليله فلما كان العام

الثاني كتب اليه مع الحاج استجازه أخرى بين فيها مقصوده وطلب منه

في آخرها ان لا يحوجه الى المراجعة لسعد المسافة فكتب اليه الزمخشري

يتواضع ويتماغر ، ولم يصرح له بالإجازة ويقول ابن خلكان : " وما أعلم هل

أجازته بعد ذلك أو لا ؟ " (٢) .

وينقل السامرائي نص إجازة الزمخشري له بعد أن تابع عليه قبل ذلك

ومنها : " وقد أجزت له أن يروى عنى تصانيفي . . . وأنا محمود بن عمر

بن محمد . بن أحمد الخوارزمي ثم الزمخشري ومنسوب إلى قرية هي مسقط

رأسي " (٣) .

وكان السلفي من الحفاظ الكثيرين ارتحل في طلب الحديث ، وطاف

(١) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩

(٢)

معجم الأدباء ١٩ : ١٣٢ — الوفيات ٥ : ١٧٠ — الشذرات ٤ : ١٢٠

(٣) الدراسات اللغوية والنحوية ص ٢٢

بالبلاد ، والتقى بأفاضل العلماء ، فروى عن أبي محمد نجف بن السراج وغيره من الأئمة ، وتوجه إليه الناس ليقتدوا منه علما ، فسمعوا منه وانتفعوا

به ، ولم يكن آخر حياته من يعدله علما ، (ت ٥٧٦ هـ) . (١)

— زينب بنت الشعرى : وهي حرة بنت أبي القاسم (أم المؤيد) أصلها من جرجان وتكنى نيسابور ، وكان والدها يعرف بالشعرى ، وكانت عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية وإجازة ، فأجاز لها غير الزمخشري ، الحافظ أبو الحسن عبد الخافر بن اسماعيل ، وأجازت على لابن خلكان ، (ت ٦١٥ هـ) . (٢)

— رشيد الدين الوطواط : محمد بن محمد بن عبد الجليل طلب من الزمخشري إجازة يكتبها بخط يده لتكون شرفا يدوم له مدى الدهر . (٣)

(١) الوفيات ١ : ٣٧

(٢) الاعلام ٤ : ٣١ — الوفيات ٥ : ١٧٢

(٣) معجم الادباء ١٩ : ٢٩ — البغية ١ : ٢٢٦

بين العلماء والحكام

لما اشتد عود الزمخشري ، تطلعت نفسه إلى ما عليه العلماء المشهورون في زمانه من مكانة اجتماعية مرموقة وما هم عليه من صلة بالأمر^١ والحكام ، ونوال جوائزهم فانخرط في سلك ذلك المجتمع ، وجعل يؤكّد علاقته بتلك المؤسسات العلمية والاجتماعية ، فكان بينه وبين العلماء والأدباء مناظرات علمية ومناقشات للوصول إلى غايته .

لقد برّز العلماء في كثير من النواحي ولكن ناحية واحدة أختل فيها وهي نوال غايته من الأمور فهو يرى نفسه في مكانة لا تليق به ويعلمه ، قائلاً في الشكوى ولم يفلح في الوصول إلى ما تطمح إليه نفسه ، ولعل ذلك راجع إلى كيد العلماء له عند الأمراء والوزراء .

من أجل ذلك شدد هجومه على العلماء وذكر نقاتهم لأمرء السوف فقال :

" ما لعلماء السوء جمعوا عزائم الشرع ودونوا ، شتمخصوا فيها لأمرء السوء وهونوها . أكمام واسعة فيها أضلال لا سعة ، وأقلام كأنها أرلام " (١) .

وهذه الفترة التي طلعت نفسه فيها لأن يبرز العلماء ويكتسب الجوائز

كانت فترة الشباب حتى إذا ما انتفضت بمرسته المنذرة والتي عاهد فيها نفسه ألا يطأ عتبة سلطان كانه بذلك أفاق من غيبوبته .

لقد أفاق من غمرة الشباب ، وبدا يبني مجدداً علمياً بدلاً عن المجد المادي

وأخذ يصلح ما بينه وبين أهل العلم فارتفعت مكانته بين العلماء ، وذاع صيته

في الأفاق والتقى بجلتهم في ذلك الحين فقد التقى بالشيخ الشريف

ابن السعادات هبة الله بن الشجري في بغداد إذ كان الزمخشري في طريقه
إلى الحج فجاءه ابن الشجري مهتلاً فلما جالسه مدحه الشريف متمثلاً : ١

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن أحمد بن دواد أطيّب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أدنى بأحسن مما قد رأى بصري
فلما فرغ الشريف شكره الزمخشري وعظمه وتضاغر له ، ثم قال له : إن
زيد الخيل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحين يصر بالنبى رفع
صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول الكريم : يا زيد الخيل كل رجل وصف لي
وجدته دون الصفة ألا أنت فانك فوق ما وصفت وكذلك الشريف ودعى له وأثنى
عليه . (٢)

وتبادل الزمخشري مع ابن وهاس الود والصفاء وتبادلوا المدح وومما

قاله الزمخشري في ابن وهاس : (٣)

محاليك والسبح الطبايق سوا محالى الورى أرض وحين سخا
ومدح ابن وهاس الزمخشري بشعر نوه فيه بعلمه وفنيله وذكر أنه أبعد صيف
خوارزم . (٤)

والزمخشري لا يخفى إعجابه بالعلماء السابقين عليه بقدم ثابتة في علم

ما فهو يشير في مقدمة كتابه (المستقصى في الأمثال) إلى الميداني بالحالم
المنصف وينتظر حكمه على كتابه لأن الميداني أرسخ قدما في هذا المجال . (٥)

(١) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ - ترجمة الألباء ص ١٦ - الشذرات ٤ : ١٣٢

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٣) منتهج الزمخشري ص ٤١

(٤) البلاغة القرآنية ص ٤١

(٥) المستقصى في الأمثال مقدمة المؤلف

وكان يطلق على محمود بن عبد العزيز العارضي (الجاحظ الثاني)

لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . (١)

وهو لا يهضم حق عالم أخذ عنه علما ممن سبقوه ، وتفسيره مشحون بأسماء
أعلام العلماء وأسماء شيوخه من المعتزلة ، كما يذكر أعيان النحاة والبلاغيين ،
وكل من أخذ من تراثهم في مختلف مؤلفاته ولو أردنا أن نسرد أسماءهم لطال الأمر
قدم الزمخشري على أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ،
فنثار في كتابه (الهادي للشادي) فأنكر عليه تسمية الكتاب بهذا الاسم ،
وقال له : كيف سميت هذا الكتاب مع نفاسته وعموض معانيه ودقتها بهذا
الاسم ؟ فان الشادي من أخذ طرفا من العلم وهذا الكتاب لا يليق إلا بمن كان
منتها لا مبتدئا .

ولما فارقته إلى خوارزم عهد إلى بصغر كتبه فزاد على اسم الميداني نونا قبل
الميم ، فصارت (النميداني) ومعناها : الذي لا يعرف .

فلما فارقته نظر الميداني في الكتاب فشق عليه ذلك فمتتبع بعض كتب
الزمخشري فخير الميم من الزمخشري نونا فصارت (الزمخشري) ومعناها كما
يروى القفطي بالفارسية (بائع زوجته) ، ويذكر الأتباري في نزهة الألباء أن لها
معنى آخر قبيحا (٠٠٠) فلما وقف الزمخشري على ذلك كتب إلى الميداني
واعذر إليه من ذلك فكتب إليه : " إذا رجعت رجعتنا وقبلنا عذرك " (٢)
وهذا يبين أن للزمخشري مواقف جد مع العلماء فان له مواقف مزح
وملاطفة ولكنها قد تجر عليه غضبهم كما بدا في هذه اللطيفة .

(١) الخبيرة النواة ٢ : ٣٨٨

(٢) نزهة الألباء ص ٢٨٨

أما الأمراء فلم يكن أسعد حظا معهم من العلماء فقد أجهد نفسه
في رفع عقبرته بعد حزم منذ لقائه بنظام الملك مع شيخه أبي مضر ، ولعل الذي
داعب خياله منذ الوهلة الأولى نحو الوصول الى منصب يليق بوزارة علمه وعلو
هيمته ، فهو يمدح نظام الملك ويتشكى إليه حين يرى أن من دونه قد تصدروا
ورقوا في المناصب ولم يحظ هو بطائل فهو يخاطبه في قصيدة طويلة منها :

وكم قلت ألقى في وزارتك المنى وأدرك وحدى ما ارتجى كل أمل
ولم أدرك أن الأذلين يرون ما تمنوا وأنى لست أخطئ بطائل
وامتدح (مؤيد الملك) بن نظام الملك وكان بليغا في النظم والنثر ،

امتدحه الزمخشري والأمل يراوده في المنصب - (١)

ولما وجد أن التلميح لا يغنى عن التصريح أخذ يعدد مآثر نفسه فيجهر
بعلمه وفضله ويحرض مؤلفاته التي يعجز عن مثلها أساطين العلماء ، فقد مدح
مجير الدولة أبا الفتح علي بن الحسين الأردستاني الذي أصبح كاتباً للرسائل
فهو يحرض كتبه عليه عله بذلك ينال آماله فيقول : (٢)

وأصبحت كالمقصود ريش جناحه أنور بركن كلما كنت جانح
نطاسي آمال عراعر وجابر لكسر مهيضات الخطوب الفوادح

× × ×

وفي شرح أبيات الكتاب ليحضر ما يرى في صفاتي مجيلا غير شارح
وأتمودجا أنفذت منه يضمنه رجائي أرى فيه وجوه المناجح
أراقب عن عين الوزير اطلاع عليه وحسبي منه لمحة لامح

(١) مشيخ الزمخشري ص ٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٦

وكان أحياناً يمدح الأمير أو الوزير من أجل عمل صالح يخدم الإسلام
ولا يسأله منصباً أو جاهاً في دولته ، ولعله وطم نفسه على الاحتفاظ في
الوصول إلى تلك الأمانى .

فقد مدح محمد بن أبي الفتح ملك شاه حينما شنت الحمل الباطنية ،
وخرّب ديارهم لما علم من خطرهم على الإسلام والمسلمين يتمدّده بأمله العريق
وعذالته وحسن سيرته ونصرة الحق . فيقول : (١)

ابن السلاطين من أبناء سلجوق وابن الخفاف منهنم والغرائق
لله من عادل من حق سيرته ونصرة الحق ان يدعى بقاروق
مستوجب من جموع الشرك مبغضة محبب في بني الإسلام مرموق
ونراه يمدح الحكام برعايتهم للأدب ، فقد مدح خوارزم شاه لرعايته للأدب
ويبدو أن الزمخشري نال عنده حظوة إذ أكثر من عطاياه . (٢)
ويمدح على بن أرسلان بقصيدة طويلة يصف فيها ورعه وتقواه وينعته
بالبلاغة والفصاحة ، وعلو القدر والمكانة ويشير إلى سخائه وكرمه - (٣)
وهكذا تطورت به الحال من طموح وأمل في المناصب في سلك الدولة
إلى قناعة ورضى ، وتقدير للصفات الحميدة التي يلمسها في الحكام دون أن
ينتظر منهم شيئاً .

وكان هناك من راسل الزمخشري ، إعجاباً به وبعلمه وفضله ، من هؤلاء :
شبل الدولة أبو الهيجاء ، عقيل بن عطية البكري . حتن نظام الملك فقد أرسل إليه

(١) الكامل لابن الأثير ١٠ : ٨٤

(٢) مشيخ الزمخشري ص ٣٨

(٣) الزمخشري شاعراً ص ١١

شعرا يرفع من شأنه ، ويبين فضله ، ويصفه بالبحر ، فرد عليه الزمخشري
 بشعر مماثل . (١)

كما راسله منتجب الطك فقد بعث اليه قصيدة وهو في مكة ، يعبر
 فيها له عن حبه اياه ، ويصفه بشقيق النفس ، وأنه ارتضع من در العلوم
 وتضى ، بعلمه الدنيا ، ولعلمه في كل ناحية من نواحي الدنيا شعاع . (٢)

تراثه العلمي

ترك الزمخشري تراثا ضخما في علوم مختلفة من : تفسير ،
 وحديث ، ونحو ، ولغة ، ولم ينس حفظه من الأدب شعره ونثره .
 ومن هذا التراث ما هو مطبوع ، ومنه ما لا يزال مخطوطا ، ومنه ما
 هو مفقود أو في حكم المفقود ، لذلك جعلت تراثه العلمي في ثلاث مجموعات
 على الترتيب المذكور وحاولت في كل مجموعة أن أبدأها بالمادة الدينيّة من

(١) أنباه الرواة ٣: ٢٦٦

(٢) المرجع السابق ٣: ٢٧٢

تفسير أو حديث أو فقه عم بالكتب النحوية فاللغوية ثم الأدبيات
نثر وشعر *

اولا : فى علوم الدين *

- " الكشف عن حقائق التنزيل ، وعيون الاوائل على وجوه التأويل "

وهو كتاب فى التفسير ، وأعظم مؤلفاته شأنًا ، بدأ فى تأليفه فى مطلع
سنة ٥٢٦ هـ وانتهى منه سنة ٥٢٨ هـ فى مكة المكرمة خلال جواره الثانى ،
وأهداه لابن وهاس . (١)

ويبدو من مقدمته أنه كتبه مرتين :

الأولى : وعلى تتمثل فيما أهله على تلامذه وأخوانه فى المذهب

الاعتزالي وكانوا كلما رجعوا إليه فى تفسيرية ، أبرز لهم بعض الحقائق ،
استظفروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك ، حتى اجتمعوا إليه
مقترحين أن يلقى عليهم ، " الكشف عن حقائق التنزيل . . . " فاستجاب

طلبهم . (٢)

أما الثانية : فالمعتقد أنه هذا الذى بين أيدينا وهو يبين أن ابن

وهاس كان يحدث نفسه أثناء غيبة الزمخشري فى خوارزم ، بالوفادة عليه

فى خوارزم ليتوصل إلى هذا الخرض ، فيقول الزمخشري فى ذلك : " وقد ضاعت
على المهتجمي الحيل ، وعيت به العلل ، ورأيتنى قد أخذت منى السن وتقعقع

السن وناهزت العشر التى سميتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت فى طريقة

أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن الشرائد ،

ووفق الله وسدد ، ففرغ منه في مقدار / ابى بكر الصديق رضى الله عنه . . . (١)

ويذكر أن الزمخشري كان قد افتتح كشفه بقوله : " الحمد لله الذى خلق القرآن " فقالوا له : لو تركته على هذا لزهد فيه الناس فغيرها بقوله " الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما " وقيل إن هذا من إصلاح الناس وليس من الزمخشري نفسه . (٢)

ويقول صاحب كشف الظنون إنه " رأى النسخة الأصلية التى هى بخط الزمخشري نفسه بيده فى مدينة السلام مكتوبة فى تربة . . . الامام أبى حنيفة خالية من أثر الكشط والإصلاح ، وفى مقدمتها " الحمد لله الذى أنزل القرآن " . (٣)

وهو يهتم فى تفسيره هذا بتوجيه الآيات الكريمة لخدمة عقيدته الاعتزالية ويعنى عناية كبيرة بابرار مواطن البلاغة ، كما يهتم بالنحو اهتماما خاصا .
ويسهب فى الاستشهاد بالقراءات ويحزب شرحه بشواهد شعرية كثيرة من أشعار القدماء . (٤)

والزمخشري فى تفسيره هذا شديد الإنكار على المخالفين للمعتزلة كثير التشنيع على غيرهم من الفرق لذلك نجد كثيرا من العلماء ، وخاصة أهل السنة قد نقدوا آراءه وناقشوها ، وردوا عليها ردودا تتفق واسلوبه من هوادة أو عنف .

ويبدو أن الزمخشري قد اطلع على كتب التفسير التى سبقته وأفاد منها

(١) الكشف ١ : ٢٠

(٢) الوفيات ٥ : ١٧٠

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢ : ١٤٨٢

(٤) دائرة المعارف الاسلامية باللغة العربية ١٠ : ٤٠٤

وخامة تفاسير المعتزلة • (١) كما ورد في كشفه أسماء كثير من الصحابة رضي الله عنهم منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وأبو هريرة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهم • وكذلك بعض أسماء التابعين من الفقهاء والمفسرين وأسماء اللغويين والنحاة والقراء وغيرهم •

وقد ظل الكشف حتى الآن محتفظا بمكانته وحاول بعض المفسرين أن ينهج طريقه ولعل البيضاوي وهو سني حين كتب تفسيره جعله نظيرا لتفسير الزمخشري عند المعتزلة ، بل حاول أن يتفوق عليه فيما يتعلق بالنحو ، والاستشهاد بالقراءات المختلفة • (٢)

وقد اغتنى بالكتاب خلق كثير من نساخ وشرح ومعلقين فذكر بروكلمن أن للكتاب أكثر من خمس وتسعين مخطوطة ، واثنين وعشرين شرحا وتعليقا وتسعة مختصرات وثلاثة ردود عليه ، وما تزال نسخة الأصل الأولى التي نقلت من السواد محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني • (٣)

ويبدو أن الزمخشري كان يعتز بكشافه وكثيرا ما كان يفخر به • (٤)

وقد طبع الكشاف طبعا عديدة كان أولها طبعة (نشان لير) • وقد طبعها حسين وعبد الحمي كلكتا ١٨٥٦ م في مجلدين • وتلتها طبعة بولاق ١٢٩١ هـ وطبعات أخرى في مصر ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٨ هـ • (٥) وطبع بالمطبعة البهية المصرية ١٣٤٢ هـ ، وطبعته مطبعة مصطفى البابي

(١) انظر: الزمخشري ص ١٠٩ - ١١١

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٤

(٣) بروكلمن ٢ : ٢٨٠

(٤) الزمخشري ص ٢٤٢

(٥) معجم المطبوعات العربية ع ٩٧٥

الحلي ١٨٣٥ هـ - ١٩٦٦ م . وكذلك دار الكتاب العربي ببيروت . (١)

الفائق في غريب الحديث : الكتاب شبه معجم لغوي يتصل

بالاحاديث الشريفة ومفرداتها الغريبة لذلك أُوردته في هذا المكان .

وقد أتمه صاحبه في شهر ربيع الآخر سنة ٥١٦ هـ . (٢) وهو يورد الكلمات

الغريبة في الأحاديث والآثار ويشرحها بطريقة الخاتمة وهي أن يعرض

الكلمة فيأتي بفعلها الثلاثي على طريقة المعجم مراعيًا الحرف الأول والثاني

فهو يذكر مثلاً العمرة مع الباء ، ثم الهمة مع التاء ثم مع الثاء ، وهكذا ،

ولكنه وراء الحرف الثاني قد لا يلتزم الترتيب فهو مثلاً يذكر (أبط) بعد

(أبن) ، و (جدل) قبل (جذف) . (٣)

وهو حين يفسر فيه كلمة أو يبين معنى قد يث أراءه في التحو أو البلاغة

ويستشهد بكثير من أمثال العرب وشعرهم ونثرهم . وهذه بعض الأمثلة التي

توضح طريقته :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يوطن من المسجد للصلاة

والذكر رجل ألا يشبه الله به من حين يخرج من بيته كما تشبه أهل

البيت بغائبهم إذا قدم عليهم "

قال الزمخشري : التشبيه بالانسان المسرة به والإقبال عليه ، وهو من

معنى البشاشة لا من لفظها عند أصحابنا البصريين ، وهذا مثل لارتضاء الله

فعله ووقوعه الموضع الجميل عنده .

يخرج : في موضع الجر بإضافة الحين اليه والاقوات تضاف الى الجمل ،

ومن لا بتداء الغاية والمعنى أن التشبيه يبتدىء من وقت خروجه من بيته الى

(١) معجم المطبوعات العربية ٩٧٥

(٢) كشف الظنون ٢ : ١٢١٧ - دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٤

(٣) الفائق ١ : ١٧٨

الى أن يدخل المسجد ، غثرك ذكر الانتباه ، لأنه مفهوم ، ونظيره
شفت البرق من السحاب .

ولا يجوز أن يفتح حين كما فتحه في قوله :

« على حين عاتيت المشيب على الصبا »

لأنه منافي الى معرب ، وذلك الى معنى . (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الاسلام لجأز الى المدينة كما

تأري الحية الى جحرها » .

قال : ينضوي اليه وينضم ، ومنه الأروى للبعيل المتقصر .

وعن أبي الأسود الدؤلي : أن فلانا اذا سئل أرى واذا دهى

انتهر . (٢) وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فحقق بالتمثال
وبهرز بالأيدي . »

قال الزمخشري : البهرز : الدفع بالأيدي الحنيف ، وقيل للأولاد

العلائق - بنو العلات : أبوهم واحد وأمهاتهم شتى - بنو بهرز لتدافعهم

وقلة نوافذهم ، وبه سمى ابن حكيم بهرزا . (٣)

وقد أتى ابن حجر على الفائق بقوله : « والفائق في غيب

الحديث من أنطس الكتب ، لجصده المتفرق في مكان واحد ، مع حسن

الاختيار وصحة النقل » (٤)

طبع الكتاب في حيدر آباد الدكن في جزأين سنة ١٣٢٤ هـ ثم

(١) الفائق ٩٢:١

(٢) المصدر السابق ٢٢:١

(٣) المصدر نفسه ٩٥ : ١

(٤) الزمخشري ص ٢٦٠

ثم طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٥ م .

— خصائص العشرة الكرام البررة :

كتاب في ترجمة الصحابة العشرة المبشرين بالجنة وكان الدافع الى

بأليفه نزول البركة ، والرحمة عند ذكر الصالحين .

والكتاب يتحدث في مزايا كل واحد من هؤلاء السادة التي لم يشاركه

أحد في مزية منها . (١) وقد رتبهم حسب مراتبهم عند رسول الله

ﷺ صلى الله عليه وسلم إذ ورد ذكرهم في حديث شريف يقول عليه الصلاة

والسلام : " ابو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في

الجنة ، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة

وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد بن نفيل في الجنة وابو

عبدة بن الجراح في الجنة " (٢)

ومما جاء في الكتاب بشأن العشرة البتتان التاليتان : (٣)

لقد بشرت بعد النبي محمد بجنة عدن زمرة سعداء

سعيد وسعد والزبير وعامر وطلحة والزهري والخلفاء

والكتاب نشر ببغداد سنة ١٩٦٨ م .

ثانيا : كتب الزمخشري التي طبعت في النحو .

(١) خصائص العشرة المبشرين بالجنة ص ١٠

(٢) رياض الصالحين ١ : ٢١

(٣) خصائص العشرة ص ٢٠١

— المفضل في شتحة الاعراب :

هو أشهر كتب الزمخشري في النحو . شرح في تأليفه في غرة رمضان

(١)

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، ووفى عنه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وقد بلغ الكتاب مكانة عالية عند علماء النحو ، وتناوله كثرة من الشراح بالدرس

(٢)

والتعليق ، ويعدّه النحاة ^{اللاحقون} ثاني كتاب في النحو بعد كتاب سيويه .

ذكر ابن يعيش في مقدمة شرحه (للمفضل) أنه نابه ذكره ، مجليل .

قدره ، جميع أصول هذا العلم ، وأوجز لفظه ، فتيسر على الطالب

تحصيله . (٣)

ويقول عنه صاحب كشف الظنون : " هو كتاب عظيم القدر ، وذكر فيه

شجرا جظه نذا لكتاب سيويه . (٤)

فكما أنهم أطلقوا على (الكتاب) قرآن النحو فهو يجعل (المفضل) .

كأنه سور من ذلك الكتاب ، ويخصها بطوال المفضل .

وقد اهتم ابن العبري (٥) بالمفضل ، ورآه غاية ما يمكن الوصول إليه

في التأليف النحوي ، فانتفع به ، وقصد التحريف بمحتواه لأصحاب اللغات

الأخرى للسير على نهجه . (٦)

ويذكر الدكتور علي عبد الواحد ^{واهي} أن جماعة المتأخرين جاءوا بمذاهبهم في

(١) وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٥

(٢) سر كبير المعاجم العربية ص ١٢٩

(٣) ابن يعيش : شرح المفضل ١ : ٢

(٤) كشف الظنون ٢ : ١٧٧٤

(٥) هو : بارهبريوس أبو الفرج مؤرخ عربي توفي سنة ١٢٨٦ م . انظر :

دائرة المعارف ١٠ : ٢٢٦

(٦) تطور الدرس النحوي ص ٨٢

والاستيعاب لجميع ابواب العلم ، يوضحوا أعم كتب النحو والصرف ، واكملها ،
وأدقها ، وأكثرها تهذيبا ، ومن أشهرهم الزمخشري ، صاحب المفصل في
النحو . (١)

ويقول الأستاذ عبدالحميد حسن : إنه ليس في الكتب التي بيننا المفصل
وكتاب سيبويه مما وصل إلينا كتاب عالج المباحث النحوية علاجا كاملا شاملا .
فإنما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة ، أو في مباحث صرفية هي أقرب
إلى الصيغة النحوية وكتاب المفصل يعتبر مرحلة تامة النمو ، وحلقة كاملة
الوضع في سلسلة البحوث النحوية . (٢)

فللمفصل كما أشرنا مكانته المرموقة في عصر تأليفه وما تلاه من عصور
وظهر ذلك في اهتمام الناس به ، وانكباب العلماء والطلاب على درسه حتى
أن الملك عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق (ت ١٢٤٠ هـ) جعل لمن
يحفظ كتاب المفصل من الطلاب مكافأة مالية تقدر بمائة دينار ومخلعة . (٣)
والزمخشري يبين الغاية من تأليف مفصله ، وهي ما بالمسلمين من الأرب
إلى معرفة كلام العرب وقد أخذته الشفقة على أشياء منه من الأدباء . (٤)

ويرى الدكتور حسن عون في شيء من المبالغة أن الباعث الحقيقي
لتأليف المفصل هو أن الزمخشري لما رأى أن المؤلفات النحوية ، وعلى رأسها
كتاب سيبويه مضطربة في منهجها ، وفي أبوابها ، وفي أحكامها ، حيث يظهر
الخلط والتكرار ، والاستطراد ، ويغلب عليها عدم الوضوح ، أراد أن يخلص النحو

(١) عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٦٩

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٠١

(٣) محمد الطنطاوى : نشأة الفحوص ص ١٧٥

(٤) المفصل مع ابن يعقوب المقدمة ١ : ١٧ - المفرد والمؤلف ص ٥

من كل ذلك ، ويجعله خالصاً في مادته سهلاً في تناوله ، فألف لذلك كتابه
المفصل ، (١)

وقد اهتم بالمفصل طائفة كبيرة من العلماء والباحثين فمنهم من شرحه
أو شرح شواهد ، ومنهم من نظمه أو اختصره أو قلده ، وسأبدأ بهم على
هذا الترتيب ثم نشره وطبعه .

١ - طائفة الشارحين له أو لشواهد :
شرح المفصل الزمخشري نفسه ، ويوجد من ذلك الشرح نسخة بليدن

١٦٤ و وفيناً ١٥٤ . (٢)

وشرحه الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) . (٣)

وشرحه ابو البقاء الحكيري (ت ١١٦ هـ) منه نسخة بالقاهرة الفهرست

ط ٢ ج ٢ - ١٢٧ ، ١٥٧ ومختصر منه بعنوان المسترشد لنفس ابي البقاء . (٤)

وشرحه ابو محمد مجد الدين القاسم بن الحسين المعروف بصدر الأفاضل

الخوارزمي (ت ٦١٧ هـ) وله عليه ثلاثة شروح ، واسمه التخمير منه نسخة في

المتحف البريطاني ٩٢٧ ودمشق في الظاهرية ٦٧ ، وعمومية ٧٥ . وسيط

ومختصر ، وفي بغية الوعاة انه صنف المجرة في شرح المفصل وهو بسيط ،

والسبيكة في شرحه وهو متوسط ، والمجرة وهو صغير . (٥)

وقام بشرحه أبو العباس أحمد بن أبي بكر الخاراني (ت ٦٢٠ هـ) . (٦)

(١) حسن عون : تطور الدرس النحوي ص ٨٢

(٢) بروكلمن ١٩١ : ٢ - الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٢

(٣) المرجع السابق

(٤) بروكلمن ١٩١ : ٢ - بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٥) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٣

(٦) المرجع السابق

وشرحه على بن يحيى (ت ٦٤٢هـ) وهو أتم شروحه كلها ، لأنه

أشبه دائرة معارف في استقصاء آراء النحويين .

طبع هذا الشرح في ليبسا سنة ١٨٧٩م ، ١٨٨٢م وطبع في عشرة

أجزاء نشرتها إدارة المطبعة النصرية ، ونشرته مكتبة المتنبى في القاهرة

بالاشتراك مع عالم الكتب ببيروت . (١)

وقام بشرحه أبو العباس أحمد بن محمد العكبري (ت ١٠٠٠هـ) .

وشرحه مجيب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار

البغدادى (ت ٦٤٢هـ) . (٢)

وشرحه المنتخب بن أبي العز بن رشيد أبي يوسف الهمداني المقرئ

(ت ٦٤٢هـ) (٣)

وشرحه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد النحوي (ت ٦٤٢هـ) (٤)

وقام بشرحه على بن محمد السبكي (ت ١٢٢٠هـ) من حاة العصر الأيوبي ،

له شرحان على المفصل ، الأول في أربعة مجلدات ، ومنه نسخة في لندن

١٦٥ باريس ، ٤٠٠٤ ، وقطعة منه بـاسكوريا ٦١ والآخر (سفر السعادة

وسفر الافاد) منه نسخة في برلين ٧٠٤٩ وفي دمشق ، عموميه ٨٦ والظاهرية

٧٢ . (٥)

(١) دائرة المعارف ٧١ سلامة ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية والمخوية ١٠٣

(٣) المزيج السابق

(٤) حاشية السجاعي على قمار النديم ٢٢

(٥) بروكلمن ١٠٠ : ٢٨٨ - بغية الوعاة ٢ : ٢٨٨

وشرحه من أئمة النحو ابن الضائع (ت ٦٤٣هـ) . (١)

وشرحه الشيخ أبو عمرو عثمان بن عمرو المصروف بابن الحاجب

(ت ٦٤٦هـ) وسماه الايضاح ، منه مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد رقم

١٠٦٥ ، وميونخ ٦٩٣ والاسكندرية ٤٦٠ (٢)

وشرحه جمال الدين علي بن يوسف القنطري (ت ٦٤٦هـ) (٣)

(٤) وشرحه محمد بن محمد المعروف بابن عمرو الحلبي (ت ٦٤٩هـ)

وشرحه عبدالواحد بن عبدالكريم الانصاري (ت ٦٥١هـ) وسماه المفضل ،

منه نسخة في الاسكندرية ٦١ . (٥)

وشرحه الامام مظهر الدين محمد ، فرغ منه (٦٥٩هـ) وسماه المكمل

منه نسخة في الاسكندرية ٦٠ ، والجزائر ٤٣ وباريس ٦٤٣٨ والمتحف البريطاني

٦٥٢ . (٦)

وشرحه علم الدين قاسم بن أحمد الاندلسي (ت ٦٦١هـ) وسماه الموصّل وهو

في أربعة أجزاء ، وذكر أن من شرحه نسخة في مكتبة سليم اغا ١١١٧ (٧)

وشرحه الشيخ ابو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك

(ت ٦٧٢هـ) منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق ٦٤ . (٨)

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ٤٧٢: ٤

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٤

(٣) المزيغ السابق

(٤) نفس المرجع

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ١٠: ٤٠٣

(٦) بروكلمن ١٩١: ٢ - بخية البعثة ٢٨٨: ٢

المرجعان السابقان

(٨) دائرة المعارف الاسلامية ١٠: ٤٠٣

وشرحه الشيخ ابو عاصم على بن عمر بن الخليل الفقيهي (ت ٦٨٩هـ)

وسماه (المقتبس في توضيح ما التبس) (١) .

(٢)

وشرحه حسام الدين حسير بن علي الشقاني (ت ٧١٠هـ) وسماه الوصل

وشرحه ابن أم قاسم ، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) . (٣)

وشرحه يحيى بن حمزة بن رسول الله (ت ٧٤٩هـ) وسماه (المحصل لكشف

١٤)

أسرار المفصل) منه نسخة في برلين ٦٥٢١ ، وأخرى في الفاتيكان ١٠٢١

وشرحه المهدى لدين الله أحمد بن أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ)

(ت ٨٤٠هـ) منه نسخة في المتحف البريطاني ملحق ٩٢٨ وسماه (التاج

المكمل) (٥) .

وشرحه محمد سعد المروزي وسماه (المحصل) (٦) .

(٧)

وشرحه محمد عبدالغني / (المؤول في شرح المفصل) طبع في كلكتا ١٣٢٢هـ -

وشرحه محمد بن محمد الخطيب الفرخاني . منه نسخة في المتحف البريطاني

فهرس المخطوطات الشرقية رقم ٧٤٧٢ . رقم ٥٠ (٨)

وشرحه عبدالله الحمادي ، وطبع في لکنهو ١٣٢٣هـ . (٩)

(١) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٥

المرجع السابق

(٢) المرجع نفسه

(٣) نفس المرجع

(٤) المرجع السابق

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٦) المرجع السابق

(٧) المرجع نفسه

(٨) نفس المرجع

وشرحه أبو القاسم أحمد الأندلسي ، منه نسخة في استانبول مكتبة سليم
أفا رقم ١١٥٧ ، (١)

وشرحه محمد الطيب المكي الهندي وسماه (الوشاح الحامد كالمفصل
على مخدرات المفصل) طبع بالهند ١٨١٨ م ، (٢)
وشرحه الامام المحقق نجم الدين عثمان بن الموفق الاذكاني وسماه
(الحقارب) ، (٣)

وشرحه تاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندی توفي في القرن
الثامن ، وسماه (الاقليد) منه نسخة في الاسكوريال ٦٢ وباريس ٤٠٠٣ ،
وامبروزيا ١٠٥ (٣)

وشرحه (مجهول) منه قطعة في المتحف البريطاني رقم ١٠٣١ (٣)
وشرح أبياته رضا الدين حسن بن محمد الصفاني (ت ٦٠٥ هـ) (٣)
وشرح أبياته أبو البركات مبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي
الأرمني (ت ٦٣٨ هـ) وسماه اثبات المصطلح في نسبة أبيات المفصل (٣)
وشرح أبياته بدر الدين أبو فارس النعساني طبع على الهامش ،
بالقاهرة ١٣٢٤ هـ وسماه (المفصل في شرح شواهد المفصل) (٣)
وشرح أبياته فخر الدين الخوارزمي منه نسخة في الظاهرية ٨٦ (٣)
طائفة الناظرين للمفصل :

نظمه أبو نصر فتح بن موسى الخضراوي القصري (ت ٦٦٣ هـ) (٣)
ونظمه الشيخ أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ) (٣)
ونظمه ابن مالك وسماه (المومصل في نظم المفصل للزمخشري) (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٦

(٣) المرجع السابق

طائفة المختصرين للمفصل :

اختصر المفصل الشيخ عبد الرحمن بن عطاء الله السكندري

(ت ١١٢٢ هـ) . (١)

واختصره شمس الدين محمد بن يوسف القنوي (ت ٧٨٨ هـ) (٢)

وأما من قلد المفصل :

أحمد بن بهرام بن محمود (ت ١٧٠ هـ) في كتاب سماه بنفس

الاسم . (٣)

طائفة الناشرين للمفصل :

طبع المفصل لأول مرة في كرسثيانا سنة ١٨٥٩ م باقتناء بروخ ،

وطبعه مرة أخرى ١٨٧٩ م (٤) وترجم الى الألمانية وطبع ١٨٧٢ م (٥)

ونشره مع حواشي وذيل مولوى محمد يعقوب راسموري ١٨٩١ م (٦)

ونشره حمزة فتح الله بالاسكندرية ١٢٩١ هـ وفي القاهرة ١٣٢٣ هـ (٦)

ونشره مع شرح الشواهد محمد بدر الدين أبو فراس النحاساني الحلبي

القاهرة (١٣٢٤ هـ) وسماه المفصل في شرح شواهد المفصل . (٦)

هو "لا" بعض الباحثين والعلماء الذين أقبلوا على المفصل يقرأونه

ويشرحون نصوصه ويعلقون على ما جاء فيه .

(١) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٦

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٤) بروكلمن ١ : ٢٩٠

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٣ : ٤٧

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

مقدمة الأدب :

كتاب فى الفحو ورتبه الزمخشري فى خصصة أبواب على : باب الأسماء ،

باب الأفعال ، باب الحروف ، باب تصريف الأسماء ، وباب تصريف الأفعال .

وهو يورد فى كل باب مقدماته السريه مع شروحيها بالفارسيه .

وقد ألفه الزمخشري لتعليم أولاد الفرس واعداده إلى الأمير اشتر (١)

والكتاب مخطوط بدار الكتب المصريه بالقاهرة تحت رقم ١٠٠٠ لفة (٢)

وهناك أيضا قسم آخر مخطوط يتضمن الأفعال والحروف وتصريف الأسماء

رقم ٢٧٢ ، ومنه قطعة ضمن مجموعه تحتوى الأفعال فقط رقم ٥٨ مجاميع لفة . (٣)

طبع الكتاب فى (ليبسك) سنة ١٨٤٣م وقد جعله العالم الألمانى

(وينشتاين) فى قسمين : الأول منه هو الأسلى سابق الذكر .

والثانى : معجم عربى لاتينى رتبه على حروف الهجاء وأدرج تحت .

الأصل مشتقاته مع الاهتمام بالعبارات والتراكيب اللغويه . يعطى بعد .

المقابل اللاتينى رقمين يدلان على الصفحة والسطر حيث ذكرت اللفظة العربيه

فى القسم العربى الفارسى . (٤)

وطبع الكتاب فى طهران سنة ١٩٦٣م باهتمام سيد محمد كاظم إمام .

وترجمه إلى التركيه اسحق أفندى بن خير الدين وسماه أخصى الأرب فى ترجمه

مقدمة الأدب . (٥)

(١) ربيع الأبرار المحقق ٢٢ : ١

(٢) البلاغة القرآنيه ص ٤٧

(٣) العرجع السابق

(٤) وجدى رزق : المعجمات العربيه ص ٩٩

(٥) ربيع الأبرار المحقق ٢٢ : ١

الأنموذج :

الكتاب اختصار لقواعد النحو وحين يقارن بالفصل نجد الكتابين
يسيران على منهج واحد ، ولكن (الأنموذج) أشد إيجازاً ، فهو يوصي
إلى مسائل النحو إيماءً .

وقد أعدى الزمخشري هذا الكتاب إلى مجير الدولة أبي الفتح على
ابن الحسين الأردستاني . (١)

للكتاب مخطوطة بالمتحف البريطاني فهرس المخطوطات الشرقية
رقم ٦٢٦٠ . (٢)

ونسخه بروخ بخطه في كريستيانا ١٨٦٧ .

طبع الكتاب في كريستيانا سنة ١٨٦٧ م ، وفي طهران ١٢٦٨ هـ وتبريز
١٢٧٥ هـ . وفي مطبعة المدارس بمصر ١٢٨٩ هـ وفي استانبول ١٢٨٠ هـ .
وللكتاب شروح عديدة أشهرها :

شرح جمال الدين محمد بن عبد الغنى الأردبيلي (ت ٦٤٧) وطبع هذا
الشرح في بولاق ١٢٦٩ هـ وطبع في مجموعة فارسية ١٢٧٤ هـ .
وشرحه الشيخ محمد عيسى وسى شرحه الفيروزج .
وطبع في مطبعة المدارس بمصر ١٢٨٩ هـ . (٤)

(١) الزمخشري : المفرد والمؤلف المحقق ص ٧

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٣) الموجع السابق

(٤) المفرد والمؤلف المحقق ص ٧ - ربيع الإبرار المحقق ١ : ٢٠

الاحاجى النحوية :

لهذا الكتاب أسماء عدة فمنها : " المحاجاة ومتم مهام أرباب
الحاجات فى الأحاجى والألغاز " و " المحاجات ومتم مهام أرباب الحاجات
فى الأحاجى والأغلوطات فى النحو " و " المحاجات بالمسائل النحوية " و
" الأحاجى " وذكره حاجى خليفة " بالمحاجات " • (١) وأما اسم
" الأحاجى النحوية " وهو عنوان النسخة التى وقعت فى يدي ، فهو يبدو
فيه الاختصار والوضوح •

ألفه الزمخشري فى مكة بعد تأليف " الكشف " وأعداه إلى ابن
وهاس ، ويصفه الزمخشري فى المقدمة بقوله : " مسائل نحوية مسوقة فى مسالك
المحاجاة ، مسوقة فى سلوك المعاني ، لا تستلنى منها مسألة إلا سقطت على
أملوحة من الأماليح العلمية ، وأفكوة من الأفاكه الحكمة ، وذلك لترويض
الأذهان بعد جموحها حتى تعود سلسة القياد " (٢)
جعل الزمخشري فى هذا الكتاب خصمين أحجية من أحاجى النحو ومسائله
التي تبحث فى فلسفة النحو ويتعرض لمسائل دقيقة ثم يأتي بالحل •
شرح الكتاب علم الدين السخاوى (ت ٦٤٣هـ) باسم تنوير الدياجى)
وقد عقب فيه على أحاجى الزمخشري ، بأخرى من نظمه هو والترم أن يعقب
كل أحجيتين بلغزين من نظم نفسه • (٣) وذكر بعضها السيوطى فى
الأشباه والنظائر •

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٣٥ - ربيع الأبرار المحقق ١ : ٢٢

(٢) الأحاجى النحوية ص ١٨

(٣) المفرد والمؤلف المحقق ص ٩

والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨ نحو ١١٦٤
مجاميع، وهو في ٢٧ ورقة في مخطوطة الشنقيطي و ٢٥ في المجاميع (١)
طبع كتاب (الأحاجي النحوية) في دمشق ١٩٦٩ م، وفي بغداد
سنة ١٩٧٣ م .

المفرد والمؤلف :

كتيب في النحو ألفه الزمخشري لأهل مكة ، (٢) وجعله في بابين اثنين
هما :

- باب المفرد ، ويتحدث فيه عن الكلمة وأحكامها وأنواعها .
- وباب المؤلف ، ويتحدث فيه عن التركيب وأنواعه وأحكامه .

يوجد للكتاب مخطوطة في استانبول كوبر يلى ١٢٦٣ هـ . (٣)

نشر الكتاب في المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي
سنة ١٩٦٧ م . ثم قامت الدكتورة بهيجة الحسنى بطبعه مستقلا ١٣٨٧ هـ
- ١٩٦٧ م .

مسألة في كلمة الشهادة :

هي محاضرة ألقاها الزمخشري على تلاميذه ، وتتعلق بإعراب كلمة
الشهادة .

وموضوعها حذف خبر لا النافية للجنس في كلمة " لا اله الا الله "

(١) الزمخشري ص ٦٠ ٦١

(٢) الزمخشري : المفرد والمؤلف ص ١٦

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٤٠٣

وهي بالفاظ أحد تلاميذه الذين حضروا هذا الدرس . وقد ذكر محقق
المسألة أنه مكتوب على النسخة التي حققها " هذه عبارة بعض تلامذته ،
تلقنها منه وأثبتها بعبارة " واسم التلميذ وتاريخ النسخ مجهولان (١)
وقد أشار إليها بروكلمن (٢) وذكر أنها المخطوطة الفريدة في مكتبة
جامعة (توبنكن) ، ولم يزد على ذكر اسمها شيئا .

وذكر المرحوم أمين الخولي سبها أنها رسالة في الحقائق (٣) .

نشرت المسألة في المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي
العراقي ، وقامت بتحقيقها الدكتورة بهيجة الحسنى ، وأرفقتها برسالة
المفرد والمؤلف ليطلع القارى على ماهيتها (٤) .

ثالثا : مجموعة اللغة والأدب .

١ - اللغة :

— أساس البلاغة :

معجم في اللغة العربية عرئ فيه صاحبه بشكل واضح ليحث الدلالة
البيانبة ، ومعاني المفردات من ناحية الحقيقة والمجاز ، وتعابير الأدباء
والبلاغة ، كما يبحث في استعمال الألفاظ ومواقعها من الجمل ، وافراد
المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح (٥) .

(١) الزمخشري : مسألة في كلمة الشهادة

(٢) بروكلمن : تاريخ الادب العربي = ٢٨٩

(٣) مقال عن الكشف في مجلة تراث الانسانية مجلد ٤ العدد ٢ سنة ٦٦

(٤) مسألة في كلمة الشهادة مقدمة المحقق ص ١

(٥) مقدمة الأساس للمحقق هـ

والدافع إلى تأليفه كما يبدو من مقدمته ، التوصل إلى بيان مراسم
البلقاء والمخاطبة بين الفاضلهم ، ومتحاورات أقوالهم ، وليكون الناظر في اعجاز
كتاب الله اعرف بأسراره ولطائفه . (١)

والزمخشري يردنا إلى مراجعته التي استقى منها مادة هذا الكتاب ، فيقول :
إنه فلى له الحرية وسمح من الاعراب في بواديها بمن صعايك نجد في
مراعاتها ومن سمسرة تهامة في أسواقها وما تزاخر السقاة على أفواه
آبارها ، وما تقارنته شعراء قيس يتميم في ساعات المفارقة والمغالبة كما رجع
فيه إلى بطون الكتب فأخذ من روائع الفاضلها وجوامع كلمها . (٢)

وبين نوع الألفاظ التي اختارنا لمادة الكتاب ، فهي مما انتقوا وانتخلوا
ومما استفصحو واستجزلوا ، ومن أسباب هذا الاختيار التوصل إلى وجوه
الاعجاز والقدرة على تقديم الحجة . (٣)

وطريقة الكتاب هي : أن الزمخشري ألفه على ترتيب حروف الهجاء ،
فحقد بابا للهزمة بداء بالهمزة مع الباء ، ثم الحرف الذي يليه ان وجدت
مادة بذلك ، ثم الهمزة مع التاء ، ثم الثاء . . .

ثم شرح المعاني الحقيقية للكلمات ، فالمعاني المجازية مثال ذلك :
قال في مادة حلف : حلف بالله على كذا حلفا وهو حلاف وحلافة وحلف
حلفة فاجر وحلوفة كاذبة وحالفه على كذا وتحالفوا عليه واحتلفوا زحلف
خصمه وأحلفه واستحلفه .

(١) مقدمة الاساس للمحقق د

(٢) اساس البلاغة المقدمة ك

(٣)

المصدر السابق

(٤) المصدر نفسه مادة (حلف)

ومن المجاز : بينهم حلف أى عهد ، وهم حلفاء بنى فلان وأحلافهم
وهذا حليفى وهو حليف الندى وحليف السهر وفلان محالف لفلان لازم له
وسنان حليف ورجل حليف اللسان يوافق صاحبه على ما يريد (١) . . .
وقد لاحق ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) (اساس البلاغة) وجمع
مجازاته فى كتاب خاص بها سماه (غراس الاساس) (٢)

ويقول فيه : " قرأت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة فى اللغة
من تبين الحقيقة من المجاز والنمك من اجتناب الاسهاب وارتكاب الأيجاز (٣)
والكتاب مع سمو مكانته بين كتب اللغة ، نرى هناك من يبدى تحفظه فى
دقته . . . بكتاب ابن حجر سابق الذكر وهو يستند هذا إلى أن المصنئ
الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى لم يكن قد بلغ مداه عندما كتب جارا لله
كتابه (الأساس) .

ثم يشير إلى شئ من اختلاف الفهم للمجاز اللغوى عند الزمخشرى
فى أواخر القرن السادس (٩٥٠هـ) وعند ابن حجر فى منتصف القرن التاسع
فى (غراس الاساس) فى مدة زمنية تمتد ثلاثة قرون بعد استقرار الاصطلاح
على معنى المجاز اللغوى المعروف فى كتب البلاغة .

فابن حجر يجمع فى كتابه (غراس الاساس) المجازات اللغوية مستقصيا
إياها ، متحريرا الدقة فيها حتى قال فى مقدمته كتابه : " قرأت الاقتصار

(١) الاساس مادة (حلف)

(٢) منه نسخة خطية فى مكتبة طلعت المودعة بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٣

منه - الأساس - على ما يجزم بأنه وضح على سبيل المجاز ، مكتفيا بالكتب
المصنفة في اللغة ، فإنها أوعب لها من غذا الأساس فمن لم يجد في
غذا المختصر شيئاً فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة معتمداً على غذا
الإمام البليغ المطلع " (١) .

ففي هذه العبارة إشارة إلى أن غراسه لا يشمل من (أساس البلاغة) إلا
المجاز وما تركه فهو على الحقيقة وهناك ما هو مجاز ولم يصرح الزمخشري
بذلك :

إن ابن حجر أسقط ما صرح به الزمخشري أنه مجاز وذلك في مادة
(أ ب ث) إذ يقول في الأساس : " ومن المجاز : غذا غلام قد تأثب
السلاح أي لبسه وتأثب القوس إذا أخرج منكبيه من حمالة القوس فصارت
على كتفه " . وسبب إسقاط هذه المادة أن ابن حجر لم يرها مجازاً ،
وهو ما يشير إليه في مقدمته بقوله : " فمن لم يجد في هذا المختصر
شيئاً فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة " (٢)

وأما إيراد ابن حجر لما يعده الزمخشري من المجاز ففي مادة (أ ت ي)
فالزمخشري لم يذكر شيئاً من معانيها على أنه من المجاز لكن ابن حجر
لا يثبت أن يختار من هذه المادة معاني يوردها في (غراسه) على أنها
مجاز فيقول : " تأتي له الأمر إذا تسهلت له طريقه . وتأثى له أمره حتى
انجبر . وأدى آثاة أرضه : أي خراجها ، وضرب عليهم الآثاة : أي
الجباية " (٣) .

(١) الأساس ، مقدمة المحقق و

(٢) المرجع السابق و ، ز

(٣) المصدر نفسه ز

يتبين من هذا أن ابن حجر يعدّها من المجاز وأن لم يعدّها من
الزمخشري في أساس البلاغة .

طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة في مجلدين سنة ١٢٩٩ هـ بمطبعة مصطفى
وهبي وفي لكتيه سنة ١٣١١ هـ وبمطبعة محمد مصطفى بمصر ١٣٢٧ هـ ثم
بمطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ في مجلدين (١) وطبع بالفتوة وأوفست
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م (٢) وطبع بمطابع الشعب في مصر ١٩٦٠ م وطبع
بدار صادر بيروت ١٩٦٥ م (٣)

— أعجب العجب في شرح لامية العرب :

كتاب يشرح فيه الزمخشري قصيدة الشنفرى التى مطلعها :

أقيموا بنى أمى مطايا صدوركم فانى إلى قوم سواكم لأميل

وشرحه هذا يتسم بالأسهاب والاستطراد فى المسائل النحوية حتى

كان النحو مقمودا بهذه الدراسة وقد اقتصر فى اللغة على شرح المفردات

ويستشهد بالآيات القرآنية وبالكثير من الأبيات الشعرية .

للكتاب نسخ مخطوطة فى : الأسكوريال ثانى ٤٦٢، ٤ بياريس أول

٣٠٧٧، ولييزج أول ٤٩٨، القاهرة ١٧٠، الف، والإسكندرية أدب ٣٥ ألف

وبرلين ٧٤٧٠ . (٤)

طبع الكتاب بمطبعة الجوائب فى الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ وطبع فى القاهرة

ومعه مجموعة شروح : شرح للمقصورة الدريضية ، ومقامات عمر بن الوردى ،

(١) المعجمات العربية ص ٢٨ — أساس البلاغة المقدمة ص

(٢) أساس البلاغة الخلاف

(٣)

المعجمات العربية ص ٢٨

(٤) بروكلمن ١٠٧ : ١

وذيوان ابن الخشاب سنة ١٣٢٨ هـ . (١)

وطبختى مجموعة أخرى بمصر أيضا ١٣٢٤ هـ يليه شرحان لابن زاكور المغربي

ولابن أحمد المالكي . (٢)

— الجبال والامكنة والمياه :

كتاب أشبه ما يكون بمعجم جغرافى ، يذكر فيه أسماء الجبال والامكنة والمياه وما يتعلق بها من أخبار أدبية .

والمكتاب بلا مقدمة سوى سطر واحد بعد التسمية يقول فيه : الحمد

لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين .

ويرتب الكتاب ترتيبا هجائيا يقوم فيه بتعريف موجز لكل جبل أو مكان

أو ماء على هذا الترتيب إلى نهاية الكتاب فبيداً بابى قبيس فيقول :

الجبل المشرف على الصفا يسمى برجل من مذهب مذحج كان يكنى بابى قبيس

لأنه أول من بنى فيه ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين لأن الركن كان

مستودعا فيه ، وهو أحد الأخشين . ويتبعه بباقي الجبال ثم الامكنة ،

ثم المياه .

وينهى الكتاب بالمياه التى بين مكة وينبع بيذاً بالعذبية والخشمة

وهما قلبيان وينهىها بسرف ، وهى بئر .

وقد رجع الزمخشري فى مادة الكتاب إلى : كتب اللغة ، وأشعار المتقدمين

من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وقد أفاد مما وجدته فى شعر

العباسيين كابى نواس . (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨ — بروكلمن ١٠٧ : ١

(٢) معجم المطبوعات العربية سنة ١٧٤٤ — دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٣) الجبال والامكنة والمياه ص ٨

وأُفاد من الأصمعي ونقل^{وتنقل} عن علي بن وهاس .

ترجم الكتاب إلى اللاتينية (١) ونشره المستشرق سافود، جراف بليدن سنة ١٨٥٦م ، ١٨٨٥م وطبع بالنصف سنة ١٩٦٢م وبغداد ١٩٦٨م .

أ- باب اللغة :

وهو شرح لمقامات الزمخشري طبع مع المقامات في المطبعة الحباسية

بمصر ١٣١٢هـ ثم ١٣٢٥هـ ولم يرد ذكر هذا الكتاب بذلك الاسم في المراجع التي حصلت عليها ، ولكن أشار إليها ياقوت بقوله (شرح مقاماته) (٢) . وقد القيت الزمخشري يسميه هذه التسمية في خاتمة شرحه لمقاماته .

ب- الأدب :

أ- ربيع الأبرار :

صنفه الزمخشري بعد كتابه (الكشاف) وكان الدافع إلى تأليفه إجماع خواطر الناظرين في الكشاف وترويح قلوبهم التي ارتفعها أعمال الفكر في استخدام ودائع علمه وخباياها كما أن تكون مطالعته ترفيها لمن أملاه الطل . (٣)

والكتاب مرتب على اثنين وتسعين بابا ، ويفهم مما أُورده حاجف خليفة في كشف الظنون "إن هذا ليس ترتيب المؤلف" فهو يقول : "ورثه بعضهم إلى اثنين وتسعين بابا" ويقول المحقق : "إن جميع النسخ التي عارت إلى مرتبة هذه الأبواب متفقة فيها ونسق الكتاب يقتضي هذا الترتيب (٤)

(١) البلاغة القرآنية ص ٥٧

(٢) معجم الأدباء ١٩ : ١٣٤

(٣) ربيع الأبرار ١ : ٣٦

(٤) المرجع السابق

والزمخشري يذكر في كل باب ما يتصل به من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما ورد من أقوال الصحابة ، ثم يتبعه بأقوال التابعين ، والزهاد ، والنسك ، والحكام ، والفلاسفة ، ومشاهير الرجال من الأدباء ، والشعراء ، والحكام من العرب واليونان ومن ذكرهم بعد الرسول الكريم والخلفاء الراشدين : جابر الصحابي وأبو سفيان وسفيان الثوري ، والحسن البصري ويحيى بن أكثم وإبراهيم بن المهدي وعمر بن عبيد وخالد بن صفوان وقتيبة بن مسلم الباهلي ومعاوية البرمكي والمهدي وزبيدة وإفلاطون ، وسقراط ، وجالينوس والاسكندر . . . وغيرهم وهو يكثر فيه من الرويات الطريفة . والكتاب في جملة يشبه الكتب التي الفت قبل زمن الزمخشري في مثل

موضوعه : كحيون الاخبار والعقد الفريد . ومن أمثلته : (١) في معايشة الناس وملاقاتهم ومصافحتهم ومراسلتهم وذكرهم وزيارتهم : قال : جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اخلاق النبين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا والزائر في الله حق على المزور اكرامه » .

وذكر في هذا الموضوع بسبع عشرة حكاية واحدة منها غير مسندة وأما أصحاب الحكايات الاخرى غير جابر فهم : القعقاع بن ثور الهذلي ، وأبو خليفة الجمحي ، وأبو تمام والمعرّي وابن عباس واخيل بن احمد ، وهشام بن عبد الملك والمنصور والشافعي ، واردشير وثباذ وبهرام جور ، ومعاوية ، ولبيد ، وعلى هذا النسب يسير حتى نهاية الكتاب .

الكتاب مخطوط بدار الكتب بدمشق المبرية رقم ١٥٥ أدب ، (١)
وله مختصرات كثيرة وطبع بالقاهرة ، ويغداد ١٩٧٦ م .

- المستقصى في أمثال العرب :

كتاب في الأمثال العربية وكتبه الزمخشري على حروف الهجاء حسب أوائل
الأمثال ، وقد أشار في مقدمته إلى القيمة الأدبية لهذا النوع من الأدب ،
وأن الأمثال قصارى فصاحة العرب وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبلاغتها
التي أعربح بها عن القرائح السليمة . (٢)

ويضم الكتاب ثلاثة آلاف وأربع مائة وواحدا وستين مثلاً ، وفُرج من تأليفه

في شهر رمضان ٤٩٩ هـ . (٣)

وطريقته أنه يأتي بالمثل ثم يأخذ في شرحه ويسنده لقائله . مثال :

أنجز حر ما وعد .

قال : نجز الوعد إذا نفذ وأنجزته قاله الحارث بن خجر الكندي

لصخر بن نهشل ، وكان له مرياع بنى حنظلة فجعل للحارث الخصر منه ان

دله على غنية ففعل ، ووفى هو بوعده يضرب في استنباط المواعيد . (٤)

للكتاب مخطوطة في حزانة السيد حسنى عبدالوهاب بتونس وله

مخطوطات عدة في استنبول زيادة على المخطوطات التي ذكرها بروكلمن .

وهناك مختارات من هذا الكتاب اسمها زيادة الأمثال جمعها مصطفى بن

(١) الزمخشري ص ٦٢

(٢) الزمخشري : المستقصى المقدمة - الوفيات ٥ : ١٦٨ م .

(٣) ربيع الإبرار المحقق ١ : ٢٣

(٤) المستقصى ١ : ٢٨٤

(١)

ابن ابراهيم الغاليولي (ت ١٠٢٤ هـ) مع شرح فارسي وحواشي تركية .
 طبع المستقصى في مجلدين كبيرين بحيدر آباد سنة ١٣٨١ هـ -

١٩٦٢ م . (٢)

— مقامات الزمخشري :

هي مجموعة من الرسائل الخلقية ، بدأ مقدمتها بالدعاء لقارئها
 واستهل كل مقامة مخاطبا نفسه بقوله : (يا أبا القاسم) . وسميت بالمقامات
 أو (النصائح الكبار) وهي خمسون مقامة في النصيح والارشاد وجهها إلى
 نفسه ولكل منها عنوان وكأنه اختار تلك الحنا ومن لتكون الشباب التي
 يسلكها في حياته الجديدة بعد مرضته التي سماها المنذرة ، فمن هذه
 العناوين : مقامة التقوى ، مقامة الرضوان ، مقامة الزهد ، مقامة الصمت ،
 ومقامة القناعة ، ومقامة العفة ومقامة التوحيد ، ومقامة الشهامة ، ومقامة العزم
 . . . وقد ألفها في سنة ٥١٢ هـ بعد شفائه من مرضته (المنذرة) .
 وقيل إنه زاد عليها ^{بعض} رسائل من موضوعات مختلفة ، كالنحو والعروض
 وأيام العرب . (٢) وقد شرحها الزمخشري نفسه شرحا مفصلا ، تعرض فيه
 للغة والنحو واستشهد بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام العرب
 من شعر ونثر .

طبعت المقامات مع شرحها في المطبعة العباسية بمصر .

(١) بروكلمن ٤٢٣ : ٢ — دائرة المعارف الاسلامي^٩ ١٠ : ٤٠٨

(٢) الزمخشري ص ٥٩

(٣) درويش الجندی : النظم القرآني في تفسير الزمخشري ص ٤

— التمتع الصغار أو (أطواق الذهب) :

ضمها مائة مقالة كلا منها في بسطة أسطر بغير عنوان ، وهي في المواعظ ،
أشها بمكة المكرمة ليتقرب بها الى الله ، وينسرع إليه أن يفيض عليها من
البركة والقبول وأن يحفظ منها ما أوجب للجار من حق الذمام والذمار ،
لأنها وجدت في حرمة المطهر ، وقيل إنه كان يطوف ببیت الله فإذا فرغ
من الطواف أَلَفَ مقالة ، ثم يقوم ويطوف وينشئ بعد الفراغ مقالة أخرى ،
وما زال على ذلك حتى بلغت مائة مقالة . (١)

والكتاب مؤلف قبل تفسير الكشاف فقد ورد نص منه فيه يقول : وفي
التمتع الصغار : " املأ عينيك من زيناً هذه الكواكب واجملها في جملة هذه
العجائب متفكراً في قدرة مقدرها بتدبراً حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر
ويحال بينك وبين النظر . . (٢)

شرح الكتاب الشيخ يوسف اغندى الأسير (٣) وشرحه الميرزا يوسف خان
وسمى شرحه (قلائد الأدب في شرح أطواق الذهب)

وسار على نهج أطواق الذهب شرف الدين عبدالمؤمن بن هبة الله .
المغربي في تأليف كتابه (اطباق الذهب) وقال : إنه حذى حذوه واقتفى
أثره وخطوه . . (٤)

(١) الزمخشري للحوفي من ٢٨٠ (٢)

(٢) الكشاف ١ : ١٨١

(٣) ولد في عيدا وتعلم بالآزهر ، والاسير لقب جده كان الافرنجة قد
اسروه بمالطة ولما عاد الى صيدا عرف بالاسير . من كتبه رائد الفرائض وشرح
أطواق الذهب (ت ١٢٠٧ هـ)

(٤) الزمخشري ص ١٨١

كما حاكاه السيد توفيق البكري في كتابه «مهاريج اللؤلؤ» * ثم أحمد شوقي في كتابه «أسواق الذهب» مع اختلاف الموضوعات وتفاوت العبارات (١) .
 طبع الكتاب مع ترجمة المانية بقينا سنة ١٨٣٥م ونشره (فلايشر) في نفس السنة في ليبسك ونشره (باريه دي مينار) مع ترجمة فرنسية في باريس ١٨٧٦م ، (٢) وطبع مع ترجمة تركية في استانبول ١٢٨٨هـ . . . وطبع بشرح الشيخ يوسف الاسير ببيروت ١٣١٤هـ وطبع بشرح الميرزا يوسف خان بمطبعة القطن بمصر ١٣٢١هـ . (٣) وطبع بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ ، وبمطبعة المحمودية بالقاهرة ١٩٢٥م . (٤)

— نوابخ الكلم :

كتاب في الادب الانشائي يأخذ طابع التشكيك ويخوكم قصار مسجوعة سجعاً ملتزماً .

وقد ألف الكتاب قبل الكشف فهو يقول فيه : " وفي نوابخ الكلم ، صنوان من صنح سائله ومن ومن صنح نائلهم وضم " (٥)

شرح نوابخ الكلم سعد الدين التفازاني وشرحه أبو الحسن بن عبد الوهاب (ت ٧٠١هـ) (٦) للكتاب مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧٨ ز (٧)

(١) الزمخشري، ص ١٨١

(٢) البلاغة القرآنية ص ٥٧

(٣) الزمخشري، ص ٨٢

(٤) الزمخشري، ص ٨٢

(٥) الكشف ١ : ١٨١

(٦) البلاغة القرآنية ص ٥٥

(٧) الزمخشري، ص ١٢

طبع الكتاب سنة ١٧٧٢م بعناية المستشرق الهولندي (شلتز) مع
ترجمة إلى اللاتينية وطبعه المستشرق الفرنسي (مينار) مع ترجمة فرنسية
١٨٧١م وطبع في بيروت ١٢٠٦هـ ، وطبع بمصر سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م
وطبعة أخرى ١٩٢٧، (١)

- الدر الدائر ، المنتخب في آيات واستعارات وتشبيهات العرب ؟
رسالة قصيرة
منتخبة من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب والفرس
من نال فيها بيان أن العربية تنقسم إلى ظاهري لا يخفى على سامعيه . ومشتغل
على الكنايات والاشارات والتجوز .

والقسم الثاني هو المستحلى عندنا ، ثم أخذ يضرب الأمثال العربية
من شعر ونثر ويتبعها بنظائرها من الآيات القرآنية الكريمة .
ذكر بروكلمن عن (الدر الدائر) أنها الرسالة الوحيدة وهي محفوظة
اليوم في مكتبة جامعة كارل ماركس لايبزك تحت رقم ٨٧٨-١ وهي تتألف من
عشر ورقات . (٢)

وفي دائرة المعارف أنه لم يبق من مؤلفه إلا قطعة موجودة في ليبسك
رقم ٨٧٣ : ١٠ (٣)

نشرت مجلة المجمع العلمي العراقي هذه الرسالة في المجلد السادس
عشر ثم نقلته الدكتورة بهية الحسني في رسالة صغيرة .
- القصيدة البعوضية : (٤)
لها مخطوطة بيرلين ونشرت في مجلة الاستاذ المصرية سنة ١٩٦٧م .

(١) البلاغة القرآنية ص ٥٥

(٢) الزمخشري : الدر الدائر المحقق ص ٣

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٤) ربيع الأبرار المحقق ١ : ٢٣ - البلاغة القرآنية ص ٥٦

— قهيدة رثاء :

رث فيها شيخه أبا مضر وهى من القصائد التى جمعت فى ديوان

الفهرست الطبعة الثانية ، بالقاهرة الجزء الثالث (١٣١) ، ونشرت فى العزى

مضمون طبعة يهودا ص ١٦ وما بعدها . (١)

فى العروض

— ج —

— القسطاس المستقيم :

(٢)

للكتاب مخطوطة ببرلين وطبع فى مطبعة النعمان فى النجف ١٩٧٠م

بذا ثبت بالكتب التى طبعت للزمخشري فظهرت للوجود ، والتى أمكن

الحكم على مادتها العلمية ، أما التى لم تظهر للوجود ولا ندرى على وجه

اليقين فى أى فرع هى من فروع الدراسات العربية والدينية ، ولذلك لم

أعتمد الى تعيينها وتقسيمها حسب نوعها .

وقد مارى ما جهدت فيه أنى جمعت الأشباه والنظائر التى يبدو من اسمها

وجود نوع من التفاوت وذلك من باب التسييد والتقريب وقد أتبعته ذلك

فى المخطوطات والمفقودات على سواه .

المخطوطات :

— المنهاج فى أصول الدين :

سماه ابن خلكان " المنهاج فى الأصول " .

توجد منه نسخة خطية فى مكتبة برلين تحت رقم ٦١٥ . (٣)

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤٠٨ : ١٠

(٢) البلاغة القرآنية ص ٥٠ — ريح الأبرار ١ : ٢٤

(٣) وفيات الأعيان ١٦٨ : ٥

رؤس المسائل :

وسماه ابن خلكان ، وابن العماد (رسالة في الفقه) .

له مخطوطة في مكتبة جستر بيتي برقم ٣٦٠٠ + (١١)

مختصر الموافقة بين أهل البيت والضحية :

وكتاب الموافقة هذا تأليف أبي سعيد الرازي . توجد ضمن هذا

المختصر مخطوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية . (٢)

الكشف في القراءات العشر :

ذكر في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثامن ص ٧٥٨ ، وهو

مخطوط بالمدينة المنورة . (٣)

قصيدة في مسألة الغزالي ، كيف يجلس الله — عز وجل — على العرش :

لها نسخة خطية ، في مكتبة برلين رقم ٦٨٨ ط . (٤)

رسالة في قوله تعالى : " ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأته " :

منها مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم عام ٨٥٦٢ . (٥)

شرح شواهد كتاب سيبويه :

يوجد منه نسخة خطية في مكتبة أحمد الثالث في استانبول . (٦)

شرح المفصل :

وسماه السيوطي (شرح بعض مشكلات المفصل) وذكره ياقوت باسم

(١) الشذرات ١١٨ : ٤ — الوفيات ١٦٨ : ٥

(٢) ربيع الأبرار ٢٤ : ١

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤٠٧ : ١٠

(٤) البلاغة القرآنية ٥٦٦ — ربيع الأبرار المحقق ٢٤ : ١

(٥) الأحاجي النحوية ١ للمحقق ٦٠

(٦) المفرد والمؤلف المحقق ٨

(حاشية على المفصل) وذكره طائفة كبرى زادة باسم (شرح بعض مشكلات المفصل
 للكتاب مخطوطة في مكتبة ليدن برقم ١٦٤ وأخرى بفينا تحت رقم ١٤٥ ،
 وثالثة في مكتبة جستر بيتي برقم ٢٦٥٥ تاريخ نسخها سنة ٧٩٤هـ (١)

نكت الاعراب في قريب الاعراب :

ذكره ياقوت والزركلى . توجد له مخطوطة في دار الكتب المصرية ،

تألف من خمس وستين ورقة تحت رقم ٢٥١٠٢ ب . (٢)

تعليم المبتدى وارشاد المتقدم :

توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل برقم

٤٢٥٤ س . (٣)

نزهة المومنين ونهضة المقتبس :

ذكرته دائرة المعارف الاسلامية وتذكر أنه يدخل في باب الادب ،

ويمكن أن نعبه ضربا من أدب فقهاء اللغة ، وذكره ياقوت باسم "نزهة

المستأنس" وهو مخطوط في أياصوفيا برقم ٤٣٣١ . (٤)

ولكننى وجدت هذا الاسم في مقدمة كتاب ربيع الابرار ويعنى به الزمخشري

كتاب ربيع الابرار نفسه ، فلا أظن أن هناك كتابا مستقلا بهذا الاسم ،

كما أظن أن اختيار هذا العنوان هو فعل النساخ يحذر ضياع العنوان

الحقيقى لربيع الأبرار من بعض المخطوطات ولعل النسخة المخطوطة في

أيا صوفيا لو حققت لانجلى الحقيقة .

(١) معجم الادباء ١٦ : ١٣٣ - ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٢) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - الزركلى الأعلام ٨ : ٥٥

(٣) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

المنتقى :

وهو كتاب انتقاه من شرح شعر المتنبي للواحدى .
يوجد منه نسخة خطية فى مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة رقم ١٩٥ . كتبت
سنة ٦٢٢ هـ . فى ١٣٦ ورقة تحدث عنه الزركلى فى المستدرک . (١)

ديوان شعر :

مبوب على نظام حروف الهجاء المقوافى والواضحة أن الذى دفع الزمخشري
لجمع نتائج قريحته ، هو ابن وهاس . اد . طلب منه ذلك (٢) ورجع الدكتور الحوفى
فى كتابه (الزمخشري) إلى نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية كما رجح الجوينى
فى كتابه (منهج الزمخشري فى تفسير القرآن) إلى نسخة أخرى بمكتبة
الاسكندرية وذكرت الدكتورة بهيجة الحسنى أنها عثرت على نسختين لديوانه
من عائلتين مختلفتين . (٣)

ديوان المنظوم :

وهو غير ديوان شعره فديوان المنظوم مجموعة مختارة من شعر العرب
ضمن الكثير منه كتابه (ربيع الابرار) .
وقد أُلِّق على بعض نسخه سم (ديوان الادب) وأُلِّق على نسخة
منه ذكرت فى فهرس مخطوطات مكتبة آل حميد الدين بصنعاء اسم (بستان
العقلاء وديوان الأدباء) نسخت فى سنة ١١٧٥ هـ . (٤)

(١) الاعلام ٧ : ١٧٨ ط ٤ ١٩٧٩ م

(٢) الزمخشري شاعرنا ص ١

(٣) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٨

(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٨

أما الكتب المفقودة من كتب الزمخشري ، أو مجهولة المكان فأهمها ما يلي :

الرائض في علم الفرائض ، شقائق النعمان في حقائق النعمان ،

شافى الحى في كلام الشافعى ، متشابه أسامى الرواة . (١)

الأمالى في النحو ، المفرد والمركب في اللغة . (٢)

صميم العربية ، جواهر اللغة ، الاسماء في اللغة ، شرح المقصورة

الدريدية ، مقدمة الادب في اللغة . (٣)

ديوان التمثيل ، ديوان خطب ، ديوان رسائل ، ديوان المنثور . (٤)

رسالة الاسرار ، رسالة المسامة ، الرسالة الناصحة ، تسليية الضمير ، سوائر

الامثال فضالة الناشد . (٥)

المختلف والمؤلف روح المسائل ، البدور السافرة في الأمثال السافرة ،

معجم الحدود كتاب الأجناس كتاب عقل الكل ، ثلاث مجاميع من الحكم . (٦)

(١) معجم الادباء ١٣٤٤ : ١٠١ - الوقفيات ١٦٨ : ٥ - الكشف ٣٠٧ : ٤

(٢) معجم الادباء ١٣٣ : ٥ - الوقفيات ١٦٨ : ٥ - الكشف ٣٠٧ : ٤

(٣) معجم الادباء ١٣٤ : ٩ - الشذرات ١١٨ : ٤ - بوكلمن ١٧٩ : ٢

(٤) معجم الادباء ١٣٤ : ١٩ - الوقفيات ١٦٨ : ٥ - ربيع الابرار المحقق ٢٦ : ١

(٥) المراجع السابقة

(٦) معجم الادباء ١٣٤ : ١٩ - دائرة المعارف ٣٠٨ : ١٠ - ربيع الابرار ٦ : ١

الفصل الرابع

الزمخشري و النحوي

الزمخشري والنحو

مذهبه النحوى :

يحتسب الزمخشري من النحويين المتأخرين ، وقد درس النحو على فحول

العلماء فى عصره ، حتى تفوق على معاصريه منهم .

وقد أدت به دراسة النحو ونعمقه فيه أنه كان يرى أن عامة العلوم

الإسلامية من تفسير ، وفقه وغيرها تحتاج فى تفهمها إلى النحو ، وهو يلزم

أن معظم أبواب أصول الفقه ومبادئه مبنية على علم الأعراب ، وأن التفاسير

مشدونة بالروايات عن سيويه ، والأخفش ، والكسائى والفراء وغيرهم من الكوفيين (١)

ويتمثل ذلك فى الكتب السابقة عليه مثل : (معانى القرآن) للفراء

(٢٠٧هـ) و (معانى القرآن وأعرابه) للزجاج (٣١١هـ) و (تفسير القرآن)

للطبرى (٣١٠هـ) . . . وغيرها .

فلعل الدافع الإسلامى ، والروح الدينى ، جعلاه يتعمق فى مسائل

النحو ودقائقها ، حتى أصبح صاحب منهج فى النحو له اجتهاده ومذهبه ،

حتى أنه ليعتبر بعض النحاة كتابه (المفصل) هو القاعدة الثانية بعد كتاب

سيويه . (٢) لمن جاء بعده من الدارسين ، ويحتسب الزمخشري نفسه من

كبار النحاة وأئمتهم . هذا بجانب كونه مبرزاً فى الدراسات الباقية واللغوية

والتفسير .

لهذا ينبغي أن نعرف مذهب النحوى ، حتى نرى موقفه بالنسبة لمن

سبقه من هؤلاء الأئمة من تأييد ومخالفة ، وبذلك نستطيع أن نتخذ موقفاً نحكم

(١) المفصل من ابن يعقوب ٨ : ١

(٢) تطور الدرس النحوى ص ٩٩

من خلاله على شخصيته العلمية بحامة ، ومنهج النحوى بخاصة .

ولنتعرف على مذهبه يهتد لنا التعرف على الأسس التى اعتمدها فى

بحثه ، والمصطلحات التى استعملها ، والتى يمكن من خلالها أن نعرف اتجاهه ومذهبه .

فلو تتبعنا مصطلحاته التى يستعملها نجد ما بصرية كما نراه يعد نفسه بصريا ويعبر عن البصريين باسم أصحابنا كما فعل أبو على الفارسى وابن جنى قبله . وهذه بعض الأمثلة التى تثبت انتماءه للمدرسة البصرية ، وأنه اختار هذا الانتماء :

جاء فى الفائق : إن التبشير بالإنسان المسرورة به ، والاقبال عليه وهو

من معنى البشاشة لامن لفظه عند أصحابنا البصريين . (١)

وجاء فى المفصل : أن خبر إن ارتفاعه عند أصحابنا بالحرف ، وعند الكوفيين هو مرتفع بما كان مرتفعا به . (٢) وكرر كلمة أصحابنا فى أكثر من موضع فى المفصل . (٣) كما كرره فى غيره من كتبه الأخرى .

بهذا يتبين مدى تقديره للبصريين ، وللمذهب البصرى الذى نستطيع

القول بانتمائه إليه باقتناع .

ومع هذا نجد للزمخشري اجتهاده الحامى فهو لا يعترف بالتقليد حتى لمذهبه الذى انتمى إليه راضيا .

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ : ١١٠

(٢) المفصل مع شرح ابن يعيش ١ : ١٠١

(٣) انظر المفصل مع ابن يعيش ١ : ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٢ : ٤٥ ، ١٠٠ ،

يقول في مقامة النحو : " ولا تكن في الترجيح بين مذهبين

كالهزة الواقعة بين بين " . (١)

فقد يؤيده اجتهاده إلى موافقة البصريين أو الكوفيين ، أو غيرهما من
العلماء النحويين ، وقد يخالف الجميع لرأى رآه صوابا ، واجتزأ بعض الأمثلة
من الكثرة الكثيرة التي وافق فيها البصريين :
مما وافق فيه بين البصريين :

— يرى الكوفيون أن تأكيد النكرة بغير لفظها جائز إذا كانت مؤقتة ،

نحو قولك : قعدت يوما كله .

وقال البصريون : إن تأكيدها بغير لفظها غير جائز إطلاقا ، وأجمعوا

على جواز تأكيدها بلفظها نحو جائني رجل رجل . ووافق الزمخشري البصريين

على أن تأكيد النكرة بغير لفظها غير جائز . (٢)

— ويرى الزمخشري رأى البصريين في الاسم الواقع بعد لولا على أنه مرتفع

بلا ابتداء . فهي داخلة على اسم مبتدأ كقولك : لولا على لهلك عمر . (٣)

ويرى الكوفيون أن المرفوع بعد لولا ، بها نفسها ، لنيابتها عن

الفعل في مثل قولك : لولا زيد لأكرمتك معناه لولا منع زيد . (٤)

— ويذهب كاصحابه من البصريين أن (هلم) مركبة من حرف التنبيه مع

لم محذوفة من هاء ألفها ، وعند الكوفيين من هل مح أم محذوفة

(١) مقامات الزمخشري ص ١٩٨

(٢) المفصل مع ابن يعيش ٤٤ : ٣ — الانصاف ٢ : ٦٥

(٣) المفصل ٨ : ١٤٥

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ١٤٦ : ٨

— ويذهب مذهب البصريين في نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد خمسة أحرف هي : حتى واللام، أو بمعنى إلى ، وأو والجمع ، والفاء في جواب الأشياء الستة : الأمر ، والنهي ، والنفي ، والاستفهام ، والتمني ، والعرش .
ويذهب الكوفيون إلى أن النصب بالحرف ففي قولك جئت لأكرمك فالنصب يكون باللام . (٤)

— ويوافق البصريين في اسم لا النافية للجنس المفرد على أنه مبنى وليس معربا ، يقول : " فإذا ^{كان} مفردا فهو مفتوح ، وخبره مرفوع ، كقولك لا رجل أفضل منك ، ولا أحد خير منك ، ويقول المستفتح ولا اله غيرك " (٣) وعلى خلاف هذا الكوفيون .

— ويوافق الزمخشري البصريين على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف . يقول في المفصل : " ويجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الشعر " . (٤) ويجيز الكوفيون ذلك بخير الظرف .

— ويرى رأى البصريين في أ " كل " و " أجمعون " لا تقع تأكيدا للتركات ، خلافا للكوفيين ، يقول في المفصل : " ولا يقع كل وأجمعون تأكيدا للتركات ، لا تقول : رأيت قوما كلهم ولا أجمعين ، وقد أجاز ذلك الكوفيون فيما كان محدودا كقوله :

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤ : ٤١

(٢) شرح المفصل ٧ : ١٩

(٣) المفصل ٢ : ١٠١ — الانصاف مسألة ٩

(٤) المفصل ٣ : ١٩ — الانصاف مسألة ٦٠

قد صرّت البكرة يوما أجمعا . (١)

— ويذهب مذهب البصريين كذلك في أن (رب) حرف جر ، وليست

اسما كما ذهب اليه الكوفيون . (٢)

يقول في المفصل : " ورب للتقليل ، ومن خصائصها أن لا تدخل إلا

على نكرة ظاهرة أو مضمرة ، فالظاهرة يلزمها أن تكون موصوفة بمفرد أو جملة كقولك : رب رجل جواد ، ورب رجل جاءنى ، ورب رجل أبوه قائم " (٣)

— ويذهب مذهب البصريين في صوغ اسم التفضيل على شروطهم وهى :

أن يصاغ من الثلاثى غير المزيد ، ومما ليس بليون ولا غيب ، فلا تقول فى أجاب هو أجوب ، ولا فى انطلق هو أطلق . ولا فى سمر هو أسمر منه . اللون — ولا فى عور هو أعور . ولكن يتوصل إلى التفضيل فى نحو هذه

الأفعال بصياغة إفعال من فعل مستوف للشروط السابقة ثم يميز بمصادر الأفعال المنوعة مثل : هو أجود منه جوابا ، وأسرع انطلاقا ، وأشد سمره وأقبح عورا . (٤)

ويجيز الكوفيون التعجب من السواد والبياض ، لأشهما أصلا للألوان

واستشهدوا بقوله :

إذا الرجال شتوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سريال طباخ

(١) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٤٤ — الانصاف م ٦٣

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ٢٧ — الانصاف م ١٢١

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٨ : ٢٦ — الانصاف م ١٢١

(٤) المفصل ٦ : ٩١

وقول الآخر :

(١) ياليتنى مثلك فى البيان . أبيت من أخت بنى إبانر .

— ويرى ما يراه البصريون من ارتفاع الفعل المضارع لوقوعه موقع الاسم وارتفاعه بحامل معنوى نظير المبتدأ وخبره كقولك زيد يضرب ، فارتفاعه بعد المبتدأ لأن ما بعد المبتدأ من مضان صحة وقوع الاسماء . (٢) وعند الكوفيين أن ارتفاعه لتجرده من العوامل النامية أو الجازمة .

— ويذكر أن أقعل التعجب فى (ما أقطه) فعل وهذا رأى بصري يقول : " ومعنى ما أكرم زيدا ، شئ جعله كريما كقولك أمر أقعده عن الخروج ، ومهم أشخصه عن مكانه ، تريد أن تعود وشخصه لم يكونا إلا لأمر ويذهب الكوفيون إلى أنه اسم .

— ويرى الزمخشري رأى البصريين فى أن تون التوكيد الخفيفة تؤكد جميع ما تؤكد النون الثقيلة إلا فعل الاثنين وفعل جماعة الاناث . (٤) ويرى الكوفيون أن النون المخفيفة تؤكدهما ، لأن النون الخفيفة أصلها الشديدة فخفت كما خفت أن ولكن . (٥)

— ويذهب مذهب أصحابه البصريين فى أن خبر إن واخواتها مرفوع بالحرف لأنه أشبه الفعل فى لزوم الاسماء . (٦)

(١) شرح المفصل السهامى ٦ : ٩٣

(٢) المفصل ٧ : ١٢ — الانصاف ٧٤

(٣) المفصل ٧ : ١٤٦ — الانصاف م ١٥

(٤) المفصل ٩ : ٣٧

(٥) ابن يحيى ٩ : ٣٨

(٦) المفصل ١ : ١٠١

ويرى الكوفيون أنه يرتفع بما كان مرتفعاً به ولا عمل للحرف فيه .

— ويذكر ما يراه البصريون في أن الميم في (اللهم) وقعت خلفاً من ياء النداء . (١) وعند الكوفيين يجتمع الميم مع ياء النداء في الشعر واستدلوا بقوله : (٢)

إني إذا ما حدث أَلما دعوت يا لله يا لله

— ويرى رأي البصريين في أن السبب الواحد لا يمنع من الصرف ، ويرى الكوفيون إجازة منعه في الشعر . (٣)

مما وافق فيه الكوفيون :

— وافق الكوفيون في أن تكون جملة البسمة متعلقة بفعل محذوف تقديره اقرأ ، لا باسم كما ذهب إليه البصريون ، إلا أنه يقدر الفعل مؤخرًا ومناسبا لما جعلت البسمة مبتدأ له فيقدر باسم الله آكل بسم الله أرتحل ، ويزيده الحديث باسمك ربى وضعت جنبى . (٤)

— جاء في المفصل أن (ما) في كيمه اختلف في إعرابها فهي عند البصريين مجرورة ، وعند الكوفيين منصوبة بفعل مضمرة . كأنك قلت : كي تفعل ماذا ؟ وما أرى هذا القول بعيداً عن الصواب . (٥)

— وقال في الفائق : وما أدري من تكسر التقاء مضاعف الثلاثي والرباعي

(١) المفصل ٢ : ٦٦

(٢) ابن يعيش ٢ : ١٦

(٣) المفصل ١ : ٦٨

(٤) الكشاف ط الخليلي ١ : ٢٢ = مفتي اللبيب على الأمير ٢ : ٤٤

(٥) المفصل ٩ : ١٤

(١) يكاد يشبهونى إلى الإيمان بمذهب الكوفيين ، لولا ثمر أصحابنا وتشددهم .
 وذهب إلى أن (ال) فى قوله تعالى " تجرى من تحتها الأنهار " أن
 المراد أنهارها فعوض التحريف باللام من تحريف الانفاة ، كقوله تعالى "
 واشتعل الرأس شيبا "

قال أبو حيان : وهذا الذى ذكره الزمخشري وهو أن الألف واللام
 تكون عوضا عن الاضافة ، ليس مذهب البصريين بل شئ ذهب إليه الكوفيون
 (٢) — وجاء فى الكشف فى قوله تعالى : " قل لهم فى انفسهم قولا بليغا "
 فان قلت : بم تعلق قوله فى أنفسهم ؟ قلت : بقوله تعالى بليغا ، أى
 قل لهم قولا بليغا فى انفسهم . (٣)

وقال ابو حيان : وتعليقه فى أنفسهم بقوله بليغا لا يجوز على مذهب
 البصريين لأن مفعول الصفة لا يتقدم عندهم على الموصوف ، وأجاز ذلك
 الكوفيون . (٤)

— وجاء فى الكشف فى قوله تعالى : " فتقعد مذموما مخذولا " (٥)
 أن فتقعد بمعنى فتصير فيكون اسمها ضمير مخاطب ، وخبرها مذموما .
 وهذا أرغشيوخ الكوفيين كالفرأ والكسائى . أما البصريون فلا يثبتون (قعد)
 بمعنى ضار إلا فى المثل " شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حربة " (٦)

(١) الفائق ٣ : ١٩٦

(٢) ابو حيان : البحر المحيط ١ : ١١٣ — البقرة آية ٢٥ — مريم آية ٤

(٣) الكشف ١ : ٤٠٤

(٤) البحر المحيط ٣ : ٨١

(٥) الكشف ٣ : ٢٨٨ — الاسراء آية ٢٢

(٦) الاشمونى . وحاشية الصباك ١ : ٢٩٩

وفي الكشف أيضا في قوله تعالى : " وما تلك بيمينك يا موسى " (١)

قال : ويجوز أن تكون (تلك) اسما موصولا ، صلته بيمينك وهذا

مذهب الكوثيين . وليس ذلك في مذهب البصريين إلا في (ذا) وحد . إذا

سبقت بما أو من الاستفهاميتين . (٢)

موافقته لبعض النحاة :

إذا كان فيها سبق من موقفه من المدرستين النحويتين فإن له مواقف

خاصة مع بعض النحاة ولا سيما بعض البارزين من أئمتهم ، والخص ذلك

فيها يلي :

الزمخشري والخليل بن أحمد :

— وافق الزمخشري الخليل على إضمار فعل في قول الشاعر :

• ألا رجلا جزاه الله خيرا •

قال : على إضمار فعل ، كأنه قال : ولا أرى خلّة • (٣)

— ووافقه على حذف العائد من جملة الضمة ، وقد سماه الراجح — قال :

"وقد يحذف الراجح كما ذكرنا ، وسع الخليل عربيا يقول : ما أنا بالذي قائل

لك شيئا ، وقرئ (تماما على الذي أحسن) • بحذف صدر الجملة • (٤)

— ووافق الزمخشري الخليل على تصغير (فعل التعجب) على غير قياس • (٥)

(١) الكشف ٢ : ٢٩٨ — طه ١٧ الانصاف ٢ : ٤٢٥

(٢) الانصاف ٢ : ٤٢٥

(٣) المفصل ٢ : ١٠١ — مغنى السلبب تحقيق المبارك من ٦٦٥

(٤) المفصل على ابن يعيتز، ٣ : ١٥٢

(٥) المفصل ٥ : ١٣٤

(١) فالقياس يأبى تمخير الفصل ، لأن الغرض من التصغير وصف الاسم بالصغر .
وأما قولهم ما أميلحه ، فينقل رأى الخليل قائلا : وإنما يعنون الذى تصفه
بالملاحه كأنك قلت زيد مليح . (٢)

— وأخذ برأى الخليل فى حروف العطف (الواو ، والفاء ، وشم) : (٣)
بين أن تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه وتشركه فى معناه ، أو أن
تقطعه وتستأنف ، واستشهد بقول الخليل فى بيت عزوة العذرى :
وما هو إلا أن أراها فجأة فابيهت حتى ما أكاد أجيب

اذ خيّر الخليل بين النصب والرفع فى فابيهت .
ومما جاء منقطعا قول أبى اللجاء التغلبى :
على الحكم المائى يوما اذا قضى قضيته أن لا يجور ويقصد
أى عليه غير الجور ، وهو يقصد . (٤)

نما وافق عليه سيبويه :

— ذهب الزمخشري مذهب سيبويه فى أن الفاعل قد يجىء ورافعه
مضمرة ، كما فى قوله تعالى : " يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال " فيمن
قرأها مفتوحة الباء أى يسبح له رجال ، واستدل ببيت الكتاب : (٥)
ليلىك يزيد ضارع لخصومه ومختبط فيما تطيح الطوائح

(١) ابن يعيش ٥ : ١٣٥

(٢) المفصل ٥ : ١٣٤

(٣) المفصل عن ابن يعيش ٧ : ٣٨

(٤) ابن يعيش ٧ : ٣٩

(٥) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٠

- ورأى رأييه في أن المبتدأ إذا تضمن معنى الشرط ودخلت عليه
 أن يجوز دخول الفا على خبرها ، كما في قوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ
 قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" وقوله تعالى :
 "قَالَ إِنَّمَا الْمَوْتَ الدَّمُ تَفَرُّهُ مِنْهُ فَأَنَّهُ ضَالِّكُمْ" وقوله تعالى : "إِنَّ
 الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ ... فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (١) .
- ورأى رأييه في أن اسم الإشارة لا يوصف إلا بما فيه الألف واللام ،
 مثل : يا هذا الرجل ، ويا هؤلاء الرجال ، واستشهد ببيت الكتاب : (٢)
 يا صاح يا إذا الضامر الحنن .
- وفي الكشف ، في قوله تعالى : صبغة الله ومن أحسن من الله
 صبغة ونحن له عابدون " (٣) .
- قال : "صبغة الله" مصدر مؤكد منتصب على قوله "آمنا بالله"
 كما انتصب (و) بعد الله () ، ونحن له عابدون " عطف على (منا بالله)
 وهذا العطف يرد قول من زعم أن "صبغة الله" بدل من (ملة إبراهيم)
 أو نصب على الإغراء ، بمنحى عليكم صبغة الله ، لما فيها من فك النظم من
 انتظامه واتساقه ، وانتصابها على مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيويه ،
 والقول ما قالت حزام . (٤) .

(١) الفصل ٩٩ — ابن يعيش ١٠١ : ١ — الاحقاف آية ١٣

الجمعة آية ٩ — آل عمران آية ٢١

(٢) الفصل مع ابن يعيش ٧ : ٢

(٣) البقرة آية ١٣٨

(٤) الكشف ١٤٧ : ١ — النحو وكتب التفسير ٧١٥ : ١

مما وافق فيه الفراء :^١

— في قوله تعالى : ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (١)
قال ابن هشام : ومن العجب أن الفراء والزمخشري قدروا العطف
المذكور ولم يقدروا المضاف المحذوف ، ولا يصح العطف إلا به . (٢)

— وفي قولك زيد ضرب في الدار أخوه أن يكون فاعلاً بالظرف لاعتماده
على ذي الحال فهو ضمير زيد المقدر في ضرب وأن يكون نائباً عن فاعل
ضرب على تقديره خالياً من الضمير ، وأن يكون مبتدأ وخبره الظرف والجملة
حال والفراء والزمخشري يريان هذا الوجه شاذاً رديئاً . (٣)

— ووافق الزمخشري الفراء على الجزم في جواب هل ، في قوله تعالى
"يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة .. إلى قوله يغفر لكم ذنوبكم"^(٤)
جعل الفراء (يغفر لكم) مجزوماً في جواب هل أدلكم قال : وقوله
(يغفر لكم) جزم في قرائتنا في هل ، وتأويل هل أدلكم (أمر في المعنى
كقولك الرجل للرجل : ^{للرجل} ~~أجعل أنت ساكت~~ ، معناه اسكت ، (٥))

وقال الزمخشري : " فان قلت : هل لقول الفراء أنه جواب (هل) :
أدلكم (وجه ؟

قلت : وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان

(١) النحل آية ١٦

(٢) معنى اللبيب المبارك ص ٤٤٣

(٣) المرجع السابق ص ٦١٥ ، ٦١٦

(٤) الصف آية ١٠-١٢

(٥) الدكتور رفيدة : النحو وكتب التفسير ١ : ٧٣٢

والجهد ، فكانه قيل : هل تتجربون بالآيمان والجهاد يخفر لكم * (١)

— وأخذ برأى الفراء في أن حرف الصلة (ان) اذا دخل على ما
النافية أكد معنى النفي .

قال : ودخول اب صلياً أكدت معنى النفي * واستشهد بقول (٢)

ما ان رأيت ولا سمعت به كالسيوم هانيء أينق جرب

وذهب الفراء الى أن ما وان جميعا للنفي ، كأنها تزداد (ما) ههنا

على النفي تأكيداً للنفي ، كما تزداد اللام تأكيداً للإيجاب في قولك ان

زيدا لقاتم * (٣)

— قال ابن هشام : وأجاز الفراء والزمخشري أن تقطع (كل) المؤكد بها

من الإضافة لفظاً ، تمسكاً بقراءة بعضهم (انا كلاً فيها) * (٤)

ورد عليهما قائل : والآن جود أن تقدر كلاً بدلاً من اسم ان وانما

جاز ابدال الظاهر من الضمير بدلاً كل ، لأنه مفيد للمحاطة * (٥)

ما وافق فيه الأخفش :

— وافق الزمخشري الأخفش في أن الكاف تأتي كثيراً في النشر مرادفة

للمل ، فتحرب اعرابها ، وتخرج من حرفيتها الى الاسمية ، وذلك أن يحرب

في مثل : زيد تأسد أن تكون الكاف في موضع رفع ، والاسد مخفوضاً بالإضافة

ومثله قوله : (٦)

* يضحكن من كاليرد المنهم *

(١) الكشف ٤ : ٤٢١ — النحو وكش التفسير ١ : ٧٢٢

(٢) المفصل مع ابن يحيى ٨ : ١٦٩

(٣) ابن يحيى ٨ : ١٢٩

(٤) معنى اللبيب مع الأثير = ١٥٦١

(٥) المرجع السابق

(٦) المفصل مع ابن يحيى ٨ : ١٢٢ معنى اللبيب مع الأثير ١ : ١٥٤

— ووافقه على الأفعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل ، وهي منقولة بالهجرة
عن الأفعال المنقولة الى مفعولين ، وهما فعالان : أعلمت ورأيت ، وكان
الأخفش يقيس عليهما سائر أخواتهما * فيجيز أخنوخيزد عمرا أخاك قائما ،
وأرهم بكر محمدا جعفرا مطلقا * (١)

— وأخذ برأيه في ابدال انتاء من واو القسم في تالته خاصة واستشهد
بقول الأخفش (ترب الكعبه) (٢) قائلة تدخل على طريق الاختصاص
بالاسم الذي يكون القسم به أكثر ، وقد يكون فيها معنى التعجب ، في
قوله تعالى : * تالله تفثا تذكر يوسف * على طريق التعجب ، وقال تعالى
* وتالله لأكيدن أمتاكم * (٣)

— وذهب ذهب الأخفش في أن لعل فيها معنى التثني *
قال : وقد لعل فيها معنى التثني من قرأ (فأطلع) بالنصب ...
وقد أجاز لأخفش لعل أن زيدا قائم قائما على لبت * (٤)
ما وافق فيه المبرد :

— وافق المبرد في قوله تعالى : * لا حول ولا قوة الا بالله * على
رفع الأول ، بأن تكون * نافية وما بعدها مبتدأ * وهو المذهب
الضعيف عند سيبويه * (٥)

وأخذ برأيه في وقوع المصدر (حال) في كل ما دل عليه افعل تقول :

(١) الفصل ٦٥ : ٧ — ابن يحيى ٦٦ : ٧

(٢) الفصل ٣٢ : ٨ — ابن يحيى ٢٤ : ٨

(٣) سورة النبأ آية ٤٨

(٤) الفصل ٨٦ : ٨ — مفتي اللبيب ٣٣ : ١

(٥) الفصل ١١٢ : ٢ — ابن يحيى ١١٣ : ٢

فَمَ قَاتِمَا ، وَقَوْلُهُ :

• وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورِ كَلَامٍ •

وَكَذَلِكَ قَتَلْتُهُ عَصْرًا ، وَلَقِيْتُهُ فَجَاءَةً وَعَيَانًا ، وَكَلِمَتُهُ مَشَافِهَةٌ ، وَأَتَيْتُهُ رَكْنًا

وَعَدُوا وَمَشَى • (١)

وَهَذَا عِنْدَ سَيِّوِيَّةٍ لَيْسَ بِقِيَاسٍ ، وَيُرَى ابْنُ يَعِيْشٍ أَنَّ مَذْهَبَ سَيِّوِيَّةٍ هُوَ

الصَّحِيحُ • (٢)

— وَذَهَبَ مَذْهَبُهُ فِي نِسْبَةِ (فَعُولٍ) فَعُولِي ، كَقَوْلِكَ فِي عَدُوٍّ عَدَوِي •

وَفَرَّقَ سَيِّوِيَّةٌ بَيْنَ فَعُولٍ وَقَعُولَةٍ ، فَقَالَ فِي عَدُوٍّ عَدَوِي كَمَا قَالُوا فِي شَنْوَةٍ

شَنْئِي ، وَلَمْ يَفَرِّقِ الْمَبْرَدُ وَقَالَ فِيهِمَا فَعُولِي • (٣)

— وَوَافَقَهُ فِي إِمَالَةِ (عَسَى) قَالَ الْمَبْرَدُ "وَأِمَالَةٌ عَسَى جَيِّدَةٌ" لِأَنَّهَا فَعَلٌ

وَأَلْفَهَا مُنْقَلَبَةٌ عَنْ يَاءٍ لَقَوْلِكَ عَسَيْتَ وَعَسَيْنَا • (٤)

مِمَّا وَافَقَ فِيهِ الزَّجَّاجُ :

— وَافَقَ الزَّمَخْشَرِيُّ الزَّجَّاجَ فِي أَنَّ أَكْرَمَ بَزِيدٍ أَمْرٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ يَرِيدُ

أَنْ يَصِفَ زَيْدًا بِالكَرَمِ ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ الْإِخْتِصَارِ ، وَكَانَ سَيِّوِيَّةٌ يَذْهَبُ

إِلَى أَنَّ الْفِعْلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصِّيْغَةِ مَا نَزَلَ أَخْرَجَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ • وَوَصَفَ •

الزَّمَخْشَرِيُّ هَذَا الرَّأْيَ بِضَرْبٍ مِنَ التَّعَسُّفِ • (٥)

— وَذَهَبَ مَذْهَبُهُ فِي (سَنِينَ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : "ثَلَاثُمِائَةِ سَنِينَ"

(١) الْمُفَصَّلُ ٢ : ٥٩

(٢) ابْنُ يَعِيْشٍ ٢ : ٥٩

(٣) الْمُفَصَّلُ ٥ : ١٤٨

(٤) الْمُفَصَّلُ — وَابْنُ يَعِيْشٍ ٩ : ٦٥ ، ٦٦

(٥) الْمُفَصَّلُ ٧ : ١٤٧ — ابْنُ يَعِيْشٍ ٧ : ١٤٨

أن تنصب على البدل من ثلاثمائة وليس على التمييز ، قال الزجاج ولو انتصب
سنتين على التمييز لموجب أن يكونوا قد لبثوا تسعمائة سنة . (١)

— ووافقه في الحطوف على موضح لكث بالرفع بعد تمام الجملة ، كما جاز ذلك
في (ان) تقول : لكن زيدا قائم وعمرو .

قال في المفصل : ولكن شجاع إن في ذلك دون ساغر أخواتها ، وقد
أجرى الزجاج السفة مجرى المعطوف ومحمل عليه قوله تعالى : " قال إن ربي
يقذف بالحق علام الغيوب " (٢) وإنما يصح الحمل على المحمل بعد مضي
الجملة ، فإن لم تضي لزمك أن تقول إن زيدا وعمرا قائمان بنصب عمرو لا غير
— ووافقه على أن (كلا) حرف ردع وتنبيه .

قال : وقال الزجاج : " كلا ردع وتنبيه ، وذلك قولك : كلا لمن قال لك
شيئا شكره ، قال تعالى بعد قوله : " ربي أمانن كلا " أي ليس الأمر كذلك
لأنه قد يوسع في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار ، وقد يضيق على الأنبياء
والمصالحين للاستصلاح . (٣)

ما وافق فيه أبا علي الفارسي :

— ذكر ابن هشام في تقسيم الجملة أنها : اسمية ، وفعلية ، وظرفية ،
ثم قال : " وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية ، والصواب أنها من قبيل
الفعلية " . (٤)

ويبدو أن هذه القسمة لأبي علي الفارسي ، ووافقه عليها الزمخشري . (٥)

(١) المفصل ٢١ : ٦

(٢) المفصل ٦٧ : ٨ سبأ آية ٤٩

(٣) المفصل ١٦ : ٥

(٤) معنى اللبيب الأمير ٤٣ : ٢

(٥) المفصل ٨٨ : ١ — شرح المفصل ٨٨ : ١

- وليس كما قال ابن هشام قال ابن يعيش في شرح المفصل : وهذه
 قسمة أبي على الفارسي وهي قسمة لفظية ، والشرطية في التحقيق مركبة من
 جملتين فعليتين الشرط فعل وفاعل ، والجزاء فعل وفاعل . (١)
- ووافق الزمخشري أبا علي في قول القائل : " أول قولي إني أحمد الله
 أن الجملة في محل نصب بالقول ، وقدر الخبر .
- ويرى ابن هشام أن الجملة خبر وليس مفعولا . (٢)
- ووافقه علي أن (ما) في ذل نعما محمد ، أنها نكرة تامة منصوبة على
 التمييز . (٣)

الزمخشري وابن جني :

- وافق ابن جني في مجيء " أن ظوفية ، على غرار ما الزمانية ، مثل جئتكَ
 أن تصلي العصر ، أي زمن صلاة العصر وخبرج الزمخشري على ذلك قوله جل
 شأنه : " أن آتاه الله الملك " أي وقت أن آتاه .
- ووافقه في أن الجملة تبدل من المفرد ، كما جاء في قول بعض الشعراء :
 إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان
 فكيف يلتقيان بدل من حاجة كأنه قال : أشكو هاتين الحاجتين
 تعذر التقا ثمما . (٤)

(١) المفصل مع ابن يعيش ٨٨ : ١ — شرح المفصل ٨٨ : ١

(٢) مخني اللبيب الأمير ٦٤ : ٢

(٣) همع الهوامع ٨٢ : ١ — البقرة آية ٢٥٨

(٤) المرجع السابق

مما وافق فيه أبو حيان الزمخشري

— يثنى أبو حيان على الزمخشري ويقدمه على ابن عطية في تفسيره
فهو يقول عند قوله تعالى : " هذا رحمة من ربى " (١)

يقول في المشار اليه : " أما الزمخشري ، فقال إنه إشارة إلى السد
أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده ، وهو يلتقى مع ابن عطية
غير أن الزمخشري ، كان أبرع من ابن عطية ، حيث سدد الإشارة إلى
السد نفسه ، وهو مذكور بلفظه في الآية الكريمة .

أما ابن عطية فيقول : إنه يعود على الروم ، أى روم السد المذكور .
ففى رأى الزمخشري ذكر بلفظه ، بخلاف الروم ، فإنه ذكر بالمعنى .
لما بين السد والروم من التلازم " (٢)

— انتصر أبو حيان للزمخشري من ابن مالك فى (حتى) .
يقول الزمخشري : يلزم أن يكون مجرورها خاصا بذى أجزاء ، وهو
أن يكون آخر جزء أو ملاق آخر جزء .
فمثال كونه آخر جزء : أكلت السمكة حتى رأسها ، ومثال كونه ملاق
آخر جزء سرت النهار حتى الليل ، ولو قلت : أكلت السمكة حتى نصفها أو
ثلثها لم يجز .

وقال ابن مالك : هذا لا يلزم ، واستدل بقول الشاعر :
عينت ليلة فما زلت حتى نصفها راجيا فعدت يومئذ

(١) الكهف آية ٩٨

(٢) البحر المحيط ٦ : ١٦٥

قال أبو حيان : ولا حجة في هذا البيت لأنه لم يتقدم (حتى) ما يكون ما بعدها جزء منه ، ولا ملاقيا لآخر جزء منه ، فلو سرح في الجملة ، يذكر الليلة ، فقال : فما زلت راجيا وصلها تلك الليلة حتى نصفها ، كان حجة . (١)

— في قوله تعالى : " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " (٢)

قال أبو حيان : إعراب سيويه أن خبر الزانية محذوف تقديره فيما يتلى عليك ، الزانية والزاني ، أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني .
أما جملة فاجلدوا ، فأعرابها أنها مستأنفة ، ولا يضح أن تكون خيرا .
ويرد أبو حيان : فانظر إليه رحمه الله كيف تتحكم فيه الصنعة فيرفق الإعراب الذي يسائر الفطرة ، كما يسائر اللغة العربية ، فهاذا عليه لو أجاز هذا الإعراب كما أجاز الزمخشري . (٣)

والإعراب الذي أجاز الزمخشري ، هو أن تعرب الزانية مبتدأ وخبره جملة (فاجلدوا) وهذا قال به بعض العلماء الأجلاء من المدرستين . (٤)

— في قوله تعالى : " وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين " (٥)

يقول أبو حيان عن قول ابن مالك : وهذا الذي أنكره الزمخشري من

(١) الجنى الدانى ٢٤٢ — الضغنى مع الأمير ١ : ١١١

(٢) النورآية ٢

(٣) البحر المحيط ٤٢٦ : ٦

(٤) المرجع السابق ٤٢٧ : ٦

(٥) الأعراف آية ١٣٢

من أن مهما لا تأتى ظرف زمان ، وقد ذهب إليه ابن مالك فى التسهيل وغيره من تصانيفه إلا أنه لم يقصر مدلولها على أنها ظرف زمان بل قال :
قد ترد ما ومهما ظرفي زمان ، وقال فى أرجوزته الطويلة المسماة
بالشافية الكافية :

وقد أتت مهما ومما ظرفين فى شواهد من يعتضد بها كفى
وقال فى شرح هذا البيت جميع النحويين يجعلون "ما" مثل مهما فى
لزوم التجرد عن الظرف مع أن استعمالهما ظرفين ثابت فى استعمال ...
الفصحاء من العرب وأنشد أبياتا عن العرب . زعم فيها أن (ما) و(مهما)
ظرفا زمان .

ثم قال : وكفانا الرد عليه فيها ابنه الشيخ بدرالدين محمد .
أما رأى الامام الزمخشري الذى أيده الشيخ "أبو حيان" ، فقد ورد فى
الكشاف : وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى
علم العربية ، ويضعها فى غير موضعها . (١) . ويحسب مهما بمعنى (متى
ما) ، ويقول : مهما جئتنى أعطيتك ، وهذا من وضعه وليس من كلام
واضع العربية فى شئ ، ثم يذهب فيفسر "مهما تأتينا به من آية" بمعنى
الوقت فيلحد فى آيات الله ، وهو لا يشعر .

هذه بعض الآراء التى وافق فيها أبو حيان الزمخشري ، وهى قليلة
بالقياس إلى ما خالفه فيها ، فهذه المخالفات مستفيضة وأسوق بعضها وهى
قسمان : الأول فى القراءات ، والثانى فى المسائل النحوية .

مما خالفه فيه من القراءات :

- (١) - فى قوله تعالى : " فقاتلوا أئمة إنهم لا أيمانَ لهم لعلهم ينتهون " بقلب الهمزة الثانية من (أئمة) ياء .
- قال الزمخشري : وأما التصريح بالياء على بقراءة ، ولا يجوز أن تكون ، ومن صرح بها فهو لحن محرف .
- وقال أبو حيان : وقرأ الحرميان (٢) وأبو عمرو بن العلاء ، بإبدال الهمزة الثانية ياء .
- ثم يقول محرضا بالزمخشري : وذلك دأبه فى تلحين المقرئين ، وكيف يكون ذلك لحنًا ، وقد قرأ به رأس البصريين النحاة ، أبو عمرو بن العلاء ، وقارى مكة ابن كثير . (٣)
- وفى قوله تعالى : " سوا عليهم أأ نذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون " (٤)

القراءة بتحقيق الهمزة الأولى ، وتسهيل الثانية ، فى قوله تعالى لم ي (أأنذرتهم) وقد أنكر هذه القراءة الزمخشري ، وقال : إن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب لوجهين :

الأول : الخمج بين ساكنين على غير حده .

الثانى : إن طريقة تخفيف الهمزة المتحركة ، المفتوح ما قبلها هو

(١) التوبة آية ١٢

(٢) هما : نافع وابن كثير - النحو وكتب التفسير ١٢٨٦

(٣) البحر المحيط ٥ : ١٥

(٤) البقرة آية ٦

بالتسهيل تبين بين ، لا بالقلب ألفا ، لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة
وقال أبو حيان : في دفاعه عن تسهيل الهمزة : وأهل الحجاز ،

لا يرون الجمع بينهما طلبا للتخفيف ، فقرأ الحرميان وأبو عمرو ، وهشام ،
بتحقيق الألف وتسهيل الثانية ، إلا أن أبا عمرو وقالون وإسماعيل بن
جعفر عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفا ، وابن كثير لا يدخل .

وروى تخفيفا عن هشام ، وإدخال ألف بينهما ، وهي قراءة ابن عباس
وابن أبي اسحاق وروى غير عن ورش كابن كثير وقالون وإبدال الهمزة
الثانية الفاء فيلتقى ساكنان على غير حد هما عند البصريين .

وقد قال أبو حيان ، وما قال الزمخشري هو مذنب البصريين خلافا
للكوفيين ، وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب ، ولكن عادة
هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ، ونقله القرآن . (١)

— وفي قوله تعالى : " فيخفر لمن يشاء " ، ويعذب من يشاء " (٢) .

بادغام الراء في اللام .

يقول الزمخشري : ومدغم الراء في اللام لاجن ، مخطيء خطأ فاحشا
ورأوه عن أبي عمرو مخطيء مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس .
بالحرية مما يؤذن بجهل عظيم ، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط
الرواة ، والسبب في قلة الضبط قلة ضبط الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا
أهل النحو . (٣)

(١) البحر المحيط ٤٧: ٦

(٢) البقرة آية ٢٨٤

(٣) الكشف ٣٣٠: ١

ويرد أبو حيان على هذا بقوله : وذلك على عادته في الطعن على
 القراء * وأما ما ذكره أن مدغم الراء في اللام لاحق مخطئ خطأ فاحشا
 ... إلى آخره ، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون *
 ثم يقول من قبيل التنديد : عقد هذا الرجل - يعني الزمخشري -
 بابا قال فيه : " هذا باب يذكر فيه ما أدغمت القراء ما ذكر أنه لا يجوز
 ادغامه " .

وهذا لا ينبغي فان لساننا الحرب ليس محصورا فيما نقله البصريون
 فقط والقراء لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه ، وقد اتفق على نقل
 ادغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب
 الحضرمي * وكبراء أهل الكوفة الرؤاسي والفرأ ، وأجازوه ورووه عن الحرب
 فوجب قبوله والرجوع فيه إلى علمهم ونقلهم ، إذ من علم حجة على من لم يعلم *
 ثم يدافع عن راوى هذه القراءة فيقول : وأما ما رواه الزمخشري أن
 راوى ذلك عن أبي عمرو مخطئ مرتين ، فقد تبين أن ذلك صواب وقد روى
 ذلك عنه الرواة ومنهم : أبو محمد اليزيدي وهو امام في القراءات امام في
 النحوا وامام في اللغات * (١)

- وفي قوله تعالى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم
 شركاؤهم " (٢)

يقول الزمخشري : وقرئ (زين) على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم
 ونصب قتل أولادهم ، وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل

(١) البحر المحيط ١ : ٢٦١ ، ٢٦٢

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٧

ورفع (شركاءهم) باضماء فعل دل عليه زين ، كأنه قيل (زين لهم قتل

أولادهم) من زينه ؟ فقيل : زينه لهم شركاءهم .

وأما قراءة ابن عامر " قتل أولادهم شركائهم " برفع القتل ، ونصب

الأولاد ، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بخير

الظرف ، فشىء لو كان في مكان الضرورة وهو الشجر لكان سمجا مردودا

كما سمع ورد :

• زج القلوص أبي مزادة •

فكيف به في الكلام المنشور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه

وجزالته ؟ • (١)

فيرد عليه أبو حيان في قوله : هي مسألة مختلف في جوازها ، فجمهور

البصريين يمنعونها متقدموهم وتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة

الشعر ، وبعض النحويين أجازوها وهو الصحيح ، لوجودها في هذه القراءة

المثناة المنسوبة إلى العربي المحضر ابن عامر ، الآخذ بالقرآن الكريم عن

عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب ، ولوجودها أيضا في

لسان العرب في عدة أبيات . . .

ويقول : ولا التفات إلى قول ابن عطية : وهذه قراءة ضعيفة في استعمال

العرب ، ولا التفات إلى قول الزمخشري ؟ : أن الفصل بينهما يعني بين

المضاف والمضاف إليه فشىء لو كان في مكان الضرورة ، وهو الشجر لكان سمجا

مردودا فكيف به في الكلام المعجز لحسن نظمه وجزالته •

وهنا يحجه أبو حيان كعادته نقده اللادج لجار الله ، ويدافع عن ابن
 قامر فيقول : " وأعجب لحجوى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح
 معنى قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت *
 وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخبرتهم هذه الأمة
 لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتقد المسلمون على نقلهم لضبطهم
 ومعرفتهم وديانتهم * (١)

بعد هذه الرحلة السريعة حول القراءات وموقف هذين الامامين منها
 أمود لأدج يحضر الشاذج النحوية التى اختلف فيها الامام أبو حيان مع
 جار الله الزمخشرى *

مما خالف فيه أبو حيان فيه الزمخشرى فى المسائل النحوية :

— قد : قال الزمخشرى انها حرف تقريب ، وهو يقرب الطامى من الحال
 اذا قلت قد فعل ، ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة ، ولا يد فيه من معنى
 التوقع * (٢)

وقال أبو حيان : والذى تلقناه من أفواه الشيوخ بالأندلس أنها حرف
 تحقيق ، اذا دخلت على الطامى ، وحرف توقع اذا دخلت على المستقبل .
 — الفاء : فى قوله تعالى : * أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم
 قوما مسرفين * (٤)

(١) — البحر المحيط ٤ : ٢٢٩ — ٢٣٠

(٢) الفصل مع ابن يعقوب ٨ : ١٤٧

(٣) الجنى الدانى ص ٢٥٥

(٤) سورة الزخرف آية ٥

قال الزمخشري : الفاء للمطف على محذوف تقديره : أنهم لم يهلكوا فنضرب
عنكم الذكر ؟ انكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب ،
فرأنا عربياً لتعقلوه وتعملوا بموجبه .

ويرد أبو حيان ، قائلاً : إن المذهب الصحيح قول سيبويه والنحويين إن
الفاء والواو منوى بهما التقديم لمطف ما بعدهما على ما قبلهما ، وإن الهمزة
تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ، ولا خلاف بين الهمزة والحرف . (١)
ويعلق في البحر المحيط بقوله : " وهذا الذي ذكره الزمخشري من
أن حرف المطف الذي بعد همزة الاستفهام فهو عاطف ما بعده على ما
قبل الهمزة من الجمل رجوع إلى مذهب الجماعة في ذلك ، وتخريج لهذه الآية
الآية على خلاف ما قرر هو من مذهبه في غير آية . " (٢)

— إذا الفجائية : ذكر الزمخشري في الكشف أن التحقيق في (إذا)
الفجائية أنها بمعنى الوقت ، وأنها طالبة ناصب لها ، وجملة تضاف إليها
خصت في بعض المواضع بأى يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً ، وهو فعل المفاجأة
والجملة ابتدائية لا غير . *

وذكر أن التقدير في قوله تعالى : " فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه
من سحرهم أنها تسعى " (٣) : فجاء موسى تخييل سعى حبالهم
وعصيهم ، وهذا تمثيل ، والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعى

(١) البحر المحيط ٢ : ٣

(٢) مغنى اللبيب على الأمير ١ : ١٤ ، ١٥

(٣) طه آية ٦٦

وقال في قوله تعالى : " ثم إذا أنتم بشر تنتشرون " (١) ثم فجأت

وقت كونكم بشرا منتشرين .

(٢)

وقال في قوله تعالى : " فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون "

فان قلت : كيف جاز أن تجاب (لما) بأذا المفاجأة ؟

قلت : لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها ،

كأنه قيل : فلما جاءهم بآياتنا فجأوا وقت ضحكهم . (٣)

فرد أبو حيان قائلا : ولا نعلم نحويا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا

الرجل من أن إذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فجأ ، بل هي

منسوبة بالخبر ، أو خبر على ما تقدم تقديره ، وليست مضافة إلى الجملة

كما سبق . ثم إن المفاجأة التي ادعاهم لا يدل المعنى على أنها . تكون

من الكلام السابق ، بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي

فيه إذا . تقول : خرجت فإذا الأسد ، فالمعنى ففاجأني الأسد ، وليس

المعنى فظلمات الأسد . (٤)

— ألا الاستفتاحية : اختلف في ألا الاستفتاحية هل هي مركبة أو

بسيطة ؟

فقيل مركبة من همزة الاستفهام و لا النافية ، وإليه ذهب الزمخشري

وقيل بسيطة ، وإليه ذهب ابن مطلق .

(١) الروم آية ٢٠

(٢) الزخرف آية ٤٧

(٣) الكشاف ٣ : ٤٩٠ ، ٤٩١

(٤) الجنى الداني ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

ورد الشيخ أبو حيان دعوى للتركيب بأن الأصل عدمه وبأنها قد وقعت
مثل (أن) و (رب) و (ليت) و (النداء) ولا يصلح النفي قبل شيء
من ذلك .

- الباء : في قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه " (١)
لم يقدر الزمخشري حرفا في هذه الآية بل قال : " أن يؤذن " .
في معنى الظرف أي وقت أن يؤذن .

وقدر أبو حيان (باء) مقدرة ، وقال : إنها للسببية ورد على الزمخشري
الزمخشري بأن المصدر لا يكون في معنى الظرف المؤول وإنما ذلك في المصدر
للمصدر الصريح نحو " أجيئك صباح الديك " ويمتنع من جهة المعنى أن
يكون (غير ناظرين) حالا من يؤذن ، وإن صح من جهة الصنعة . (٢)
- ليس : قال الزمخشري إنها لمطلق النفي ، ولكنها لا تنفي الاستقبال ،
قال : " ولا تقول : ليس يزيد قائما غدا " (٣)

وذهب أبو حيان إلى أنها لنفي الحال في الجملة غير المقيدة بزمان
والمقيدة بزمان تنفيها حسب القيد . (٤)

- كلا : في قوله تعالى : " كلا سيكفرون بعبادتهم " . (٥)

(١) الأحزاب آية ٥٣

(٢) أبو حيان ص ٥٣٧

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٧ : ١١١

(٤) النجار مذهب السالك ص ٥٦

(٥) مريم آية ٨٢

يتنوين (كلا) على أنها مصدر من الكل بمعنى الاعياء ،أو الثقل ،أى
(حملوا كلا) .

وجوز الزمخشري أن تكون (كلا) فى القراءة هى نفسها حرف الردع ،
وتون كما تونت (سلاسا " فى آية " إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا
وسعيرا " (١)

ورد أبو حيان قائلا : إن ذلك إنما صح فى سلاسا ،لأنه اسم أصله
التنوين ،فرجع به إلى أصله للتناسب ،وعلى لغة من يصرف ما لا يتصرف .
(٢) — أم : ذهب الزمخشري إلى أن (أم) فى الآية الكريمة " أم كنتم
شهداء " إذ حضر يعقوب الموت " (٣) متصلة ويقدر ما قبلها محذوفا .
ويرد أبو حيان بقوله : لا نعلم أحدا أبجاز حذف هذه الجملة ولا يحفظ
ذلك فى شعر ولا غيره ، فلا يجوز أم زيد ، وأنت تريد أقام عمرو أم زيد (٤)
— فى قوله تعالى : " ان نظن إلا ظنا " (٥)

قال الزمخشري : إن أصله (نظن ظنا) ومعناه إثبات الظن فحسب ،
فأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه ، وزيد
نفي ما سوى الظن توكيدا لقوله : " وما نحن بمستيقنين " .
ويرد على ذلك أبو حيان بقوله : هذا كلام من لا شعور له بالقاعدة

النحوية من أن التفريح يكون فى جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره

(١) الانسان آية ٤

(٢) مغنى اللبيب على الأمير ١: ٦٢

(٣) البقرة آية ١٣٣

(٤) البحر المحيط ١: ٤٠٠

(٥) الجاثية آية ٣٢

إلا المصدر المؤكد لا يكون فيه . (١)

- وفي قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٢)

قال الزمخشري : ان الخملة موضع خبر عن الذين يؤمنون بالغيب ،

وذهب به مذهب الاستئناف ، وذلك لوضوح تعلقه بما قبله . (٣)

ويرد أبو حيان قائلا : " ان هذا الاعراب منكر ، والصختار في الاعراب

الجر على النعت والقطع ، إما إلى النصب ، وإما إلى الرفع . (٤)

- وفي قوله تعالى : " لا ريب فيه " .

قال الزمخشري : " ان فيه خبر " ثم يقول :

فان قلت : هلا قدم الظرف على الريب ، كما قدم على (القول) في

قوله تعالى : " لا فيها غول " (٥)

قلت : حرف النفي نفى الريب عنه ، وإثبات أنه حق وصدق ، لا باطل

وكذب ، ولو قدم الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد ، وهو أن كتابا آخر

فيه الريب لا فيه . (٦)

ويخلق أبو حيان ، بأن الزمخشري انتقل عن دعوى الاختصاص ، بتقديم

المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر ، ولا نعلم أحدا يفرق بين ليس في الدار

رجل ، وليس رجل في الدار ، وأبعد من ذلك ذهب إلى أن قوله : لا ريب

صيغة خبر ومعناه النهي عن الريب . (٧)

(١) البحر المحيط ٨ : ٥٢

(٢) البقرة آية ٥

(٣) الكشف ط الحلبي = ١ : ٣٠

(٤) البحر المحيط ١ : ٤٠

(٥) الصافات آية ٤٧

(٦) الكشف ط الحلبي ١ : ٨٧

(٧) البحر المحيط ١ : ٣٣

مؤيدون للزمخشري.

ترك هجوم أبي حيان على الزمخشري أثرا في نفوس بعض العلماء ، وهذا جعلهم يوازنون بين العالمين ويتبهنون خلاقتهما ، فيحضهم أيد أبا حيان والآخر انتصر للزمخشري ، حتى الفت الكتب في ذلك ، مثل ما كتبه الشيخ يحيى الشاوي المغربي ، اذ كتب كتابا سماه " بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري " جمع فيه اعتراضات أبي حيان على الزمخشري وابن عطية ، وقصد به بيان وجه الحق في هذه المناقشات * (١)

وكتب ابن مکتوم كتابا سماه " الدر اللقيط من البحر المحيط " قصره صاحبه على مناقشة أبي حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما ، ونقل ردودهما عليهما *

ومن أهم من تابع الخلاف بين هذين العالمين ابن هشام والسمين وقد قام ابن هشام بالرد على أبي حيان دفاعا عن جاري الله الزمخشري *
ولسوف أسوق بعض النماذج للرد على أبي حيان من مختلف العلماء سوى ابن هشام اذ جعلت له وللزمخشري مبحثا يخصهما ، واليكم نماذج توضح موقف بعض العلماء من الزمخشري وأبي حيان *

- في تفسير قوله تعالى : " قائما بالقسط " (٢)
قال الزمخشري : وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه ، كقوله تعالى :
" وهو الحق مبدقا " (٣)

قال أبو حيان : ليس من : باب الحال المؤكدة ، لأنه ليس من باب
وَيَوْمَ أُبْعِثَ حَيًّا " (٤) *

(١) خديجة الحديثي : أبو حيان ٥٣٥

(٢) البحر المحيط آل عمران آية ١٨

(٣) البقرة آية ٩١

(٤) مريم آية ١٥

ولا من باب "أنا عبدالله شجاعا" و"هو زيد شجاعا" لكن هذا التخريج قلق في التركيب إذ يصير كقوله : "أكل زيد طعاما وعائشة وغاطمة جاءها فيفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول ، وبين الحال ورب الحال بالمفعول ، والمعطوف ، لكن يشبه كونها كلها معمولة لعامل واحد .
ثم يعرض بالزمخشري ، ويستهجم بالعجمة وعدم الامعان في تراكييب كلام العرب وحفظ أشعارها . (١)

ويرد عليه السمين قائلا : ان موآخذته له في قوله مؤكدة غير ظاهرة وذلك أن الحال قسمين : إما مؤكدة ، وإما مبينة وهي الأصل فالمبينة لا يجوز أن تكون ههنا لأن المبينة تكون متقلة والانتقال ههنا محال ، اذ عد عند الله لا يتغير .

ثم يوجه لومه إلى استأذه لتعريضه بالزمخشري ، وينكر عليه اعتداده بنفسه وأنه مدلل على ما لم يطالع عليه هو ، لا ، وينكر عليه أيضا هجومه على علمه وأنه لا يعرف مواقع النظم ، وهو المسلم له في علم المعاني والبيان والبدع ولا يشك أحد أنه لا بد لمن يتعرض لعلم التفسير أن يعرف جملة صالحة من هذه العلوم . (٢)

— في تفسير قوله تعالى "أو يوبقهن بما كسبن" ويحف عن كثير . . . (٣)

قال الزمخشري : فان قلت ! علام عطف (يوبقهن) ؟

قلت : على (يسكن) لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو يخففها فيفرقن .

(١) أبو حيان ص ٢٣٥

(٢) المرجع السابق

(٣) الشورى آية ٣٤

قال أبو حيان : لا يتعين أن يكون التقدير ، أو يعصفها ، لأن اهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الرياح ، بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الرياح ، كنزول سطحها بكثرة الحمل ، أو انكسار اللوح يكون سببا لاهلاكها ، أو يعرض عدو يهلك أهلها .

فرد ابن مكتوم معلقا على هذا الكلام : بأن الذى ذكره الزمخشري فيه مناسبة تكاد تعينه ، وإن كان اهلاكها قد يكون بغيره ، كما ذكره أبو حيان ، إلا أن نجاة السفن ، لما كانت باجراء الرياح طيبة ، وكان اسكانها سببا للركود ، كان المناسب للتقدير سببا لهلاكها ، هو العصف كما قدره الزمخشري (١) — أن : ذكر الزمخشري أن خبر (أن) الواقعة بعد لو يلزم كونه فعلا ونقل بعضهم ذلك عن السيرافي .

فقال أبو حيان : وهو وهم ، وخطأ فاحش ، قال تعالى : " ولو أن ما فى الأرض جميعا من شجرة أقلام " (٢) وقال جرير :
لو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبدا وأزما

وقد دافع المرادى عن جار الله ، بأن الذى ينبغى أن يحمل عليه كلام الزمخشري أنه منع كون خبرها اسما مشتقا ، والتزم الفعل حينئذ ، لا مكان صوغه قهرا ، لحق طلبها للفعل . ألا ترى قوله فى المفصل ، لو قلت : لو أن زيدا حاضر لأكرمته لم يجوز . (٣)

(١) أبو حيان ٥٠٢

(٢) لقمان آية ٢٧

(٣) شرح المفصل ١١٤ ٩٠٠

ولم يتعثره ، لخير المشتق ، واذا حمل على هذا لم يرد عليه قوله تعالى :
 " ولو أن ما في الأرض جميعا من شجرة أقلام " ولا نحو :
 • ولو أنها عصفورة ...

وانما يرد عليه :

• ولو أن حيا مدرك الفلاح • (١)

— غي قوله تعالى : " فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ " (٢)

قال الزمخشري : مقام إبراهيم ، عطف يان لقوله تعالى : " آيات بينات "

وقد رده أبو حيان • وعلق الشاوي على بخضر قوله بما يرجح كلامه أن

الزمخشري على أبي حيان • (٣)

(١) الجنى الدانى ص ٢٨١ ، ٢٨٢

(٢) آل عمران آية ٦٧

(٣) النحو وكتب التفسير ٢ : ٩٩٠

مما وافق فيه ابن هشام الزمخشري

تتبع ابن هشام في كتابه معنى اللبيب الزمخشري ، فوافقه في بعض

آرائه ، واختلف معه في بعضها ، واليكم بعض الأمثلة لما وافقه فيه :

— أما : يرى الزمخشري أنها تعطى الكلام فضل تأكيد .

قال ابن هشام : ولم أر من أحكم شرحها غير الزمخشري . فانه قال :

أما في الكلام تعطيه فضل تأكيد .

تقول : زيد ذاهب . فإذا تصدت تأكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب

وأنه بحدود الذهاب ، وأنه منه عيمة تجلت : أما زيد فذاهب .

ولذلك قال سيبويه في تفسيره ، مهما يكن من شيء ، غزير ذاهب ، وهذا

التفسير مدل بفائدتين : بيان كونه تأكيداً ، وأنه في معنى الشرط . (١)

— أن : في قوله تعالى : " ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا

الله . . . " (٢)

قال الزمخشري : لا يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر ، أي

ما أمرتهم إلا بما أمرتني ، أن أعبدوا الله .

فقال ابن هشام تحليفاً على ذلك : وهو حسن . (٣)

— السين : في قوله تعالى : " أولئك سيرحمهم الله . . . " (٤)

(١) مغنى اللبيب على الأمير ١ : ٥٤

(٢) المائدة آية ١١٧

(٣) مغنى اللبيب . الأمير ١ : ٣١

(٤) التوبة آية ٧١

قال الزمخشري : ان السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهي حرف
مؤكد للوعد ، ولذا قال قوم : ان وجود الرحمة مستفاد من الفعل لا من
السين ، وبأن الجواب المشار اليه بقوله لا محالة لا اشعار للسين .
وقال ابن هشام : ان السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخير
وبتحقيق الوقوع يصل إلى درجة الجواب . (١)

ثم قال في معناها : ومعنى قول المصربين فيها حرف تنفيس : حرف
توسع ، وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع
الواسع وهو الاستقبال وأوضح من عبارتهم قول الزمخشري وغيره حرف التوسيع
الاستقبال . (٢)

(٣)

— من : في قوله تعالى : " ما فرطنا في الكتاب من شيء " . . .

قال أبو البقاء : من زائدة ، وشيء في موضع المصدر ، أي تفریطا ،

مثل " لا يضركم كيدهم شيئا " (٤)

فرد ابن هشام قائلا : ولا حجة في الآية لمن ظن أن الكتاب يحتوي
على ذكر كل شيء صريحا وكذا لا حجة فيها لو كان شيء مفعولا به ،
لأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى : " ولا رطب ولا
يابس إلا في كتاب مبين " (٥) وهو رأى الزمخشري والسياق يقتضيه . (٦)

(١) مغني اللبيب . الأمير ٢ : ١٨٣

(٢) المرجع السابق ١ : ١٢٢

(٣) الأنعام آية ٣٨

(٤) آل عمران آية ١٢٠

(٥) الأنعام آية ٥٩

(٦) مغني اللبيب الأمير ٢ : ١٧

- في : يضرب ابن هشام مثلا لها نحو قول الشاعر :

ويركب يوم الروح منا فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلى

ثم يقول : وليرومته - قوله تعالى : " ويذروكم فيه " (١) خلافا لزاعمه ، بل هي للسببية ، أى يكثرتم بسبب هذا الجعل • والأظهر قول الزمخشري أنها للظرفية المجازية •

- عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة :

في قوله تعالى " إن هي إلا حياتنا الدنيا " (٢)

قال الزمخشري : أصله ان الحياة إلا حياتنا الدنيا ، ثم وضع هي موضع

الحياة لأن الخبر لا يدل عليها ويبينها ، ومنه :

• هي النفس تحمل ما حملت •

و • هي العرب تقول ما شئت •

ويرد عليه ابن مالك في تمثيله (هي النفس ، هي العرب) بأن فيها

ضعفا •

ويحقب ابن هشام بأن الضعف في كلام ابن مالك وحده • (٣)

(١) الشورى آية = ١١

(٢) المؤمن آية ٣٧

(٣) مغنى اللبيب - الأمير ٢ : ١٠٢

مما عارض ابن هشام فيه الزمخشري

وأمثلة هذا الباب كثيرة جداً ، أسوق منها ما يأتي :

- أن : ففي قوله تعالى " أن اتخذى من الجبال بيوتا " (١)

قال ابن هشام : زعم الزمخشري أنها مفسرة ، ورده أبو عبد الله الرازي

بأن قبله " وأوحى ربك إلى النحل " (١) والوحى الهام باتفاق ،

وليس في الإلهام معنى القول .

ثم قال : وإنما هي مصدرية ، أى باتخاذ الجبال بيوتا . (٢)

- لام الابتداء : فى تفسير قوله تعالى : " ولسوف يعطيك ربك فترضى " (٣)

قال الزمخشري : لام الابتداء لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر .

وفى قوله تعالى : " لا أقسم " هى لام الابتداء ، دخلت على مبتدأ

محذوف .

ويقول ابن هشام : ولم يقدرها لام القسم لأنها عنده ملازمة للنون

وكذا زعم فى " ولسوف يعطيك ربك " " أن المبتدأ مقدر ، أى لانت سوف

يعطيك " ثم يقول : وإنما يضاف كلام الزمخشري ، أن فيه تكلفين لغير

ضرورة ، وهما : تقدير محذوف ، ^{وسبغ} اللام عن معنى الحال ، لئلا يجتمع

دليلا الحال والاستقبال . (٤)

- هل : فى قوله تعالى : " هل أتى على الإنسان حين من الدهر " (٥)

(١) النحل آية ٦٨

(٢) معنى اللبيب - الأمير ٣١ : ١

(٣) الضحى آية ٥

(٤) معنى اللبيب الأمير ١ : ١٩٠

(٥) الإنسان آية ١

قال الزمخشري : هل بمعنى قد أبدا .

وعرض ابن هشام ذلك بقوله : إن ^{حرف} هاء ^{موضوع} لطلب التصديق

الاجابي ، ودون التصور ، ودون التصديق السلبي . (١) ثم قال : وقد عكس
قيم ما قاله الزمخشري ، فقالوا إن هل لا تأتي بمعنى قد أصلا ، وهذا هو
الصواب عندى . (٢)

- الواو : قال الزمخشري : تكون بمعنى أو في الإباحة ، ورأى أنه

يأال : جالس الحسن وابن سيرين ، أى أحدهما .

ورد ابن هشام بقوله : والمخروف من كلام النحويين أنه لو قيل جالس

الحسن وابن سيرين كان أمرا بمبالسة كل منهما فذلك فرق بين الحظف بالـ
بالواو والحظف بأو . (٣)

- نعت الضمير : قال ابن هشام : كما أن الضمير لا ينعت كذلك لا

يختلف عطف بيان ، ووهم الزمخشري فاجاز ذلك فعولا عن هذه النكتة ،
وممن نص عليها من التأخرين ، أبو محمد عبدالله بن السيد البطلاني ،
وابن مالك ، والقياس معهما في ذلك . (٤)

- الضمير : في قوله تعالى : " إنه يراكم هو وقبيله " (٥)

قال الزمخشري : إن اسم (أن) ضمير الشأن .

(١) مغنى اللبيب الأمير ٢ : ٢٩

(٢) المرجع السابق ٢ : ٣٠

(٣) المرجع نفسه ٢ : ٣٣

(٤) المرجع السابق ١ : ٣١

(٥) الأعراف آية ٢٧

ورد ابن هشام بأن هذا ضحيف ، والأولى كونه ضمير الشيطان ،

ويؤيد ذلك أن قرئ (وقبيله) بالنصب ، وضمير الشأن لا يحذف عليه . (١)

— وفي قوله تعالى : " بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله

يحب المتقين " . (٢)

رأى الزمخشري أن الرابط في الآية عموم المتقين .

ورد ابن هشام : والظاهر أنه لا عموم فيها ، وأن المتقين مساوون

لمن تقدم ، وإنما الجواب محذوف تقديره يحبه الله . (٣)

— وفي قوله تعالى : " يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الخراب

فأواري سواة أخى " . (٤)

قال الزمخشري : ان اختص بأواري في جواب الاستفهام .

ويرى ابن هشام أن هذا قول فاسد ، وجه فساده أن جواب الشئ

سبب منه ، والمقاراة لا تتسبب عن العجز وإنما انتصابه بالعطف على أكون . (٥)

— وفي قوله تعالى : " ادخلوا في السلم كافة " . (٦)

جوز الزمخشري مجيء الحال من الفاعل والمفعول به في هذه الآية .

ورد ابن هشام بأن هذا وهم ، لأن كافة مختص بهم يحفل .

ثم يقول : وهذا — الزمخشري — في قوله تعالى : " وما أرسلناك إلا

(١) مخني اللبيب ٢ : ١٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ٧٦

(٣) مخني اللبيب ٢ : ١١٠

(٤) سورة المائدة آية ٣١

(٥) مخني اللبيب ٢ : ١٢٣

(٦) سورة البقرة آية ٢٠٨

كافة للناس " . (١) إذ قدّر كافة نعمًا لمصدر محذوف ، أي إرساله كافة .
 ويرى أن وَهْمَ الزمخشري هنا أشد لأنه أضاف إلى استحمله فيما لا
 يعقل إخراجَه عما التزم فيه من الحاقية .
 وبإيه كذلك وهم في خطبة المفصل إذ قال : محيط بكافة الأبواب ، ووهمه
 في ذلك أشد وأشد لإخراجه إياه عن النصب البتة . (٢)

(١) سبأ آية ٢٨

(٢) معنى اللبيب ١٣٦:٢

من آراء الزمخشري التي انفرد بها في النحو

جاء الزمخشري بعد عصر المذاهب النحوية ولا سيما المذهبين البصري والكوفي فكان يرجع في دراساته إلى ما أمامه من شتى الآراء النحوية ، فاختار منها ما يتفق واجتهاده ، وقد يوءد به ذلك الاجتهاد إلى ما لم يسبقه إليه أحد من النحاة ، واليكم بعض ما انفرد به من آراء * :

- انفرد الزمخشري بأن (من) بمعنى بعض تكون اسما ويجرى عليها ما يجرى على الأسماء ، (١) وأخذ بهذا الرأي بعض النحويين بعد الزمخشري حتى أعرب بعضهم بيت الفية ابن مالك الذي يقول فيه :

* والاسم منه معرب ومبنى .

أن - (من) مبتدأ ومعرب خبره . (٢)

- ورأى أن (أن) حين تدخل على المضارع تحول معناه إلى الاستقبال وبهذا قرر أن خبر عسى يجب أن يقترن ب (أن) لأن عسى للرجاء وهو يتجه إلى المستقبل ، وعند أكثر النحاة أن يقترن خبر عسى ب (بأن) وليس ذلك ملزما . (٣)

- وذهب إلى أن (ألا) حرف تنبيه ، وأنه مركب من همزة الاستفهام ، ولا النافية لئلا على تحقيق ما بعدها ، والاستفهام إذا دخل على النفي عند الزمخشري أفاد تحقيقا . (٤)

(١) المفصل ٨ : ١٠

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ، ٨ : ١٢٤ - حاشية الصبان على الأشموني ١ : ٥٠

(٣) المفصل ٨ : ١٤٨ - ابن يعيش ٨ : ١٤٩

(٤) المفصل ٨ : ١١٤ - ابن يعيش ٨ : ١١٥ - مغنى اللبيب - الأمير ١ : ٦٤

— وقال إنه قد يلي الآنعت لما قبلها مفرد أو جملة كالمفرد

مثل : ما مررت برجل الأشبجاء ع ، والجملة : ما مررت بأحد إلا زيد خير منه . (١)

٢ أجاز الزمخشري وحده حذف ما عطفت عليه أم فقال في قوله تعالى : " أم كنتم شهداء " . . . يجوز كون أم متصلة على أن الخطاب لليهود ، وحذف معادلها أي اتدعون على الأنبياء اليهودية " أم كنتم شهداء " . (٢)

٣ وقال إن الباء أصل حرف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفي التاء زيادة معنى التعجب ، قال في قوله تعالى " وتالله لأكيدن أصنامكم " وكأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأثيه مع عتو نمرود وقهره . (٣)

٤ وقال في (إذا) أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ إذا المفاعلة قال في قوله تعالى " ثم إذا دعاكم دعوة " أن التقدير إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت قال ابن هشام : ولا يحرف هذا لغيره . (٤)

٥ قال ابن هشام : وأفاد الزمخشري أن السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة .

(١) ابن يعيش على المفصل ٩٣ : ٢ — معجم الهوامع ١ : ٢٣٠

(٢) معنى اللبيب — الأمير ٤٣ : ١ — الكشف ط طهران ١ : ٣١٢ — المفصل ٨ : ٩٧

(٣) المغنى ١ : ١٠٦ — الأنبياء ٥٧

(٤) المغنى ١ : ٨٠ — الروم ٢٥

وقال : ولم أر من فهم وجه ذلك ، ووجهها أنها تفيد الوعد بحصول الشيء
 الفعل ، فدخلوها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضياً لتوكيده ، وتثبيت
 معناه وقد أوماً إلى ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى " فسيكفيهم الله " ^(١)
 معنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وشرح به في سورة
 براءة فقال في قوله تعالى " أولئك سيرحمهم الله " السين مفيدة وجود الرحمة
 لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : سأنتقم منك (٢) .
 - جعل الجملة بعد (إلا) في مثل قوله تعالى : " وما أهلكنا من
 قرية إلا ولها كتابٌ معلوم " (٣) صفة لقرية ، وقال : إن الواو للصوق للصفة
 وجعلها غيره واو الحال ، وتابعه أبو البقاء العكبري على هذا الرأي . (٤)
 - وقال : إن الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات تدل على ترتيب
 معانيها مثل قوله :

بالهف زياية للحارث المـ صابح فالغانم فالآيب

كانه قال : الذي صبح فغنم فأب .

أو تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك : خذ الأكمل .
 فالأفضل .

أو تدل على ترتيب موصوفاتها في ذلك ، نحو : رحم الله المخلّفين
 فالمقصرين . (٥)

(١) انظر : الكشاف ٣١٥ : ١ البقرة آية ١٣٧ ، الكشاف ٢٠٢ : ٢ التوبة ٧١

(٢) مغنى اللبيب المبارك ٤٨٣ : ٢ - الحجر آية ٤

(٣) المرجع السابق

(٤) الجنى الدانى ص ٦٣ - مغنى اللبيب الامير ١٤٠ : ١

- وذهب إلى أن (حاشا) تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء ،
 و (حاشا) التنزيهية غير الاستثنائية عند النحاة . (١)
 - وقال : إن (الباء) في قوله تعالى " عينا يشرب بها عباد الله " (٢)
 هي كالباء في شربت الماء بالعسل ، والمعنى يشرب بها عباد الله الخمر ،
 ولم يقل به غيره .

- في قوله تعالى " ما انت بنعمة ربك بمجنون " .
 قال : ان الباء تتعلق بمجنون منفيًا ، كما تتعلق بعاقل مثبتًا ، كأنه
 قيل : أنت بنعمة الله عاقل . (٣)

- وذهب الزمخشري إلى أن (أما) في قولك : أما زيد فذاهب
 تعطى الكلام فضل توكيد .

- قال ابن هشام في معنى اللبيب : " وأما التوكيد ، فقيل من ذكره ،
 ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري ، فانه قال : فائدة أما في الكلام أن
 تعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا
 محالة ذاهب وأنه بصدور الذهاب وأنه منه عزيمة قلت ؟ أما زيد فذاهب (٤)
 ولعل الزمخشري أخذ هذا الرأي من قول سيبويه في تفسيره ، مهما يكن
 من شيء ، فزيد ذاهب .

- وذكر أن من معاني الواو الإباحة ، قال ابن هشام في المعنى :

- (١) الفصل ٣٧ : ٨ - النهر الماد على البحر المحيط ٣٠١ : ٥
 (٢) الجنى الدانى ص ٤٤ - معنى اللبيب الامير ٩٨ : ١ - الانسان آية ٩
 (٣) الكشاف ٥٨٤ : ٤ - القلم آية ٢
 (٤) المعنى الامير ٥٤ : ١ - المفصل ١١ : ٩

ورغم أنه يقال : جالس الحسن وابن سيرين أى أحدهما ولهذا قيل " تلك

عشرة كاملة " بعد ذكر ثلاثة وسبعة لثلا يتوهم إرادة الإباحة .

وأردف ابن هشام هذا بقوله : " والمعروف من كلام النحويين أنه لو

قيل جالس الحسن وابن سيرين كان امرا يجالسة كلا منهما وجعل ذلك فرقا

بين الغطف بالواو والغطف بأو . (١)

ويشير الصبان في حاشيته على الأشموني إلى أن ابن مالك وافق الزمخشري

في قوله هذا ، كما وافقه ابن هشام في حواشيه على التسهيل أيضا . (٢)

ـ وذهب إلى أن (إذ) قد تقع مبتدأ ، وخُرج على ذلك قراءة بعض

بعضهم " لقد من الله على المؤمنين : إذ بعث فيهم رسولا " (٣) بقوله :

يجوز أن يكون التقدير منه إذ بعث وأن تكون إذ في محل رفع كإذا في

قولك : أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما أى لمن من الله على المؤمنين

وقت بعثه . (٣)

ويعلق ابن هشام بقوله : " فترتضى هذا الوجه أن إذ مبتدأ ولا نعلم

لذلك قائلا ثم تنذيره بالمثال غير مناسب : لأن الكلام في إذ لا في إذا .

وقال : ان (الباء) في صيغة التعجب (افعل به) مزيدة للتأكيد

والاختصاص ، أو هي للتعدية وعند جمهور النحاة أنها مزيدة للفاعل . (٤)

(١) المغنى للبيهقي الأمير ٣٣ : ٢ - الأشموني ١٠٨ : ٣

(٢) حاشية الصبان على الأشموني ١٠٨ : ٣ ، ١٠٩ ،

(٣) المغنى الأمير ٧٥ : ١ - آل عمران آية ١٦٤

(٤) المفصل ١٤٧ : ٧

الفصل - ٥ - الخامس

مشهد - الزخري النحوي

الزمخشري والأصول النحوية

باستقراء قواعد اللغة نجد أنها تقوم على السماع والقياس .
والسماع يستقى من نبعين أصليين في العربية هما : القرآن الكريم ،
وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم واللغة العربية شعرها ونثرها بحيث
تؤخذ ممن يوثق بفصاحتهم ولهذا نجد النحاة الأوائل قد رحلوا إلى
أعماق الجزيرة العربية يشافهون أهلها ، يأخذون عنهم اللغة والشعر .
وقد استشهد النحاة بصريهم وكوفيهم بالقراءات على تفاوت بينهم في
ذلك .

أما حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فقد سكت النحاة المتقدمون
مثل : أبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه
والكسائي والفراء ، وأدراهم عن الاحتجاج به ، ولكن المتأخرين انقسموا إلى
طوائف أجاز بعضها الاستشهاد بحديث الرسول عليه السلام بشروط معينة .
معينة . (١)

كما اعتمد النحاة الأوائل القياس أصلاً من الأصول النحوية إذ
أحسوا بضرورة الحاجة إليه لتنمية الحصيلة اللغوية فكان عبدالله بن أبي
اسحق كما قيل : شديد التجريد بالقياس . (٢)

وقد نسب إلى الخليل وسيبويه أنها يريان : " أن ما قيس على
كلام العرب فهو من كلامهم " . (٣) سار على نهجهم كثير من الخالفين

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٣ : ١٩٩ مقال للخضر حسين

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ١٤

(٣) الفخزومي : الخليل بن أحمد ص ٢٥٢ - المصنف ١ : ١٨٠

بعدهم ولا سيما البصريين .

فجاء الزمخشري مقتفيا أثر هؤلاء النحاة في الاعتماد على هذين الاصليين ولكنه كان ذا رأى واجتهاد ، فكان له رأى واجتهاده فيما نقل عن العرب من شعر ونثر ، وكتبه النحوية واللغوية مليئة بهذه النماذج . ولما كان لعلماء اللغة رأى في التحديد الزماني والمكاني لنقل اللغة وسماها كان الزمخشري متبعاً لهم ، مقتفياً أثرهم ، ولكنه يتميز في هذا بأنه مجتهد غير مقلد ، نقد وجد في نفسه الكفاية لمخالفتهم فيما يراه ضواها ، فهو مثلاً ينقد اللغة التي يراها ضعيفة لعدم ورودها من فصحاء العرب ولا ممن يوثق بحريتهم كما سيأتى عند الكلام في شواهد .

أما القياس : فقد كان الزمخشري يستعمله في النحو كثيراً وهو يسلك فيه المنهج الفكري للمعتزلة ، ويتضح موقف الزمخشري من القياس فيما يلي :

- إن أعلى شيء في اللغة هو ما تعاون على بثوثه القياس الصحيح

الصحيح والرواية القصيدة . (١)

فهو يجمع بين القياس وأقوال فصحاء اللغة ويعتبر اللغة الموسومة بهذه السمة من أعلى اللغات وأصحبها عنده ، ويرد القياس عنده إلا في الرواية التي يثبت وثوقها .

وعنده كذلك أن الاستعمال المستفيض أقوى من القياس الحسن

فقد ورد في كشفه أمثلة تفيد ذلك ومنها ما ختمه بقوله : هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر ، تتضاءل إليه القياسات . (١)

ولا يصح عنده القياس على القليل . (٢) ولا على اللغات :
الضعيفة . (٣)

ومجمل ما يراه أن كل ما كان بمعزل عن احتمال الفصحاء وعن القياس فهو لحن .

(١) الكشف للحلي ٥٥١ : ٢

(٢) الكشف ١٦٤ : ٤ — المفصل ٩٨ : ٣

(٣) المفصل ١٧ : ٩

مشهجه فى التأليف النحوى

منهجية في تأليف المصطلح :

تقدم الحديث في هذا البحث عن مختلف الثقافات التي سبقت
الزمخشري، ولا ريب أنه اطلع على معظم الكتب النحوية واللغوية قبله.



منهجه في التأليف النحوى

منهجه في تأليف المفضل :

تقدم الحديث في هذا البحث عن مختلف الثقافات التى سبقت الزمخشري ، ولا ريب أنه اطلع على معظم الكتب النحوية واللغوية قبل تأليف مفضله . ويظهر هذا واضحا فى نقوله عن هؤلاء السابقين . وكان أكثر نقله عن سيويه ثم الأخفش والخليل والمبرد ، وأبى عمرو ابن العلاء ، واتجهت نقوله بعد هذا نحو القلة كما يتضح من هذا البيان وهو موجز بمن نقل عنهم وعدد مرات النقل عن كل منهم :

سيويه ٩١ مرة ، الأخفش ٣٤ مرة ، الخليل بن أحمد ٢٦ مرة ، المبرد ١٠ مرات ، أبو عمرو بن العلاء ٩ مرات ، يونس بن حبيب ٩ مرات ، الفراء ٦ مرات ، الكسائي ٥ مرات ، الزجاج ٥ مرات ، أبو زيد ٤ مرات ، الأصمعي ٤ مرات ، الميزيدى ٤ مرات ، قطرب مرتين ، ثعلب مرتين ، أبو عبيدة مرتين ، المازني مرتين ، أبو علي مرتين ، أبو الاسود مرة واحدة ، النضر بن شميل مرة واحدة ، عيسى بن عمر مرة واحدة ، ابن السكيت مرة واحدة ، ابن الأعرابي مرة واحدة .

وهكذا نرى أنه نقل أكثر ما نقل عن شيخ النحاة ، وكان يكثر من ترديد اسمه فى المسائل ، ويستشهد بشراهد كتابه ، ويكنى له كل احترام وتقدير .

ولعل متابعة الزمخشري لتلك المؤلفات ، وأولئك العلماء ، واكتسابه منهم قد فتحت بصيرته للحكم على تلك الكتب بأنها لا تجارى

العصر والتطور الثقافي في وقته ، بل لعله لمس ما ينقصها من ترتيب وتنسيق لأبوابها وفصولها ، نلصق هذا من توجيهه في مقدمة مقبله * (١)

لهذا نرى أن الزمخشري نهجاً جديداً في ترتيب كتابه وتفصيله فللمصنف أن يطبق ما يراه ممواً في ترتيب مادة كتابه ، ولو خالف في ذلك غيره من العلماء .

وهكذا فعل الزمخشري ، فهو يفتح في مقدمة كتابه (المفصل) عن خطة سيره بقوله : "فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب ، (المفصل في صنعة الإعراب " مقسوماً أربعة أقسام : الأول في الاسماء ، والثاني في الأفعال ، والثالث في الحروف ، والرابع في المشترك . وصنفت كلا من هذه الأقسام تصنيفاً وفصلت كل صنفاً منها تفصيلاً " . (٢)

فنراه حصر مادة كتابه في أربعة أقسام رئيسة كما يتضح من هذا النظم فتحدث في قسم الاسماء عن الاسم وخصائصه من جنس وعلم ، وذكر من أصنافه الاسم المحبب المتصرف وغيره ، ثم ذكر وجوه إعراب الاسم ، فبدأ بالمرفوعات ، بحث فيها الفاعل ، ثم المبتدأ والخبر ، وخبر إن ولا النافية للجنس ، واسم ما ولا المشبهتين بليس ، ولم يذكر نائب الفاعل لأنه لا يفرق بينه وبين الفاعل .

ثم تحدث عن المنصوبات ، وبدأ بالمفعول المطلق ، فالمفعول به فالمنادى فالتحذير ، والمضمر على شريطة التفسير ، فالمفعول فيه ، فالمفعول معه فالمفعول له فالحال ، فالمتمييز ، فالاستثناء ، فمخبر كان ،

(١) مقدمة المفصل ١٧: ١

(٢) المصدر السابق

فاسم ان

فاسم ان ، فاسم لا النافية للجنس ، فخير ما ولا المشبهتين به ليس .

ثم بحث المجزورات والاضافة ثم بحث التوابيع ، فالاسم المبني ، ويبحث

فيه الضمير ، والاشارة ، فالموصولات ، قُسماء الافعال ، فالاصوات ، فالظروف

المبنية فالمركبات ، فالكنائيات ،

ثم عرض للمثنى ، فالجمع ، فالمعرفة والنكرة ، فالمذكر والمؤنث ، فالحيث

فالمصغر والمنسوب ، فالعدد ، فالمقصود والممدود ، فالاسماء المتصلة بالاسماء

بالافعال وهي :

اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأفعال التفضيل ،

والزمان والمكان والآلة .

ثم بدأ في قسم الافعال : العاضى والمضارع والأمر ، فالفعل : است

المتعدى وغير المتعدى ، فالمبنى للمفعول ، ثم أفعال القلوب ، فالافعال

الناقصة ، فافعال المقاربة ، وفعل المدح والذم ، فالفعل الثلاثى المجرد

والمزید ، فالفعل الرباعى من مجرد ومزید .

وعرض في قسم الحروف لمعنى الحرف ، فحروف الاضافة ، فحروف :

الحذف ، فالنفي ، فالتنبيه ، فالنداء ، فالتصديق والإيجاب فالاستثناء . . .

ثم أنهى الكتاب بالقسم المشترك ، فتحدث عن الامالة ، ومعناها

وأسابيها فالوقف وبيان لغاته الأربع ، فالقسم والخرى منه ومعناه ،

وأدواته ، فتخفيف الهمزة وحذفها ، وعلّة حذفها ، ثم التقاء الساكنين ،

وستى يجوز .

ثم تحدث عن زيادة الحروف ، ومعنى زيادتها ، ثم إبدال الحروف

وتعريف الإبدال والقلب ، ثم الاعتلال معناه وحروفه .

ومن أجناس المشترك : الإدغام ، معناه والعلّة فيه ، فمخرج الحروف ،

فصفات الحروف ، ثم تفصيل الإدغام في الحروف ، يبدأ بالهمزة وينتهي

بالنون .

منهج النحوى فى الكشاف

بالتقصاء خطى الزمخشري فى كشافه يلاحظ الباحث ما يلى :

— يشعر الكثير من أوجه الاعراب اذا كان فى ذلك توضيح للمعنى

المقصود .

وذلك كما فى قوله تعالى : " وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون

ذكرى وما كنا ظالمين " (١)

يقول : ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة ، اما لأن أنذر وذكر متقاربان :

فكانه قيل : المذكرون تذكرة . وإما لأنها حال من الضمير فى منذرون

أى يندرونهم ذوى تذكرة . وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم

ينذرون لأجل الوعظة والتذكرة ، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف

بمعنى هذه تذكرة ، والجملة اعتراضية ، أو صفة بمعنى منذرون ذوى ذكرى

أو جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة وإطنابهم فيها .

وجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ، والمعنى : وما

أهلكنا من أهل قرية ظالمين ، الا بعد أن الزمانهم الحجة ، بإرسال :

المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة ، وعبرة لغيرهم فلا يعصون مثل

غصيانهم . (٢)

— يجعل للنحو وظيفة معنوية وهى الإبانة عن معانى الكلام ووجوه

فهمه ، ويضفى على النحو أهمية خاصة فى تفهم القرآن الكريم ، فهو يرى

(١) الشعراء آية ٢٠٨

(٢) الكشاف ط الحلبي ٣ : ١٣٠

أن التفسير يجب أن يكون فارساً في علم الأعراب ، لم يَحْظَ وأقر منه ،
مقدماً في محرقة كتاب سيوييه . (١) كما في قوله تعالى :

" أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن

أهل القرى أن يأتيهم بأسنا . . . (٢)

يقول : والفاء والواو في أفأمن و أو أمن حرفا عطف دخلت عليهما

همزة الإنكار .

فإن قلت : ما المعطوف عليه ولم عطف الأولى بالفاء والثانية بالواو ؟

قلت : المعطوف عليه قوله : فأخذناهم بختة ، وقوله : ولو أن

أهل القرى . . . إلى يكسبون - وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف

عليه ، وإنما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بختة ،

أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا ، وأمدوا أن يأتيهم

بأسنا ضحى . (٣)

- ينظر من خلال الدراسة النحوية إلى الذوق الأدبي والأسلوب

البرزخي ، يخضع النظر عن تقديرها النحاة . كما في قوله تعالى :

" هدى للمتقين " (٤)

يقول : وسجل هدى للمتقين الرفح ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو

(١) الكشف المقدمة ٨ : ١

(٢) سورة الأعراف آية ٩٧ ، ٩٨ ،

(٣) الكشف ٢ : ٩٩٨

(٤) الكشف ١ : ١٢١ - البقرة آية ٢

خبر مع " لا ريب فيه " لـ (ذلك) ، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم
 خبراً عنه ، ويجوز أن ينتصب على الحال ، والحامل فيه معنى الإشارة
 أو الظرف .

ثم قال : والذي هو أرسخ عرفاً في البلاغة أن يضرب عن هذه الحال
 صفحا ، وأن يقال إن قوله : (الم) جملة برأسها ، أو طائفة من .
 حروف المعجم مستقلة بنفسها ، (ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب فيه)
 ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة .

وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم حيث جئ بها
 متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متأخية أخذ بعضها
 بتلايب بعضها . (١)

— يسرد آراء النحاة ثم يبدى رأيه ، كما هي قوله تعالى : " ثم
 لننزعن من كل شيعة أئهم أشد " (٢)

يقول : واختلف في إعراب (أئهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على
 الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أئهم أشد ، وسيبويه على أنه
 مبني على النعم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته ، حتى ولو جزم
 به لأعرب .

وقيل : أئهم هو أشد ويجوز أن يكون النزاع واقعا على (من كل
 شيعة) كقوله سبحانه " ووهبنا له من رحمتنا " (٣) أي لننزعن بعض

(١) الكشاف الحلي ١ : ١٢١

(٢) مريم آية ٦٦

(٣) مريم آية ٥٣

كل شيعة ، فكان قائلًا قال : من هم ؟ " فقل أيهم أشد عتياً " ..
 وأيهم أشد بالنصب ، عن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء . (١)
 - ويستدل لما يراه صحيحاً من آراء النحاة البصريين أو الكوفيين مع
 جنوحه للمذهب البصرى ، واجلاله المطلق لسيبويه .

فى قوله تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " ..
 ونحن له عابدون " (٢) يقول : (ونحن له عابدون) عطف على آمنة
 بالله ، وهذا العطف يرد قول من زعم أن (صبغة) بدل من (ملة)
 إبراهيم) أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيها من فك
 النظم ، وإخراج الكلام الثامه واتساقه ، وانتصابها على أنها مصدر مؤكد
 هو الذى ذكره سيبويه ، والقول ما قالت حزام . (٣)

- ويستشهد بالحدىث الشريف فى النحو ، كما استشهد به فى كتبه
 الأخرى .

يقول فى الكشف : وقد فسر بعضهم أمرنا " بكثرتنا " وجعل باب
 أمرته فامر من باب فعلته ففعل ، كثرتة فثبر ، وفى الحديث : " خير المال
 سكة مأبورة ومهرة مأبورة " أى كثيرة النتاج .

(١) الكشف ٢ : ٥١٩ - مريم آية ٦٩

(٢) الكشف ١ : ١٩٦ - البقرة آية ١٣٨

(٣) المصدر السابق

التجديد في منهج الزمخشري

الأول مرة يعرض المؤلف منهجه في مقدمة الكتاب ، ولم يكن هذا صهيودا عند المؤلفين السابقين له ، والمؤلف جعل منهج كتابه شاملا كل الأحكام النحوية والصرفية .

فالجانب النحوي عنده يقوم على الأحكام المتعلقة بالكلمة من حيث بنيتها ووظيفتها ، ووظيفتها في التركيب اللغوي ، وعلى هذا وضع المنهج وفصل عليه الأحكام .

فالتطور النحوي حدث على يد الزمخشري فتناول المنهج النحوي أكثر من تناوله للمادة النحوية نفسها من حيث ما تشتمل عليه من قضايا وأحكام . (١)

ويرجع فضل ذلك إلى متابعتة للدراسة النحوية وتحقيقه في تفاسيلها وجزئياتها ومعانيشتها إياها .

وبحكم ثقافته الاعتزالية وميله إلى الانطلاق الفكري ، أحس إحساسا قويا بأن للنحو غاية وهي : تقويم اللسان وفهم النص اللغوي ، ولذلك رأى النحو في حاجة إلى منهج جديد ، فاتجه اتجاهها فاق به من سبقوه ، ومن عاصروه .

اتجه إلى المادة النحوية بمنهجية أعمل فيها عقله ، فابتدع خطة سهلة شاملة ، ثم ظهرت شخصيته في بعض المسائل شأنه شأن العلماء المتخصصين الذين يسهمون في بناء الثقافة ، ويضيفون إليها الجديد من أعمالهم .

لقد عالج الزمخشري قضية النحوى اتجاهين مهمين لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وهما : اللفظ المفرد ، والتركيب اللغوى .

وفى كل قضية نهج نهجا خاصا به لم يسبق إليه ، فجعل فى كتبه الخاصة بالنحو ما عالج به قضايا النحو الكلية ، فجمع كل المتشابهات فى العمل ، وفى الجنس فى باب واحد ، وحدا به هذا الى أن يؤلف كتابه كتابه المفصل فى تلك الأبواب الأربعة المشار إليها ، ولم يكتف بذلك بل اختصره مرة أخرى فى كتاب سماه (الأنموذج -) .

فكتاب الأنموذج اختصار شديد لقواعد النحو وأصوله ، وترتيبه يسير ، على وفق ترتيب المفصل .

فالكتابان يسيران على منهج واحد ، فقد رتب الأنموذج على أربعة أقسام هى : الأسماء والأفعال ، والحروف ، والمشارك ، شأنه شأن المفصل ، ولكن الأنموذج أكثر تركيزا وأشد إيجازا ، فهو يوفى إلى مسائل النحو إيماء ، لأنه متن ضيق لأصول هذا العلم .

فباب التمييز لا يزيد فيه عن أن يقول : والتمييز هو رفع الإبهام عن الجملة فى قولك : عندى راقود خمرا ، ومنوان سمناء ، وعشرون درهما ، وملوئه عسلا . (١)

وفى كتاب المفصل يذكر هذه الأصول مع شىء من الشرح الوجيز ،

ولا يخرج مع هذا عن عداد المتن .

واختصارا للقول نرى أن المفصل والأنموذج عالج فيهما القضية الكلية للنحو .

ولما أراد أن يسهل حفظ القواعد على طلاب النحو ، قام باختصار ذلك كله في عجالة صغيرة جعلها في بابين شاملين لأبواب النحو كلها : المفرد والمركب وسمى تلك السجالة (المفرد والمؤلف) .

فتحدث فيها عن أحوال اللفظ المفرد ، وأحوال التركيب اللغوي ، وعن أحكامها النحوية دون أن يهترق القارئ في الاستطرادات والاستشهادات والاستشهادات ، والتعليلات ، ويمكن أن يعتبر الكتاب بداية ينتفع بها .

المتقدم المبتدئون .

فهو يبدأ بالقول في المفرد ويقسمه إلى : اسم ، وفعل ، وحرف .

ويخبر كلاً منها مع ضرب مثال واحد لكل ، ثم يتحدث عن أحوال الاسم من إعراب وبناء ، يأخذ في التحدث عن أحوال الفعل فيقسمه إلى ماضٍ ومضارع وأمر ، مع تعريف كل منها ثم يتطرق إلى ما يتصل بها من إعراب وبناء ، ومن تعدد ولزوم ، وتام ونقصان .

ثم يعرج على الحرف فيقسمه إلى حروف عاملة : وهي حروف الجر ، ويذكرها ، وعوامل النصب قبل الرفع في المبتدأ والخبر ، وعوامل الرفع قبل النصب فيهما ، ونواصب الغل وجوازمه .

وحروف غير عاملة وهي : حروف النطف ، وحروف الاستفهام .

ثم يتحدث عن المؤلف ، وهو الباب الثاني في الكتاب فيقول :

المؤلف على ضربين : المبتدأ مع المبنى عليه ، والمضاف مع المضاف إليه ، والصفة مع الموصوف والمبدل منه مع البديل ، والمؤكد مع التوكيد ، والمعدول مع المعطوف عليه ، وذو الحال مع الحال ، والمقدار مع تمييزه

والمستثنى مع المستثنى منه والصفة والمصدر مع قاعليهما أو مفعوليها .
 ومنه المؤلف مع الفعل والاسم وهي : الفعل مع الفاعل والفعل مع
 المفعول به والفعل مع الحال والتمييز ، والمستثنى .
 ومنه المؤلف من الحرف والاسم وهي : حرف التحريف مع المحرف ،
 وحرف النداء مع المنادى .

ومنه الحرف المؤلف مع الفعل وهي : قد مع الماضي ، والمضارع .
 ومنه المؤلف من حرفين وهنحو : لولا ، لوما ، فلان ، لما ، ألا ، أما .
 ومنه المؤلف مع المفرد والمؤلف : وهو على ضربين ثم يذكرها (١)
 والكتاب في منهجه موجز أشد الإيجاز فهو لا يزيد على عشرين صفحة
 من القطع الصغير وكأنه هبة للحفظ كي يستفد به الطالب .
 ثم انه يستعمل كفايته لخدمة أبناء العربية ، فيحاول أن ينهج نهجا
 يقودهم إلى أغوار اللغة ، ودقائق النحو ، يمد لهم بسيل دافق من
 المسائل النحوية المعقدة ليفيدها المتخصصين .

فقد ألف كتابه (الأحاجي النحوية) وهو ليس كتاب الغار ، فبينه
 وبين الألغاز بون شاسع فهو كتاب في خمسين أحجية لجأ فيها إلى
 دقائق النحو وكان هذا المنهج كفيلا بأن يسهل على الطالب حفظ
 الأحجية والالهام بمحتواها ، وما بها من شوارد النحو وقد هيأها في
 أسلوب سلس يسهل تناوله وسأسوق بعض النماذج للاطلاع على منهجه ،
 وما يرمى إليه فيها من إفادة المتخصصين في النحو والصرف .

يقول في إحدى أحاجيه : " أخبرنى عن فاعل جمع على (فَعَلَة) —
بضم الفاء وفتح العين — وعن فعيل جمع على (فَعَلَة) بفتح الفاء وفتح
والعين — " . (١)

ويرد بنبوله : فاعل المجموع على فَعَلَة ، باب قاض ، وداع ، قياساً مثلثاً
وذلك قولك : (قضاة) و (دعاة) ، خالف بضمه فاعله جمع الصحيح ،
والمعتل العين حيث جاء على (فَعَلَة) بفتحيتين ، وذلك نحو (الكفرة)
و (الفجرة) و (الحوكة) فيمن أتى به على الأهل .
وأما فَعِيل المجموع على (فَعَلَة) فقولهم : (سراة) ويدل على ذلك
هذا قولهم (سراة) يعنى لو كان تكسيرا نحو (كتبة) لما قيل ذلك ،
كما لا يقال : كتابات وكفارات .
ويقول في أحجية أخرى : " أخبرنى عن نسب بغير يائه ومن تأنيثه " .
بتاء غير تائه " . (٢)

ويجيب عن هذه الأحجية بقوله : النسب بغير يائه مما دل عليه
بالصيغة نحو (عواج) و (بتار) و (دراع) و (لابن) (ونظير دلالتى
العلامة والصيغة قولك : ليضرب واضرب ، والفرق بين البنائين أن (فعلا
مضوغ لما هو صنعة و (فاعلا) لمباشرة الفعل .

فان قلت : أهو قياس كالنسب بالعلامة ، أم يقتصر على السماع ؟
قلت : بل يقتصر على السماع . قال سيويه : وليس فى كل شىء قيل
هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر (برار) ولا لصاحب الفاكهة

فكاه ولا لصاحب الشعر (شعار) ولا لصاحب الدقيق (دقاق) ؟

فان قلت : فهل جاء (فَعَّال) للمباشرة و (فَاعِل) لما هو صنعة ؟

قلت : نعم قد قالوا : بَخَّالٌ وَبَّالٌ وَسَيَّافٌ لِمَذْوَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ

قال امرؤ القيس :

وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس بنبَّالٍ بنبَّال

يريد وليس بذى نبل ، كما قال : وليس بذى رمح وليس بذى سيف

وقالوا : شاعر وحائك .

ويرد على قوله : والتأنيث بتاء ليست بتائه في (بنت) و (أخذت)

لأن تاءها بدل من الواو التي هي لام ، إلا أن اختصاص الموءث بالابدال

دون المذكر قام علما للتأنيث فكانت هذه التاء موءثة لاختصاصها كتاء : أنا

التأنيث ، ونحو التاء في (مسلمات) هي علامة لجمع الموءث فلاختصاصها به

بجمع الموءث كأنها للتأنيث ، ومن ثم لم يجمعوا بينها وبين تاء التأنيث عند

قلم يقولوا (مسلمات) .

فان قلت : ما أدراك أنها ليست تاء التأنيث ؟

قلت : لو كانت كذلك لقلبها الواقف هاء في اللغة الشائعة .

فان قلت : فلم قلبها من قلبها هاء في الوقف ، فقال : (البنون ،

والبناء)

قلت : رآها تعطى ما تعطيه تاء التأنيث متوهما مثلها . (١)

وهو يعتمد على اختصار العبارة ووضوحها ، ويعرضها في تعبير

سجوع يساعد السمع على حفظ الأحجية ، مثل قوله :

"أخبرني عما ينصب ويجر وهو رفع ، وعما تدخله التشية وهو جمع" (٢)

(١) الاحاجي النحوية م ٨ ص ٢٧ - ٢٩

(٢) المرجع السابق م ١١ ص ٣٣

وقوله : " أخبرني عن واحد وجمع لا يفرق بينهما ناطق إلا أن الضمير بينهما فارق " (١) .

وعلى هذا النمط يسير حتى يكملها خمسين أحجية .
وكما تبين من النموذجين المتقدمين ، نجد أنه يستشهد في حلها ،
لغويا ، ونحويا بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، والشعر والنثر والآثار
— أما دراسته في (أعجب العجب) فهي لو قورنت بما كتبه في المفضل
والنموذج لظهر فرق كبير يمثل في الإيجاز ، والاختصار الذي مال إليه
في كتبه النحوية ، والاطالة والاسهاب ، والاستطراد في دراسته النحوية
للنصوص الأدبية التي يشرحها .

وكان يختز بهذا اللون من الدراسة المطولة ، التي تعتبر مسندا
شاملا لكل ما يتصل ^{بالكلمة} ، متحوا وصرفا واشتقاقا ، وأسوق مثلا واحدا
لهذه الدراسة ليكون القارئ على بينة مما أشول ، وهائل هذا المثال
وهو مطلع قصيدة الشنفرى التي قام الزمخشري بشرحها :

أقيموا بني أمي محذور مطيكم فاني إلى قوم سواكم لأميل
أصل أقيموا أقوموا وما ضيه أقام ، وعينه وأو لقولك فيه أقوموا
فاستقلت ^{الكسرة} على الواو ، فنقلت إلى القاف ثم قلبت الواو ياء ،
لسكونها وانكسار ما قبلها . وهو فعل أمر مبني في الأمل على السكون
وما بني منه على حركة فلعله أوجب بناءه عليها .

وذهب قوم إلى أنه معرب بالجزم — رأى الكوفيون — واشفقوا على
أن فعل الأمر للغائب نحو ليقم ، وليذهب مجزوم باللام الداخلة عليه ،

فهو معرب اتفاقا ، ودليل البناء أن الأصل في الأفعال البناء ، فهو معرب
محكوم عليها به ، إلا أنه يقوم دليل على إعراب شيء منها ، فيكون أفراد
إخراجها لها عن أصلها ، ولم يعرب منها سوى المضارع لشبهه بالاسم ،
وهو ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع فيحكم عليه بالإعراب مادام
وصف المضارعة باقيا ، وذلك إذا كانت زائدة من الزوائد الأربع موجودة
فتمت زايته زال شبهه بالاسم ، فيعود إلى أصله من البناء .

وأينما نجده لا يحتمل معان يفرق الإعراب بينها ، والإعراب في الأصل
انما جاء لهذا عند المحققين ، وقال الآخرون ما فيه اللام معرب ،
فيعرب ما لا لام فيه لتقدير اللام كما قيل : محمد تفد نفسك ، أي لتفد
نفسك ، وحرف المضارعة أيضا مقدر كالمثال المذكور منه كلام أبي طالب
لما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم :

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا

ولا تعويل على هذا القول ، فإن الحذف من الشيء لا يوجب تغيير
الصيغة بل يحذف ما يحذف ، ويبقى ما يبقى بعد الحذف على حاله ،
كقولك ارم فان الأصل إثبات الياء بعد حذفها بقي ما كان على ما كان
وهذا معدوم في فعل الأمر ، ألا ترى أنك إذا حذفت التاء من تضرب
لا تقول ضرب زيد بل يعدل إلى صيغة أخرى هي اضرب .
وأما البيت ، فالأمل تفد على الخبر ، وإنما حذفنا الياء للضرورة ، وبني
منصوب ، والناصب له الفعل المحذوف أو حرف النداء على اختلاف فيه ،
وحرف النداء محذوف ، والداعي إلى حذفه إرادة الاختصار مع بقاء المعنى
والمعتبر لجواز الحذف موجود ، وهو كونه لا يصلح أن يكون وصفا لأي ،

أو الأصل في قولك : يا رجل أقبل ، يا أيها الرجل أقبل ، فلما حذفوا بها لم يحدفوا حرف النداء لئلا يجتمع حذفان ولم يكن الأصل في قولك يا بني ، (يا أيها بني) فإذا حذف حرف لم يجتمع حذفان وإنما نسب المضاف ولم يبن كما بنى المفرد وان واغته في كونه مقصودا بالنداء ، وواقعا مع موقع الضمير كالمفرد ، لأن الإضافة توجب احتياج المضاف إلى المضاف إليه فلو بنى المضاف دون المضاف إليه لكان منفردا عنه بالبناء وخرج أن يكون الاسمان كالاسم الواحد فوجب أن يخرج عن باب النداء لان المضاف والمضاف إليه اسمان حقيقة ، فلم يكن إيقاعهما موقع الضمير لأنه مفرد ، واختلف في المضاف إليه : ياء المتكلم نحو غلامي وأمي ونظائرهما فذهب قوم إلى أنها لامعربة ولا مبنية وآخرون إلى إعرابها وآخرون إلى بنائها .

واحتج الأولون بان الأعراب هو الاختلاف ولا اختلاف هنا وهذا مما يوجب البناء ، ولم تشبه ما تبني لأجله ، وهذا يقتضي الأعراب فوجب الوقف واحتج من قال بالأعراب أن الأعراب أصل في الأسماء ، فإذا عرّض ما يمنع ظهوره قدر كالمقصور ، والحركة في مثل هذا مستقلة كاستقلالها على الاسم المنقوس .

واحتج من قال بانه مبني أن حركته صارت تابعة للياء فتعذرت دلالتها على الأعراب ، وإذا صار تابعا في الحركة صار تابعا في البناء للضمير ، ولأنه خرج عن نظائره من المضافات إذ ليس فيها ما يتيح غيره ، والعامل في المضاف إليه الجر - المضاف وهو الاسم الأول - ولما كان هو الجار له وثبت أن الاسم لا يعمل إلا بالحمل على غيره

كان محمولا على جارو ذلك الحار لا يكون إلا حرفا ، وهو ما ناسب وقوعه . في ذلك الموضع وهو (من) أو (اللام) ، فتاب الاسم عنه وليس ثمة حرف تضمن

الاسم معناه ، إذ لو كان كذلك لكان الاسم مينا .

وأما الفاء فانها تنبى على أن ما قبلها علة لما بعدها ويؤيد ذلك وقوعها في جواب الشرط ، وقد تأتى رابطة لما بعدها بما قبلها ، وإلا شبه استعمالها هنا بمعنى التعليق وإن لم توجد صيغته . (١)

ويذكر أن كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف اهتمت بهذا اللون من

الدرس النحوى في فترة ما قبل تطور الأزهر ، لتقرر في نقوس أبنائها أصول النحو ومسائله بهذه الطريقة العلمية المستفيضة ، حيث تجمع لهم أمثا تا من المسائل النحوية في موضوع واحد .

وقد نهض اساتذتها بهذا الدرس فكتبوا كتباً نافعة نهجوا فيها

منهج العلامة الزمخشري في شرح هذه اللامية ، وإن اختلفت النصوص التي دار حولها درسهم . (٢)

(١) الزمخشري : أعجب العجب في شرح لامية العرب ص ١١-١٤

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٥٣

شواهد النحوية

محور البحث في هذا الموضوع هو شواهد النحوية في (كتاب المفصل) ومعها غيرها من شواهد النحوية في كتبه الأخرى ، فحيث أن الموضوع شامل لذلك يتحتم الإشارة إلى نهجه في الاستشهاد في كتبه الأخرى فهو يستشهد في مفسده ، بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر والنثر ، من حكم وأمثال وأقوال مأثورة .

الشواهد القرآنية :

استشهد من القرآن الكريم بخمس وأربعين وثلاثمائة آية ، ويحتوي استشهاده بسوق الجزء الذي يخص موطن الاستشهاد ، كما سواء شمل ذلك الآية كلها ، أو جزء منها ، لذلك وجد أنه استشهد باثنتين وثلاثين آية كاملة ، وثلاثة عشرة وثلاثمائة جزء من آية .

وكان أحيانا يأتي من الآية بكلمة واحدة كتمثيله بقوله تعالى : " فأطلع " في مبحث (لعل) . (١) وأحيانا يأتي بكلمتين من الآية كاستشهاده بقوله تعالى " ثلاث قرو " (٢) في ميمر الثلاثة إلى الحشرة . (٣) .

استشهاده بالقراءات :

وهو لا يختلف بوجه عام عن النحاة السابقين ولا سيما البصريين في

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ٨ : ٨١ - ٩ : ٨٣ ، ١٣٦ - ١٠ : ٢٠ ، ١٤٧

(٢) المصدر السابق ٦ : ٢٥ ، ٣٥ - ٧ : ٨١ ، ٩٧ - ١٢٦ ، ١٣٤ ، ٣٥

١٣٥ - ٨ : ٨٣ ، ٨٥ - ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٨

(٣) البقرة آية ٢٢٨

موقفهم من الاستشهاد بالقراءات ، فهو يستشهد بها ويرد طائفة منها ،
ويضعف أخرى ، ويلحق بعض القراء ويرجع قراءة على قراءة وإليك بعض
النماذج التي توضح صلة الزمخشري بالقراءات قبل تناول هذا النوع من
الشواهد :

— ينسب الزمخشري بعض العبارات إلى أصحابها مثل قوله تعالى :

" وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ " (١)

فهو يقول : " قرأ عبد الله بن مسعود " ولن تسأل " وقرأ أبي " وما
تسأل " . (٢)

وفي قوله تعالى : " واذا ابتلى إبراهيمُ ربه " (٣) قال : قرأ أبو
حنيفة ، وهى قراءة ابن عباس " إبراهيمُ ربه " برفع إبراهيم ونصب ربه ،
والمعنى أنه دعاه بكلمات من . الدعاء . (٤)

وفي قوله تعالى : " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " (٥)
يقول : قرأ ابن عباس " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " بمعنى
يتكلفونه أو يتقلدونه . (٦)

وفي قوله تعالى : " وأتموا الحجَّ والعمرة لله " (٧) يقول :
قرأ علي وابن مسعود والشعبي " وأتموا الحج والعمرة لله " برفع العمرة

(١) البقرة آية ١١٩

(٢) الكشف ط الحلبى ٧٢ : ١

(٣) البقرة آية ١٦٩

(٤) الكشف ط الحلبى ٧٢ : ١

(٥) البقرة آية ١٨٤

(٦) الكشف ط الحلبى ٨٨ : ١

(٧) البقرة آية ١٥٦

كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكاية الحق وهو الوجوب . (١)

فقرأه في هذه الأمثلة المتقدمة يذكر القراءة وينسبها الى القارىء .

وقد يأتي بأوجه القراءات دون ذكر أصحابها ، وأمثلة ذلك :

في قوله تعالى : " وأما شعوب فهديناها (٢) لقال : وقرئ

بالنصب . (٣)

وفي قوله تعالى : " وما عملته أيديهم " (٤) قال : وقرئ

ما عملت . (٥)

وفي قوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " قال :

وقرئ بالرفع والنصب . (٦)

والحاقا بالقراءات يذكر بعض المصاحف التي كانت تتمثل فيها

بعض هذه القراءات .

ففي قوله تعالى : " وما هو على الخيب بضمين " (٧) يقول :

وفي مصحف عبدالله بالطاء " بظنين " وفي مصحف أبي بالضاد .

ويوازن بين القراءات :

يقول في قوله تعالى : " وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة

(١) الكشاف الحلبي ٩٣: ١

(٢) سورة فصلت آية ١٧

(٣) ابن يعيش ٢٣: ٢

(٤) سورة يس آية ٢٥

(٥) ابن يعيش ٢٩: ٢

(٦) المرجع السابق ٢٣: ٤ - البقر آية ٢١٩

(٧) سورة التكوين آية ٢٤

أصلها ثابت وفرعها في السماء " (١)

وقرأ أنس بن مالك شجرة طيب^٢ ثابت أصلها .

فان قلت : أى فرق بين القراءتين ؟

قلت : قراءة الجماعة أقوى ، لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على

الشجرة . (٢)

ويقول في قوله تعالى : من يصرف عنه يومئذ رحمه " (٣)

وقرئ " من يصرف " على البناء للفاعل ، ويجوز أن ينتصب (يومئذ)

ببصرف انتصاب المفعول به ، أى لمن يصرف الله عنه ذلك اليوم وينصر

هذه القراءة قراءة أبي (من يصرف الله عنه) (٤) .

وفي قوله تعالى : " مات يوم الدين " عرض للقراءات المختلفة في

لفظة (مالِك) ثم اختار ما بينها قراءة ملك بالكسر وعلى ذلك اختيار

بأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : (لمن الملك اليوم)^٥ ولقوله

تعالى : (ملك الناس) وكن الملك يحم ويخص . (٥)

- ويستشهد بالقراءات في النحو :

يقول في قوله تعالى : " ويعدهم في طغيانهم يحمهون " (٦)

من مد الجيش يمد^٦ ، وأمد^٧ ، إذا زاد^٨ بما يقويه ويكثره ، وكذلك

مد الدواء وأمدها زادها بما يصلحها ، ومددت السراج وأبرض

(١) سورة إبراهيم آية ٢٤

(٢) الكشف الحلبى ٥٠٤ : ٢

(٣) سورة النعام آية ١٦

(٤) الكشف الحلبى ٧ : ٢

(٥) المصدر السابق ١١ : ١

(٦) سورة البقرة آية ١٥

إذا استملحهما بالزيت والسجاد ومده الشيطان في الغي وأمه إذا
عامله بالوساوس حتى يتلاحق فيه ويزداد اشهما كما فيه .

فإن قلت : لم زعمت أنه ابن المدد دون المد في العصر والإملاء
والإمهال ؟

قلت : كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير
وابن محيصن (ويمدعم) وقراءة نافح " وإخوانهم يمدونهم " (١) .
فهذا عند الإمعان فيه نجد من قبيل الاستشهاد بالقراءات في
الجانب النحوي إلى الجانب اللغوي .

وفي قوله تعالى : " فلما أمأّت ما حوله ذهب الله بنورهم " (٢)
يقول : وهي في القراءة متعدية ، ويحتمل أن تكون غير متعدية
مسندة إلى ما حوله ، والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول
المستوفد أماكن وأشياء ، ويحذفه قراءة ابن أبي عملة (أمأّت) (٣)
- تخريجه لبعض القراءات :

ارتبطت نشأة النحو ارتباطا وثيقا بالقراءات فقد تتبع النحاة :
الأولون القراءات بالبحث العميق ، وهم لم يعتدوا بما خالفه قوانينهم
من القراءات الشاذة ، بل إن البصريين منهم على وجه الخصوص كانوا
يرددون القراءات التي لا تتفق ومنهجهم ، ولو كانت إحدى القراءات
المثارة ، فيجعلون قارئها وينسبونه إلى الخطأ واللحن .

(١) الكشاف ط الحلبي ١ : ١٨٨

(٢) البقرة آية ١٧

(٣) الكشاف ١ : ٧٣

ذكر الزمخشري في كشفه عند قوله تعالى : "هو^١لاء بناتى^٢ هن^٣"

أظهر لكم ... (١) أن ابن مروان قرأ "عن أظهر^٤" بالنصب ،
وضعه سيومه . وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ "عن أظهر^٤" بالنصب
فقد تربع في لحنه . (٢)

ولكن الزمخشري يسوق في تخريجه لهذه القراءة ألا تكون (هن) فيها
فصلا وذلك أن يكون هو^١لاء مبتدأ و "بناتى^٢ هن^٣" جملة في موضع خبر
المبتدأ ، ويكون أظهر^٤ جالا . (٣)

وفي قوله تعالى : "أم حسب الذين أخرجوا السينات أن نجعلهم^٥
(٤) كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء^٦ محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون^٧"
يذكر أبو حيان أن حفصا وحزمة والكسائي قرأوا "سواء^٦" بالنصب
فوصف سيويه بقراءة النصب بالفتح والرداءة .

وقرأ الجمهور "سواء^٦" بالرفع "ومماتهم^٧" بالرفع أيضا (٥)
ولم يقف الزمخشري مكتوف اليدين أمام قراءة النصب ، بل خرجها
تخريجا ارتضاه أبو حيان ، فقد قال الزمخشري : والجملة التي هي
"سواء^٦ محياهم ومماتهم" بدل من الكاف ، لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا
فكانت في حكم المفرد ، ألا تراك لو قلت : أن نجعلهم سواء^٦ محياهم
ومماتهم كان سديدا ، كما تقول : ظننت زيدا أبوه منطلق ... ثم عقب

(١) هود آية ٧٨

(٢) الكشاف الحلبي ٢ : ٢٨٣

(٣) المصدر نفسه

(٤) الجاثية آية ٢١

(٥) البحر المحیط : ٨ : ٤٧

أبو حيان بقوله : " وهذا الذى ذهب إليه الزمخشري من إبدال الجملة من المفرد قد أجازته أبو الفتح ، واختاره ابن مالك . (١)

وهكذا يرفض الزمخشري اعتراضاً بصرياً على قراءة يضعفها إمام النحاة ، ويخرجها بما يتفق والأسلوب العربى الفصيح .

وقراءة حمزة فى قوله تعالى : " واتقوا الله الذى تسألون به ربكم

والأرحام " (٢) بجر الأرحام . قال عنها المبرد : " لا تحل القراءة

بها " (٣) مع أن هذه القراءة مروية عن أنخزبن مثل شريك بن عبد الله والأعمش وإبراهيم النخعي . (٤)

وسبب تضعيف هذه القراءة هو العطف على الضمير المخفوض ، وقد

وافق الزمخشري النحاة على هذا الضعف ، ولكنه فى تعبيره كان أكثر

لينا من المبرد الذى يحرم القراءة بها ، لكن الزمخشري يقول : "

وقراءة حمزة ، والأرحام بالجر ليست بالقوية " (٥)

فهو فى تعبيره هذا يجيز القراءة بها على ضعفها ولا يحرمها ثم

أنه لا يصرح بهذا الضعف تصريحاً .

وهكذا يتبين أن الزمخشري يجتهد فى أخذه بالقراءات أو ردها لها .

— اتجأه إلى معارضة القراءات :

تبين أن البصريين النحاة ، كانوا يقبلون من القراءات ما يوافق

(١) البحر المحيط ط : ٤٧

(٢) النساء آية ١

(٣) ابن يعقوب ٢ : ٧٨

(٤) المرجع السابق

مذهبهم الذي يغلب عليه القياس، والزمخشري ينهج نهجهم في ذلك ،
ولكنه يجتهد رأيه في نعتها بالخرابة ،أو الرداءة ،أو التعسف ،أو
اللحن ،أو عدم الفصاحة وإن كان لم يعبر عنها بالشذوذ .
وأحيانا ينسب الخطأ إلى نقلة القراءة لا إلى القراء أنفسهم .
ولعل الزمخشري كان صريحا واضحا في تعبيره في نعت القراءة
ببعض ما تقدم ،مما أثار عليه حفيظة بعض العلماء ،كأبي حيان النحوى
وهذه بعض النماذج التي أعلن رأيه . فيها صريحا :
ففي قوله تعالى : " فأمست قليلا ثم أضطره " يسوق قراءة ابن
محيسن " ثم أطره " بادغام نداء أضطره في طائه ثم يصفها بأنها لغة
مردولة . (١)

وعند قوله تعالى : " نخسف بهم " يقول بأنه قرئ بادغامها
في اللبأ " ، وهو ضعيف . (٢)

وقال في قوله تعالى : " ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي "
وقرئ بمصرخي ، بكسر اليا وهى ضعيفة . (٣)

وقال في قوله تعالى : " لا تقصص رؤياك على إخوتك " : وسمع
من الكسائي " رياك " بالادغام ، مع الراء وكسرهما وهى ضعيفة . (٤)
ومن القراءات التي طال نواها الجدل قراءة عبدالله بن عامر
اليحصبي " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم "
يرفع قتل ونصب أولاد ، وجر شركاء ، على إضافة القتل إلى الشركاء

(١)الكشاف الحلبي ٧٣:١

(٢)المفصل مع ابن بيشر ١٠:١٤٦

(٣)الكشاف ٥٥١:٢

(٤)الكشاف ٤٤٤:٢

والفصل بينهما بخير فصل بالظرف ، وهذا الفصل غير جائز في أصول

المذهب البصري . (١)

وقد أنكر الزمخشري هذه القراءة ، وقال فيها : أما قراءة ابن

عامر فشئ لو كان في مكان الضرورة لكان سمعا مردودا ، كما سمع ورد

• نج القلوص أبي مزادة . (٢)

ويتمدى أبو حيان للرد على الزمخشري بقوله : " وبـ التفات

الى قول الزمخشري ، وأعجب لحجتي ضعيف في النحو يرد على عزبي

صريح محض قراءة متواترة " .

ويشير استاذنا الدكتور ابراهيم رفيدة الى ما استنكر قراءة ابن

هذه من المتقدمين على الزمخشري مثل : الفراء ، والزجاج ، والنحاس

والطبري ، كما يؤكد أن قول الزمخشري ذلك أخذه من (معاني الفراء)

وان اختلف التعبير . (٣)

ولعل هجوم أبي حيان على الزمخشري كان تقايذا لشيخه ابن

المنير (٤) الذي وجه للزمخشري أشد النقد . (٥)

وكان اتهمه منبعا من ظنه أن القراءة عند الزمخشري تثبت بالرأى

لكـ الواقع أن هذا لم يصح عن الزمخشري ، بل هو ينسب الخطأ الى

قلة ضبط الرواة ، ويقول : ان سبب قلة الضبط ، هو قلة ضبط الدراية

وبـ يضبط مثل هذا ، أهل النحو . (٦)

(١) أنصاف ٢ : ٤٣١

(٢) الكشف ٢ : ٥٤

(٣) النحو وكتب التفسير ١ : ٧٦٥

(٤) المرجع السابق ١ : ٧٦٦

(٥) المرجع نفسه ١ : ٧٦٥

(٦) الكشف ١ : ٤٣٠

فليس هناك دليل لا يبين المنير على أن الزمخشري ثبت عنده

القراءة بالرأى .

وليس معنى هذا أن الزمخشري كان مقلدا للفراء أو غيره من

المتقدمين في نقد أية قراءة بل سبق في هذا المبحث أنه اجتهد

في تخريج قراءات تعرضت للنقد من جانب النحاة أنفسهم ، وأيده أبو

حيان في بعض آرائه تلك . (١)

شواهد بالحديث الشريف :

استشهد الزمخشري بالحديث الشريف في سبعة مواطن في مفصله

كما استشهد في غيره من كتبه الأخرى ، وهو بذلك يخالف أكثر من

سبقه من النحاة .

أما بعض النحاة من المتأخرين فإنهم يستشهدون بالحديث الشريف

وقد ادعى بعض الباحثين المحدثين أن أول من قال بالاستشهاد به

هو ابن خروف (ت ٦١٠) ثم من جاءوا بعده كإبن مالك (ت ٦٧٣)

وابن هشام (ت ٧٦١) . . . وغيرهم .

والحق أن الزمخشري ينبغي أن يوضح في أوائل من استشهدوا به .

(١) انظر من ٩٨ لمن هذا المبحث

بالحديث النبوي في اللغة والنحو فقد أفاد من الحديث في كثير من شواهد وأمثله ، وهو بذلك يخالف جمهور النحويين البصريين والكوفيين واليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

— جاء في الفصل أن حيَّهَل وحيَّهَل ، وحيَّهَلًا ، جاء معدى بنفسه ، وبالباء ، وبالي ، وبعلى ، وفي الحديث : " إذا ذكر الصالحون فحيَّهَل بعمر " (١)

— وفيه أيضا أن اسم التفضيل يفرد أو يطابق إذا أضيف إلى معرفة وأنه قد اجتمع الوجهان في قوله عليه الصلاة والسلام : " ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم مني مجلس يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم مني مجلس يوم القيامة ؟ أسوأكم أخلاقا ، الشرارون المتفهبون " (٢)

— وفي إضمار المصدر جاء في الفصل : ومن إضمار المصدر قولك عبد الله أظنه منطلقا ، تجعل الهاء ضمير الظن ، كأنك قلت : عبد الله أظن ظني . . منطلقا ، وما جاء في الدعوة المرفوعة " واجعله الوارث منا " محتمل عنده أن يوجه على هذا . (٣)

— وجاء فيه : وقد يشي الجمع على تأويل الجماعتين ، والفرقتين ، أنشد أبو زيد :

• لنا إبلان فيهما ما علمتم •

(١) الفصل مع ابن يحيى ٤ : ٤٥

(٢) المصدر السابق ٣ : ٧

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٢٣

- وفي الحديث : " مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين " (١)
- ومن استشهد به في اللغة ما جاء في المفصل من إبدال الواو المفتوحة همزة ، ومنه أحد أحد في الحديث ، أي وحد وحد . (٢)
- واستشهد في أحاجيه على إبدال الحرف من الحرف بقوله صلى الله عليه وسلم : " أنا أفصح العرب بيد أني من قریش " وميد أني . (٣)
- واستشهد بحديث النمر بن تولب إبدال بني طي لام التحريف (٤) ميعا في قوله صلى الله عليه وسلم " ليس من امير امصيام في امسفر "
- وفي أعجب العجب في قول الشاعر :
- فاما ترى كابتة الرمل ضاحيا على رقة أحفى ولا أتضل
- قال : ضاحيا ، بارزا ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " أنحنى لمن أحرمت له " (٥)
- وفيه أن نون (من) اذا دخلت على ما أوله همزة وصل ، وليس في المصاحبة للام التحريف كسرت ، فتقول : من ابنك بكسر النون وفي الحديث : " وشققت لها اسما من اسمي " (٦) بكسر نون من .
- وفيه أيضا المصبر : حبس النفس على الجزع وقد صبر فلان عند المصيبة ، ومبرته حبسته ، وفي " في رجل أمسك رجلا وقتله آخر " اقتلوا

(١) المفصل مع ابن يحيى ٤ : ١٥٣

(٢) المصدر السابق ١٠ : ١٤

(٣) الأحاجي النحوية ص ٢٦

(٤) المصدر السابق ص ٤٥ - المفصل مع ابن يحيى ١٠ : ٣٣

(٥) أعجب العجب ص ٥٧

(٦) المصدر السابق ص ٢٤

القاتل ، واصبروا الصابر " أئى احبسوا الذى حبسه حتى يموت * (١)

- وفيه يقول في شرح البيت :

هممت وهمت وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارط متمهل

الفارط : المتقدم ومنه قوله على الله عليه وسلم : " انا أفرطكم "

أب أنا متقدمكم لأصلح لكم - (٢)

- وفي الكشف ، إن جملة البسطة متعلقة بفعل محذوف تقديره أقرأ

لا باسم ، ويقدر الفعل مؤخرًا مناسبًا لما جعلت البسطة مبتدأ له ،

فيقدرياسم الله أقرأ ، باسم الله آكل ، باسم الله أرتحل ، ويؤيده الحديث

الشريف " باسمك ربى وضعت جنبي " (٣)

- وفي الكشف في قوله تعالى : " وأولو العلم قائمًا بالقسط لا

اله إلا هو العزيز الحكيم " (٤) يقرر أن المنتصب على المدح يكون معرف

معرفة ويكون نكرة معتمدا على الحديث الشريف " أنا معشر الأنبياء .

لا نورث " في كونه معرفة ، وعلى شاهد سيبويه - في كونه نكرة - حين أ

أنشد قول الهذلى :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعثاً مراضعَ مثلَ السَّعَالَى (٥)

لعل في هذه النماذج ما يكفي دليلاً على استشهاد الزمخشري

بالحديث الشريف على اللغة والنحو .

(١) أعجب العجب ص ٥٧ ، ٥٨

(٢) المصدر نفسه ص ٥١

(٣) الكشف ٢٢ : ١

(٤) آل عمران آية ١٨

(٥) الكشف ٤١٧ : ١

واستشهد باللغة من شعر ونثر .

استشهاده بالشعر :

واستشهد في مفضله بتسعة وخمسين وأربعمئة بيت من الشعر

منها سبعة عشر ومائتا بيت كاملة ، واثنان وأربعون ومائتا جزء من بيت

يقتصر فيها على موطن الاستشهاد .

فهو يأتي بصدر البيت أو بجزءه ، وقد يأتي بجزء من أحدهما أو

منهما معا ، فالأمثلة بصدر البيت أو عجزه تملأ الكتاب ، أما استشهاده

بجزء بيت فنحن قول الشاعر :

• عدت عليه بزويرا •

وهو جزء من عجز بيت للطرماح يستدل به على أن زوير اسم :

للكلية • (١)

ومن استشهاده بجزء بيت من الصدر قوله :

• أرسلها الحراك •

مثل به للحال وصاحبها • (٢)

ومن تمثله بجزء بيت مأخوذ من الصدر والعجز قول الشاعر :

• عواقد حبك النطاق •

استشهد به في أن اسم الفاعل يثنى ويجمع مصححا أو مكسرا

فيعمل عمل المفرد في نصب المفعول • (٣)

ونسب الزمخشري من شواهد كتابه الشعرية أربعة وستين ومائة

بيت لقائلها ، وسكت عن نسبة الباقي •

(١) المفصل مع ابن يحيى: ١، ٣٧، ٨١، ٢: ١١١ - ٣: ٢٥١٩، ٣٧

(٢) المصدر السابق ٢: ٦٢، ٤ - ٣: ٥٩، ١١٤

(٣) المصدر نفسه ٦: ٧٤

استشهاد به بالنثر :

واستشهد بالنثر الحرى من : روايات ، وأمثال ، وأقوال مشهورة

فمن تمثيله بالروايات :

فتح همزة (إن) في قوله تعالى "إِنَّ رِجْسَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ :

لخبير " اذ روى أن الحجاج فتح همزة "إِنْ" ، فاسقط اللام فقال : "أن
رِجْسَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خبير " (١)

وفي حذف ألف (أما) استدلال بكلام الهجرى بن كليب في حكاية

" أم وسيفي ، وزريه ، وريحى ونصليه ، وفرسى وأذنيه ، لا يدع

الرجل قاتل أبيه ، وهو ينظر إليه " (٢)

واستشهد على مجيء (لما) بمعنى (الآ) برواية عمر بن الخطاب

" عزمت عليك لما ضربت كائيك سوطا " (٣)

وفي قلب الف (ما) الاستفهامية هاء ، رواية أبى ذؤيب قال :

" قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبيكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام

فقلت به ؟ فقيل : هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

ومن استشهاد به بالأمثال :

مثل لفاعل فعل مضمر بقولهم : " لو ذات سنوار لطمتنى "

أى لو ثبت . (٥)

(١) المفصل مخ ابن يعشى ٨ : ١١٦

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٧٠

(٤) المفصل ٤ : ٦ - ١٠٣٩٦ : ٣ - ٥٤٣١ : ٩٨٤ - ٨ : ٧٨

(٥) المفصل ١ : ٨١

ومن أمثله في أفضل التفصيل : " أظن من ابن العذلق "

" وأحدش " شينة " (١) وقوله : " أشغل " ذات النحيين " و

" آبل من شيف الحناكم " (٢)

— ومن أمثله بالآقوال المشهورة :

استدل على التزام حذف الخبر بقولهم : " أكثر شرس الضيق

ملقوث " (٣)

ومن المصادر النصوية بأفعال مضمرة قولهم : " خير مقدم "

موايد عرقوب ، غضب الخيل على اللجم ، ، ، ، ، (٤)

وفي التحذير مثل يقولهم : " كل شيء وشيئ " شتيه " على

تقدير آت كل شيء " .

— وكان يفتشهم بكمم الحرب بالفصحاء شأنه في ذلك شأن

سائر النحاة ، كما كان يستأنس بها يسمعه من الأقرباء في زمن الوصول

إلى معنى أو إثبات حكم . فهو يستدل بكمم أعرابي حاضر حلقة قلعه

فيقول : انه كان يسمع من الحديث بكمة ، فسأل بعض السمعين هذا قول

ناقد غير -- رضى الله عنه عما إذا لقينا بعدك من الأبد ؟ فقال

أعرابي من وراء الحافة : الأبد القدير . (٥)

— ويذكر في الكتاب أن الحرب يسمون مركبا من مواكبيهم بالشدق

(١) الفصل مع ابن يمشي ٢ : ٩

(٢) المصدر السابق ٩٤ : ٦

(٣) المصدر نفسه ٩٥ : ١

(٤) الفصل ١١٣ : ٧

(٥) مقاما الزمخشري ص ١١١

وهو مركب خفيف ليس، رضى ثقل محامل العراق، فسأل رجلا في طريق الجلائف عن المحمل العراقي ما اسمه ؟ فقال له : أليس ذلك اسمه الشقذ ؟ قال : بلى . قال الرجل : هذا اسمه الشقذاف ، فأخذ من هذا أنه زاد في بناء الاسم لزيادة المسمى (١)

— واستأنس بأشعار بعض شعراء العربية من المولدين ممن لا يحتج بشعرهم من أمثال : أبو تمام ، والمتنبى ، والبحتري ، بحيث يبدو ذلك سمة بارزة في مصنفاته .

فقد تمثل في غير موضع من كتبه لأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي وأبي الطيب المتنبى وقد فسر بعض الدارسين هذا الموقف من الزمخشري بأنه متابعة منه لموقف سابق لأبي على الفارسي حين احتج ببيت للمتنبى مجاملة لسيف الدولة ، هو قوله :

من كان مرعى عزمه وهموه روى الأمانى لم يزل مهزولا (٢)
ولعل الصحيح أن أبا على ذكر هذا البيت من باب التمثيل ، لا من باب الاحتجاج . (٣)

واستشهد الزمخشري ببيت لأبي فراس الحمداني هو قوله :
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أشاطرك الهموم تعالى
وقد لحن الشاعر في قوله : تعالى (تعالى) بالكسر ، ولكن ذكرنا
السجاعي في حاشيته على قطر الندى أن هذا التلحين لم يرتضه
الزمخشري ، وليس مراد الزمخشري الاستدلال على الكسر بهذا الشعر ،

(١) الكشف ١ : ٤١

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٦٢

(٣) أصول التفكير النحوى ص ١٢٨

لأنه لمولد لا من كلام العرب بل للاستثناس فاندفع ما اعترض به عليه . (١)

ف رأى الزمخشري أن شعر المولدين من أمثال أبي تمام (ت ٢٣١ ص ٤)

لا يستشهد به في اللغة والنحو لاشتراط الفصاحة وسلاسة السليقة ، ولكنه يرى

أن التمثيل بكلامهم للثقة فيهم بحفتهم علماء من علماء العربية ورواة

الشعر فيجعل ما يقولونه بمنزلة ما يروونه .

فيقول عن شعر أبي تمام ' : " وهو وإن كان محدثا لا يستشهد

بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما

يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ،

فيكتفون بذلك لوثوقهم بروايته و وثاقه ؟ " (٢)

فهو بهذا لا يخرج عن الخط الذي رسمه علماء العربية في الاستشهاد

وما تمثيله واستشهاده إلا عن رأي ، وإدراك بما عليه هؤلاء العلماء .

ويتبين من قوله السابق : الدليل عليه بيت الحماسة . . إلى آخره أنه

يأتى بكلام المولدين للتمثيل لا للاستشهاد ، فهو يوضح بذلك قاعدة

مستقرة .

(١) حاشية السجاني على قطر الندى ص ١٦

(٢) الكشف ١ : ٨٦

خصائص أسلوبه

الخصائص الأسلوبية جزء من المنهج ،ولهذا تناولتها في هذا المبحث الموطن .، والملاحظ على أسلوب الزمخشري هو مجارة علماء عصره ،الذين يغلب عليهم المحسنات المتكلفة من سجع وجناس وطباق ومقابلة " ، والسجع والسجع بخاصة يقدم به أكثر كتب سواء كانت لغوية أم أدبية ،وهناك من كتبه ما قام على السجع مثل الأحاجي النحوية والمقامات ونوايح الكلم وأطواق الذهب .

والسجع بدأ يحتل مكانته بين الأدباء والكتاب منذ القرن الثالث ثم أخذ يفقد مكانته قليلا قليلا مما دفع الزمخشري نفسه أن يبدى ملاحظته على السجع في مقدمة كتابه (المقامات) إذ يقول : " لتعلم أن ما .. سواه الناس البديع من تحسين الألفاظ ،وتزيينها بطلب الطباق فيها والتجنيس ، والتسجيع والترصيع ، لا يملح ولا يبرع حتى يوازي مصنوعه .. مطبوعه ،والأفما قلق في أماكنه ،ونبا عن مواقعه ،فمنبذ بالعراء ، مرفوض عند الخطباء والشعراء " (١)

فهو يمتنع الصنعة في الأسلوب ،ويحاول أن يجعل سجعه كالمطبوع وإن لم يكن دائما على هذا السمت وسأعرض بعض أساليبه مبتدئا ببعض مقدمات كتبه ،ثم أقدم نماذج من كتبه المختلفة ليتضح مدى محافظته على المحسنات المطبوعة .

— يقول في مقدمة الفصل : " الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية ،وجبلني على الغنى للعرب والعصية ،وأبى لي أن

(١)

أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وأنحاز " .

— وفي مقدمة أعجب العجب يقول : " سبحانك اللهم وبحمدك مغرب

الافهام بقيد الأفهام ، مرشح جواهر البيان بقيد التبيان لا الاعجام مطلع

كنوز القرآن العظيم ، بفهم الحرية والبيان العميم تنزه عموم صفاتك عن

الحال والتمييز ، وتقديس كنه جلالك عن الادراك بل إلى التعجيز " .

— ويقول : هذه نكتة قذفتها خواطر خاطري ، وفائدة جردتها .

نواظر ناظري ، وعقد توسط بين درر الجواهر ، وروى ، تبسم بين الز

الزهور النواظر ٠٠٠ (٣)

من هذه النماذج يبدو لنا ما عليه الزمخشري من تكلف في

المحسنات ، فهو بادی التكلف في قوله : " خاطر خاطري ، ونواظر ناظري

ناظري " ، ولعل في قوله أمتاز وأنحاز قبولاً أكثر .

ويلاحظ في معظم مقدمات كتبه وجود هذا النوع من السجع .

أما كتبه الأخرى فمنها :

— يقول في كتابه الأحاجي : " أخبرني عن واحد في معنى اثنين

وعن حركة في حكم حركتين " ويقول : " أخبرني عن فصل ليس بين

المعرفتين فاصلاً ، وعن رب على المعرفة داخلاً " و " أخبرني عما ينصب

ويجر وهو رفع وعما تدخله التثنية وهو جمع " (٤)

فسجعه هنا يكاد يكون طعم ما في الألغاز ، وإن كان فيه

شيء من الثقل .

(١) المفصل مع ابن يعيش ٢ : ١

(٢) أعجب العجب المقدمة ص ١٠

(٣) المصدر السابق

(٤) الأحاجي : مسألة ٨ ، ١٠ ، ١١

— وفي مقامة العمل يقول : " يا أبا القاسم : لا تسمع لقولهم فضل
صين ، وأدب عتين ، واسم في المهارة بهما شهير ، وصيت في أكفائهما
جهير " (١)

— وفي مقامة النحو : " يا أبا القاسم : أعجزت أن تكون مثل همزة
الاستفهام إذ اتخذت عنها ضيفها في الكلام ، ليتك شبهتها متقدما في
الخبر مع المتقدمين ، ولم تشبه في تأخره حرف التأنيث والتثوين " و
يقول : " اثبت على دين الحق الذي لا يتبدل ولا يحول هبات
الحركة البنائية التي لا تزول " (٢)

— ومن كتابه نوابغ الكلم :
وكل هذا الكتاب يقوم على الحكم المسجومة *
يقول فيه : " اذا قلت الأنصار كلت الأبطال " و " قد جمع الأصل
والفرع من تبع العقل والشرع " و " رب صدقة من بين فكيك خير من
صدقة من بطن فكيك " و " رب كلمة هي عند الناس فضيحة وهي عند
الله فضيحة " و : " لا تمش بالريبة مهينما ، ولا تنس أن عليك مهينما " (٣)
— ومن كتابه أطواق الذهب يقول : " يا بن آدم أصلك من صلصال
كالفخار ، وفيك ما لا يسمعك من التيه والافتخار ، تارة بالأدب والجد
وتارة بالأب والجد ما أولاك بالآ تصغر خديك ، ولا تفتخر بجديك ،
تبصر خليلي مم مركبك ، وإلام منقلبك ، فحققر من غلواذك ، واخل بعض
خيلاؤك " (٤)

فالحكم التي صاغها في هذين الكتابين هي في سجعها :
وحسناتها أخرى من سواها بالقبول .

(١) مقامات الزمخشري ص ١٠٨

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥

(٣) الزمخشري ص ٢٧٩

(٤) المرجع السابق ص ٢٨١

الإيجاز :

ويظهر الإيجاز في أسلوب الزمخشري واضحا في التعريفات ، فهو

يعرف الاسم مثلا بقوله : " هو ما عُلّق على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه " وهذه طبيعته التعليمية .

ثم يكتفى بشرحه عن طريق التمثيل كقوله : " ولا يخلو من أن يكون

اسما كزيد وجعفر ، أو كنية كأبي عمرو وأم كلثوم ، أو لقبا كبطة وقفه " .

ودون توضيح لشيء منها يقسمه إلى مفرد ومركب ومنقول ومرتل ، ثم

يمثل لذلك . ويسير على هذا النمط حتى آخر الكتاب . (١)

ومن إيجازه الدخول في الموضوع دون تعريف أحيانا كما يقول في

البدل : " هو ظلي أربعة أضرب : بدل الكل كقوله تعالى : " اهدنا " .

المصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم " وبدل البعض من الكل ،

كقوله رأيت قومك أكثرهم وثلثيهم " (٢)

وقد تدفعه شدة الاختصار إلى بعض الخوض كحديثه عن الجملة في

الحالية ، إذ يقول حين يقسمها إلى اسمية وحالية : " إما أن يكون فعلها

مضارعا أو ماضيا ، فإن كان مضارعا ، لم يخل من أن يكون مثبتا أو منقيا

فالمثبت من غير واو ، وقد جاء في المنفي الأمان ، وكذلك في الماضي ،

ولا بد معه من " قد ظاهرة أو مقدرة " (٤)

(١) الفصل مع ابن يحيى ، ١ : ٢٧ ، ١٢٤ - ٢ : ٥٥ ، ٧٥ - ٣ : ٣٨ ، ٣٩

(٢) الفاتحة آية ٦

(٣) الفصل مع ابن يحيى ٣ : ٤٦

(٤) الفصل ٢ : ٦٥

فهو يقرر بذلك مجموعة من القواعد المختلطة دون أن يأتي لها

بمثال واحد .

والملاحظ أن إيجازه يدفعه إلى عدم الاهتمام باخراج المحترزات

بل يترك التعريف على طبيعته دون قيد .

الاجمال ثم التفصيل :

في كل أبواب الفصل كان يسرد الفصول مجلة ثم يأخذ في

التفصيل فصلا فصلا ، أو موضوعا موضوعا ، حسب مسرده السابق فهو

يذكر المبنيات مجلة في قوله : " المضمات ، وأسماء الشارة ، والموصولات ،

وأسماء الأفعال ، والأصوات وبعض الظروف ، والمركبات والكنيات . . . " (١)

ثم يأخذ في التفصيل على الترتيب نفسه فيبدأ بالمضمات ، ويليهما

الإشارة . . . وييسر عليها مرتبة كما بدأنا على طريقة الف الف راجع

والنشر المرتب .

(٢)

— ويقول عن العلم : " هو ينقسم إلى مفرد ومركب ، ومنقول ومرتل

ثم يذكر المفرد ، فالمركب ، فالمنقول ، فالمرتل .

— وهو عند تقسيم الجنس إلى أنواعه ، يذكر جميع الأنواع ، ثم يشرع

في شرحها والتمثيل لها على الترتيب السابق وإن دل غذا على شيء

فإنما يدل على دقة فكرة وترتيبه .

(١) الفصل مع ابن يعين ٣ : ٨٣

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٧

الإطناب في أسلوب الزمخشري :

إذا كان أسلوبه في المفصل يتسم بالإيجاز ، فقلعه على عكس ذلك في الكشف .

فمن وجوه إطنابه ما يلجأ إليه من تقرير المسائل على وجه المحاوراة في صيغة سائل ومجيب ، فمن أمثلة ذلك :

— يقول في قوله تعالى : " الم "

فان قلت : من أى قبيل هي ، من الأسماء المعربة أم المبنية ؟
قلت : بل هي أسماء معربة .

فان قلت : فلم لفظ المتهجى بما آخره ألف منها مقصوراً فلما أعرب مد فقال هذه باء ، ويا ، وهاء ؟ وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك (لا) مقصورة ، فإذا جعلتها اسماً مددت فقلت : كتبت لا ؟
قلت : هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل .

فان قلت : قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم ، وأنها من قبيل المعربة ، وأن سكون اعجازها عند الهجاء لأصل الوقف فلما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور ؟

(١)
قلت : فيه أوجه ثم أخذ يفصل هذه الأوجه ويناقشها وجهاً وجهاً .

(٢)
ويقول في قوله تعالى : " فلما أضأت ما حوله ذهب الله بنورهم " فان قلت : هل قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضأت ؟
قلت : ذكر النور أبلغ ، لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة .

قلو : ذُهب الله بضوئهم ، لا ونم الذهب بالزيادة ، وبقاء ما
يسمى نورا ، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ، ألا ترى كيف
ذكر عقيبه " وتركهم فى ظلمات " (١) والظلمة عبارة عن عدم النور
وانطامسه (٢) .

فلنلاحظ فى أسلوبه هذا أنه أسلوب تقريرى تعليمى وفيه توسع فى
شرح المفردات ، ويتعرض للكلمة من حيث المعنى ، والقراءة ويلجأ الى
اشتقاقها وردّها الى أصلها .

— وفى مقاماته : " وان تكرر على مسامعها السور التى تتروّع وتروّع
والآيات التى تقرّع وتقدّع " (٣)

يقول فى شرح هذا القول : القدع الكف . يقال قدع فرسه باللجام
إذا كبّحه ، وقدع الرجل : كفّه عن مراده . وإذا هم الفحل الذى ليس
بنجيب أن يقرّع نجيبة قدع أنفه بالعصى ليكف عنها فمن ثم قالوا
للخاطب الشريف هو الفحل الذى لا يقدّع أنفه .

ويروى أن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، أبا خديجة
— رضى الله عنها — أفاق من سكره ، فرأى أثر العرس ، فقال : ما هذا
الخير وما هذا العبير ، وما هذا البقير ؟ فقيل : إن محمداً بن عبد الله
— صلى الله عليه وسلم — خطب خديجة . فقال : ذلك فحل لا يقدّع
ومن الاستعارة قولهم قدع الخمسين سنة إذا جاوزها . (٤)

(١) البقرة آية ١٧

(٢) الكشف ٢ : ٢٦٠

(٣) الكشف ٣ : ١٢٤

(٤) الزمخشري : لباب اللغة ص ٢٥

فمن جملة ما تقدم ، نرى أنه يلون أسلوبه من نحو وصرف . ولغة
وبلاغة حتى أنه يعرض لبعض الحكايات إذا كانت توضح معنى يؤيد رأيه
— وأحيانا يوغل في الاطناب بل يستطرد في دروب شتى :
يقول في تفسير قوله تعالى : " أن لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار " (١) الجنة البستان من النخل ، والشجر المتكاثف المظلل
بالتفاف أغصانه ، قال زهير :

• تسقى جنة سحقا •

أى : نخلا طوالا ، والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها
وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر الجن إذا ستره ، كأنها
سرة واحدة لفرط التفافها ، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من
الجنان •

فان قلت : ما معنى جمع الجنة هذه وتكثيرها ؟

قلت : الجنة اسم لدار الثواب كلها ، وهى مشتقة على جنان كثيرة
مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين ، لكل طبقة منهم جنات من
تلك الجنان • ثم يستطرد في الحديث حول الجنة ووجودها ودرجاتها •
(٢)
— وفى مقامه الخشية يشرح قوله " الطلأ يرحمى بيضته ويرفرف عليها "
ضرب مثلا لمن يذب من الانسان عن حوزته ، وحقيقته ، فيقال :
فلان يرحمى بيضته ، ولو قيل فلان يرفرف بجناحه على بيضة الاسلام لكان
مجازا مرشحا •

(١) البقرة آية ٢٥

(٢) الكشف ١ : ٢٥٧

وفي قوله : " أذل من بيضة البلد " يقول : هي بيضة النحامة

وأضيفت إلى البلد وهي المفاوة لأنها تباخر فيها ، وأنها تتركها
فتحضرها أخرى فعلمنا كانت متروكة من ناحية ، محضونة من أخرى وصفت
بالعزة والذلة فقليل :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان قدما يسمى بيضة البلد
والقاتل أخت عمر بن ود : هي علي - رضي الله عنه - وقتله

أخاها وقيل أن أبا فضلة ليس من أحد أهل أباه ، فهو بيضة البلد .
وقيل المراد بالبيضة التي هي مثل في الذل : الكمأة البيضاء ،

(١)

لأن الأرض تبيضها ، أو تشبيها بالبيضة في قولهم : أذل من فقع بققر -
ومن سمات الاطناب في أسلوب الزمخشري ، تغليب الجملة على ما :

تحتمله من أوجه فلا يكتفى فيها بوجه واحد ، ولم يكن هو أول من قلب
الكلام على ما يحتمل من وجوه ولكن : بالغ في ذلك حتى صار سمة
بارزة في دراساته بحيث يمكن أن يعد هذا من خصائص أسلوبه .

(٢)

من ذلك ما جاء في قوله تعالى : " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " .
حين يقول : فإن قلت : أخبرني عن تأليف (ذلك الكتاب) مع

(ألم) . قلت : إن جعلت (ألم) اسما للسورة ففي التأليف وجوه :

أن يكون (ألم) مبتدأ ، وذلك مبتدأ ثانيا ، والكتاب خبره والجملة
خبر المبتدأ الأول .

(١) شرح مقامات الزمخشري ص ١٥

(٢) البقرة آية ١

ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما عداه من الكتب
 في مقابله ناقص ، وأنه الذي يستأجل أن يسمى كتابا ، كما تقول : هو
 الرجل أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مميزات
 الخصال ، وكما قيل :

• هم القوم كل ا لقم يافهم خالد •

وأن يكون الكتاب صفة ، ومعناه ، هو ذلك الكتاب الموعود ، وأن يكون
 (الم) خبر مبتدأ محذوف أى هذا (الم) ويكون (ذلك) خبرا ثانيا أو
 بدلا ، على أن الكتاب صفة ، وأن يكون هذه (الم) جملة وذلك الكتاب
 جملة أخرى •

وان جعلت (الم) بمنزلة الصوت ، كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب ،
 أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل • أو الكتاب صفة والخبر ما يـ
 بعده ، وقدر مبتدأ محذوفا أى هو — يعنى المؤلف من هذه الحروف —
 ذلك الكتاب • (١)

المساواة :

وكما أن فى أسلوب الزمخشري الإيجاز حتى الإخلال فى بعض الأحيان
 المناطق ، والاطناب حتى الاستطراد فى مناطق أخرى ، فأننا نلمس فى
 أسلوبه المساواة ، فمن ذلك :

(٢)

— يقول فى قوله تعالى : " تكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر "

المعتر : المعترض . بغير سوأل ، القانع الراضى بما عنده ،

وبما يحطى من غير سؤال من قمت قنعا وقناعة *

والمعتر : المعترض بسؤال ، وقرأ الحسن المحترى ، وعرى الشىء

وعراه واعتراه ، بمعنى *

(١)

وقرأ أبو رجاء القنع وهو الرامى لا غير ، يقال قنع فهو قنع وقانع *

— وفي قوله تعالى : " ذهب الله بنورهم " (٢)

يقول : الفرق بين أذهب وأذهب به أن معنى أذهب أزاله

وجعله ذاهبا ، ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه ، وذهب

السلطان بماله أخذه — فلما ذهبوا به — ، أذن لذهب كل إله بما

خلق — ومنه ذهبت به الخيلاء ، والمعنى : أخذ الله نورهم وأمسكه

وما يمسك الله فلا مرسل له ، فهو أبلغ من الأذهاب * (٣)

— وفي مقامة الارعوا ، يقول : الرنو ، دوام النظر ، ومنه كأس رنونه

دائمة الدور ، وعين رانية ، وعيون روان ، والوقف باثبات الياء فيما

لا ينون كالوقف بحدفها فيما ينون ، أعنى أن الفصيح هذا القاضى ،

وهذا قاضى * (٤)

(١) الكشف ٣ : ١٥

(٢) البقرة آية ١٧

(٣) الكشف ٣ : ٥٤

(٤) مقامات الزمخشري ص ٢٤

مأخذ على الزمخشري

لا ينكر أحد فضل الزمخشري على اللغة والأدب ، وعلوم الدين ، وقد

أثنى عليه الكثير من العلماء * ولا يعنى هذا أنه يخلو من بعض المآخذ

التي ينبغي يتعرّض لها جلة العلماء ، وإذا كثرت لاحظت بعض المآخذ

حسب اجتهادى ، فهذا ليس معناه الإقلال من الدرجة العلمية السامقة

التي يتمتع بها ذلك الامام .

فما أخذ على الزمخشري ما يأتي :

— هو لا يتابع بعض النصوص الشعرية المتأكد من عدم وقوع تحريف

فيها ، ولعله إلى جانب هذا قد اختلط عليه ترتيب النظم فى بعض :

الآبيات ، وهذا فضلا عن نسبة بعض الآبيات لغير قائلها ، وهذا المآخذ

يوجد عند الكثيرين من العلماء ، لذا نجد للبيت الواحد أحيانا أكثر من

نسبة .

— أما بعض الآبيات التي ذكر بها بعض التحريف فى مفصله فممنها :

قول النابغة الجعدي :

• ألا أبلغا ليلى وقولا لها هلا . (١)

وابن يحيى يقول : • ألا حيا . . .

— وقول لبدي :

• فأصبت أنى تأتها ثلثين بها . (٢)

وقال الشارح : فأصبت أنى تأتها تشتجر بها .

(١) المفصل مع ابن يحيى ٤٧ : ٤

(٢) المصدر السابق ١٠٩ : ٤

وقول الحباس بن مرداس :

(١)

إذا ما دخلت على الرسول فقل له حقاً عليك إذا اطمأن المجلس

وقال الشارح : والصواب إذا ما أثبت ...

وقول الأسود بن يحيى :

(٢)

وقبلى مات الخالدان كلاهما عميد بنى حجون وابن المضلل

قال الشارح : والصواب ، قبلى مات ...

وقول طرفة :

أبنى لبني لستم بيد ألا ينوا ليست لها عضد (٣)

قال ابن يحيى : يا بني لبني لستم لأب *

— وما اختلط عليه : ترتيب النظم فيه بيت الجميع *

حاشا أبي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشم
فرداه الشارح وقال إن في البهت تخليط ، وذلك أنه ركب صدره

على عجز غيره * وترتيبه مع البيت الذي بعده :

حاشا أبي ثوبان إن أبا قاهوس ليس ببكمة قدم

عمرو بن عبدالله إن به فمنا على الملحاة والشم (٤)

— ومن الأبيات التي لم ينسبها قول الشاعر :

جواد بنى يار تسامى على كان المسومة العراب (٥)

(١) المفصل ٤ : ٩٧

(٢) المصدر السابق ٢ : ٤٦

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٩

(٤) المفصل ٧ : ٩٨

(٥) المرجع السابق

وقوله :

• كَانَ ظَبِيَّةً تَعْطُونَ لِي نَاضِرَ السَّلَامِ • (١)

وقوله :

(٢)

وَكَيْفَ لَنَا بِالشَّرْبِ إِنْ لَمْ يَأْنِ لَنَا دِرَاهِمٌ عِنْدَ الْحَانُوتِ وَلَا نَقْدٌ

ومما نسبته من الشعر إلى غير قائله :

لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ ذَوْجُ دُ • بِمِشْمَخِرٍ بِهِ الظِّيَانُ وَالْأَسْ (٣)

فقد نسبته الزمخشري لعبد نافع الهذلي •

ولكنه ورد في أشعار الهذليين • (٤) لمالك بن خالد الخناعي

ببعض، بالتخدير • في صدره وهو

يَأْمُرُ لَنْ يَعْجِزَ الْآيَامُ ذَوْ دُ • بِمِشْمَخِرٍ •••

وقول الشاعر :

فَقُلْتُ ادْعُنِي وَأَدْعُو إِنْ أَتَيْتُ لَصُوتُ أَنْ يَنَادِيَ دَاعِيَانِ (٥)

نسبته الزمخشري لربيعة بن جشم، وقال الشارح : هو للأعشى

والصحيح أنه لمذثار بن • يان النمرى إذ يحارص الحطيئة لهجاء

الزبرقان لما حبسه • الحطيئة • عمر • (٦) وكذلك نسبة الزبيدي في

تاج الخروس لمذثار النمرى • (٧)

(١) المفصل ٨ : ٨٢

(٢) المصدر السابق ٥ : ١٥١

(٣) المفصل ٩٥٩ : ١٨

(٤) أبو سعيد السكري : شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٣٩

(٥) المقصل ٧ : ٤٣

(٦) السيوطي : شرح شواهد فخري اللبيب ص ٨٢٧

(٧) تاج الخروس مادة (ندى)

وقول الراجز :

• سرهفته ما شئت من سرهف (١)

نسبه الزمخشري لروثة بن الحجاج ، وقال ابن يعيش هو للحجاج

أبى روثبة ، وكذلك نسبه الزبيدي في تاج العروس للحجاج • (٢)

وقول الشاعر :

(٣)

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوى

نسبه الزمخشري ليزيد بن أم الحكم ، ونسبه الشارح للثقفى ،

— وهاكم بعض المآخذ الأخرى :

— قال في تعريف المبتدأ والخبر : " هما الاسمان المجردان للاسناد

نحو زيد مطلق ... " (٤)

بهذا اختصر في الخبر على كونه اسما مع أن الخبر قد يكون جملة

أو شبه جملة • ثم جعل المبتدأ والخبر على حد واحد في التحريف ،

والواقع أنهما مختلفان فلا يجمعهما حد •

وذكر أن المراد بالتجريد اختلاؤهما من العوامل • وكان ينبغي أن

يفيد بأن ذلك التجريد يكون من العوامل غير الزائدة لأنه قد تدخل

عليهما عوامل زائدة ، نحو : هل من رجل في الدار ، وبحسبك درهم •

وفى الأشمونى : أن المبتدأ هو الاسم العارى عن العوامل اللفظية غير

الزائدة مخبر عنه ، أو وصفا رافعا لمستغنى به • (٥)

(١) المفصل ٦ : ٤٧٤

(٢) تاج العروس مادة (سرهف)

(٣) المفصل ٣ : ١١٨

(٤) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٣

(٥) الأشمونى ١ : ١٨٨ — شرح الكافية للرضى ١ : ١١

والخبر : هو الجزء المتم الفائدة مع مبتدأ غير الوصف المذكور . (١)
فهذه العبارة أوضح من عبارة الزمخشري *

وقى شرح مراده بالتجريد قال : " والمراد بالتجريد خبرُهُما من
الحوامل التي هي : كان وا^١ وحسب^٢ وأخواتها ، "نُهما إذا لم يخلوا
منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع . . . " (٢)
ففى هذه العبارة غموض إذا لم يكن هناك خطأ مطبعى ، وهو قوله :
"نُهما إذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع " .
والمعقول أن يكون النص (إذا لم يخلوا منها غصبتهما على الرفع
مرة أو النصب أخرى * .

وهذا رأى لم يحرف "أحد من النحاة" ، اللهم إلا إذا كان الزمخشري
قال هذا بوحى من رأى الكوفى القائل فى آن رافع الفعل المضارع هو
تجرده من الناصب والجازا * .
— وذكر أنه قد يقع المبتدأ والخبر مرفعتين معا كقولك : زيد المنطلق
والله الهنا ، ومحمد نبينا ، ومنه أنت أنت ، وقول أبى النجم :
* أنا أبو النجم وشعرى شعرى * .

وأي يجوز تقديم الخبر ههنا ، بل أيهما قدمت فهو المبتدأ * . (٣)
وواضح أنه يجوز تقديم الخبر عند أمن اللبس نحو : أبو حنيفة
أبو يوسف ، ونحو قول الشاعر :
بنونا بنو أبنائنا ومئاتنا بنوهن أبناء الرجال أباعد (٤)
وهو لم ينبه على ذلك * .

(١) الشمونى ١٩٤: ١ — الهج ٩٣: ١

(٢) المفصل ٨٣: ١

(٣) المفصل ٩٨: ١

(٤) الشمونى ٢١٠: ١ — ابن عقيل ١٥٣: ١

- وقال في تصريف الاسم المحرب : " هو ما اختلف آخره باختلاف العوامل لفظاً — بحركة أو حرف — أو محلاً " ، واختلفه محلاً في نحو :
 العصا وسعدى ، والقاضي في حالت الرفع والجرح ، وهو في النصب كالضارب " (١)
 ولم يذكر في الاعراب التقديري المضاف إلى يا المتكلم — وهو عنده مبني — ولم يذكر المحكى كالمركبات الاسنادية ونحوها .
 وقال في المحرب : " واختلفه لفظاً في ثلاثة مواضع في الاسماء الستة مضافة " (٢)

- ولم يستوف شروطها ، وقد ذكرها النخاعة بأنها : مفردة ، مكبرة مضافة للغير يا المتكلم ، وشرط ذو أن تضاف لاسم جنس .
 — لم يعرف الزمخشري المنادى (٣) وقد عرفه النخاعة غيره وقيل ان جار الله لم يحده لظهوره لا لاشكاله .
 والملاحظ أن جار الله لم يسر في مادته على نمط واحد ، فهو يقوم بتصريف بعض الموضوعات ، والتخلي عن بعضها الآخر ، وهذا الاسلوب تكرر في مفضله .
 — وذكر أن المنادى ينتصب محلاً إذا كان مفرداً معرفة مثل : يا زيد ، يا غلام ، يا أيها الرجل ، أو داخلاً عليه لام الاستغاثة أو التحجب . (٤)
 فهو في تمثيله لم يفرق بين المفرد الخلم (كزيد) وبين النكرة (كغلام) والمعلوم أن كلمة غلام قبل دخول النداء عليها كانت مفرداً نكرة ،

(١) ابن يعيش على شرح المفصل ١ : ٥٥

(٢) المفصل ١ : ٥٥

(٣) المفصل ١ : ١٢٧

(٤) المفصل ١ : ١٢٨

فلم تدخل تحت المقرد المعرفة إلا بالنداء ، عكس زبيد فهو مقرد معرفة قبل دخول حرف النداء عليه .

ومن ناحية أخرى نجد الاسم العلم يختلف في أسلوب النداء عن المصرف بالألف واللام فالأول يدخل عليه حرف النداء مباشرة ، والمصرف (بـ بـ) لا ينادى إلا بواسطة (أى) . لذا كان ينبغى له أن يدخل هذا فى اعتباره .

— بعد أن سرد الزمخشري بعض أمثلة التحذير قال : " ومنه (١)
مرحبا وأهلا وسهلا ، أى أصبت رحبا لا ضيقا وأنتيت أهلا لا أجنب " وهذا إغراء لا تحذير .

وكرر هذا الخلط مرة أخرى فقال : " ويقولون الأسد الأسد ، والجدار الجدار إذا حذروه الأسد والجدار المتداعى . . . ومنه أخاك أخاك أى الزمه " (٢) وكأنه بذلك لا يفرق بين التحذير والإغراء ، أو كأنه لا يحترف بالإغراء فى لغة العرب .

— ذكر أن الرفع علم الفاعلية ، وجعل المرفوعات الأخرى ملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب ، ولم يذكر منها نائب الفاعل ، والمشهور أنه منها . (٣)

وقال فى اسم الفاعل إنه يشترط فيه ، أن يعتمد على مبتدأ أو موصوف ، أو ذى حال ، أو حرف نفي . (٤) ولم يذكر حرف النداء نحو :
يا طالها جبلا .

(١) المفصل ٢ : ٢٨

(٢) المصدر السابق ٢ : ٢٩

(٣) المصدر نفسه ١ : ٧١

(٤) المفصل ٦ : ٧٨

- وذكر أنه إذا اجتمع للرجل اسم غير مضاف ولقب ، أضيف اسمه الى لقبه ، فقيل : سعيد كرز ، وقيس قفة ، وزيد بطة .
- وإذا كان مضافا أو كنية ، أجزى اللقب على الاسم ، فقيل : هذا . . .
- عبد الله بطة ، وهذا أبو زيد قفة . (١) ولم يذكر أنه يجوز مع ذلك القطع الى الرفع أو النصب . (٢)
- وقال في إضافة الاسم إلى المسمى ، وقول ذي الرمة :
- داع يناديه باسم الماء مبخوم . (٣)
- وهذا الشاهد فيه التباس ، وهو أن (الماء) هنا يوحى بماء محيّن ولكن المقصود به في الشاهد الخمر ، وكان ينبغي تجنبه أو توضيحه .
- وكذلك عرّض القارئ لنفس الالتباس عند حذف الخبر في قول المقيس :
- إذ قال الخميس نعم . (٤)
- فالمقصود بالنعم هنا الابل ، ولكن اللفظ يوحى بالإيجاب وهو قول المجيب نعم ، ولم ينبه على ذلك .
- في نصب الفعل المضارع : ذكر أنه ينصب بأن مضمرة بعد خمسة أحرف وهي : حتى ، واللام ، وأر بمعنى إلى ، وواو الجفع ، والفاء في جواب الأشياء الستة . (٥) ولم يذكر ثم في قول الشاعر :
- انى وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
- في قوله تعالى : " والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما " (٦)
- نقل الزمخشري عن سيويه أن عيسى بن عمر قرأ بالنصب وفعلها

(١) المفصل ١ : ٣٣

(٢) ابن عثيل ١ : ١٠٧

(٣) المفصل ٣ : ١٣

(٤) ابن عثيل على المفصل ١ : ٤٦

(٥) المصدر السابق ٧ : ١٨

(٦) المائدة آية ٣٨

على قراءة العامة لأجل الأمر ، لا زيدا فأعزبه أحسن من (زيد فالحرية)
ورد ابن المنير أنه نقل عن سيبويه خطأ ويبرئ سيبويه من هذا

النقل ، ثم يورد كلام سيبويه في باب (الأمر والنهي) بعد أن ذكر
المواضع التي يختار فيها النصب (٢) وملخصه :

هو أن النصب على وجه واحد ، وهو بناء الاسم على فعل الأمر
والرفع على وجهين :

أحدهما ضعيف ، وهو الابتداء ، وبناء الكلام على الفعل .

والآخر قوى بالغ كوجه النصب ، وهو رفعه على خير ابتداء ، محذوف

دل عليه السياق وحيثما تعارض وجهان في الرفع ، أحدهما قوى والآخر

ضعيف تعين حمل القراءة على القوى كما أعزبه سيبويه .

ومع أن الامام الزمخشري شديد التحري في النقل عن العلماء فلهذه

قد التبس عليه ما يقصده سيبويه إمام النحاة

— وقال في قوله تعالى : " أتأتون الذكران من العالمين وتذرون

ما خلق لكم رُبكم من أزواجكم " (٣)

يحتمل أن يكون قوله (من أزواجكم) بيانا لما خلق ، وأن يكون

للتبعية ، ويراد به العضو المباح (٤) .

ورد ابن المنير قائلا : وقد أشار الزمخشري للاستدلال على خطأ

اثنين المرأة من غير المأثني ويرد عليه بأن (من) لو كانت بيانا لكان المصنوع

على ذمهم بترك الأزواج واثنين الذكران ، لا أن ترك الأزواج وحده منكر .

(١) الكشف ١ : ٦١٠

(٢) المصدر السابق

(٣) هود آية ٨٠

(٤) الكشف ٣ : ١٢٤

ويرى حمل (من) على التبعيض فيكون المنكر عليهم أمران ، كل واحد

منهما مستقل بالافكار :

أحدهما : إتيان الذكران •

والثاني : عدم إتيان النساء في المأتي رغبة في إتيانهن في غيره ،

وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع ، واستقلال كل واحد • (١)

وأشارة ابن المنير إلى كون (من) تبعيضية أدق من جعلها بيانية في

تفسير الزمخشري لشمولها المعنيين اللذين ذكرهما ابن المنير •

— وفي قوله تعالى: " ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا

الناس " (٢)

قال الزمخشري : النهى عن النقصان أمر بالإيفاء •

ورد عليه ابن المنير قائلا : ومن قال إن الأمر بالشيء ليس نهيا عن

ضده ، أن يستدل بهذه الآية فإن الأمر لو كان عينا النهى عن الضد

لكان عقيقه تكرارا •

ثم قال : وفي كلام الزمخشري ما يدل على أنه وهم ، فاعتقد أن

النهى في الآية قبل الأمر ، وذلك سهو وغفلة • (٣)

— وفي قوله تعالى : (" هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة

أعين " (٤)

قال : فإن قلت : لم قلل الأعين ، إذ الأعين صيغة جمع قلة ؟

قلت : لأن أعين المتقين قليلة بالإضافة إلى غيرهم ، يدل على ذلك

(١) الانتصاف على الكشاف ١٢٤ : ٣

(٢) هود آية ٨٥

(٣) الانتصاف ٢ : ٢٨٥

(٤) الفرقان آية ٧٤

قوله : " وقليل من عبادي الشكور " (١)

قال ابن المنير : والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين

فكأنه قال : يقول كل واحد منهم ، اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة

أعين ، وهذا أسلم من تأويله بأن المتقين وإن كانوا بالاضافة الى

غيرهم قليلا إلا أنهم أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في إطلاق جمع

القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والاضافة . (٢)

(١) سبأ آية ١٣

(٢) الانتصاف ١٣ ١٠٢

الخلاصة

بعد هذه الرحلة بين صفحات المراجع ، تلك الرحلة التي استغرقت سنوات ثلاثا ، آن لى أن أضع القلم ، بعد أن صاحبنى خلال هذه المسيرة .

وقد قادنى البحث إلى الحديث عن إقليم خوارزم - إقليم جارى الله الزمخشري - وموقع ذلك الإقليم الذى كان ثغرا نشطا من ثغور الاسلام يتعرض لهلكة لغزو أعدائهم ، حتى كان أول إقليم سقط في يد أعداء الاسلام من بلاد الخلافة .

ولما استوعب ذلك الإقليم اللغة العربية والمقيدة الاسلامية اصطلح كثيره من الأقاليم بالصيغة العربية ، فأضحى نتائجهم الثقافى والعلمى بهذا اللسان العربى الفصيح .

وكان العلماء يشغلون أنفسهم بنشر العربية ، واعتم الطلاب بتلقيها حتى أنجب الإقليم أفواجا من العلماء الأفذاذ ، كان من جملتهم الزمخشري نفسه .

وقد أبرزت في كتابا البحث ثاقب فكرة وعميق نظرته إذ كان أبرع فرقته المعتمدة فى عصره بحثا ودراسة ، وتأويلا للآيات ، وتوجيها للغة حتى يطابق ذلك مذهبه . ومع هذا الجهد فى التوجيه العلمى لخدمة عقيدته الاعتزالية كان عريق القدين صادق الإيمان شديد التقوى يدافع عن الاسلام بخبرة منقطعة النظير .

وكان من أثر هذا التدبر أنه توجه إلى بيت الله الحرام مجاورا وقد فعل ذلك مرثين استغرق جواره فيها اثنتى عشرة سنة .

كما قادني البحث إلى الحديث عن اهتمامه بالعلم حتى ترك الزواج في سبيله ، فكثير شيوخه وتعددت تلاميذه ، فترك تراثا ضخما ، منه المطبوع ومنه المخطوط ومنه المفقود الذي لا ندري عنه شيئا إلا من بطون المراجع .

وصححت بعض الأخطاء المتعلقة ببعض شيوخه إذ تبين أن هناك من سبقت وفاته ولادة الزمخشري ، ومحال أن يكون الزمخشري تلميذا له على ذلك .

وكان تراثه العلمي قد أثر فيمن خلفه من النحاة والمفسرين والبلغاء ولما كان له اجتهاده الخاص في النحو والعربى فكان البحث في هذا يتناوله مجتهدا ، وإذا كانت ميوله بصرية فإنه يغلب عليه الاستقلال في الرأي ولا ينصاع لمذهب أو رأى إلا عن اقتناع وإدراك .
ولتوضيح مذهبه ومنهجه حاولت أن أجلى الحقيقة حوله بتقديم بعض النماذج في موافقاته لأصحاب المدرستين النحويتين ، البصرية والكوفية ، وبعض أفاض النحاة ، وأردفت ذلك بما استقل به من آراء ، فكان لذلك أثره فيمن جاء بعده من كبار النحويين وبخاصة أبو حيان النحوى ، وابن هشام الأنصاري .

وطرقت أصول مذهبه النحوى التى كان يعتمد عليها ، فلم يخرج في ذلك عن النحاة السابقين عليه ، وإن كان يعتمد اعتمادا كبيرا على القياس ، شأنه في ذلك شأن ثورته المعتزلة في اعتمادها على الفكر والنظر ، كما بينت أنه من أوائل من استشهد بالحديث الشريف .
وشأنه في القراءات اقتفاء أثر النحاة قبله ، فنشاطه في ذلك هو

امتداد للنشاط النحوى السابق عليه فى هذا المجال ، وان ظهر ذلك عنده بشكل واضح .

ومع هذا كان يحاول تخريج الآيات التى نعتها النحاة بنعوت مختلفة ، فإذا لم يجد لها مخرجاً وصفها كغيره من النحاة ، ولكنه لم يرد فى وصفه ذكر الشذوذ كغيره من السابقين .

ثم عرّجت على الحديث عن نهجه فى التأليف النحوى ، وبينت أنه

أحدث تجديدًا يفيد به المبتدئين كما يفيد العلماء المتخصصين .
وبينت مدى التجديد واهتمامه بإفادة الطالبين فنوع أسلوبه من مختصر هين يقوم على قواعد النحو ، الذى يطول مسبب عند مزجه النحو والصرف إلا أنه والاشتقاق بشرحه للنصوص الأدبية ، ووضحت أريقتة فى أحاجيه التى

حاول أن يفيد بها المتخصصين وهى شبه الغاز مسجوعة .
ثم تحدث عن شواهد وسلوكه فى التمثيل سواء بالقرآن الكريم ، أو الحديث الشريف أو النصوص الأخرى من شعر ونثر ، ووضحت أنه يسوق الشاهد على قدر حاجته ، فقد يأتى بكلمة واحدة من الآية ، أو كلمات قليلة من البيت ويكتفى بذلك عن ذكر الآيات وسوق الآيات بتمامها .

كما رددت شبهة استشهاده بشعر المولدين ، ووضحت أن ذلك لم يكن على سبيل الاستشهاد بل هو من قبيل التمثيل والاستئناس .
وأنهيت البحث بالحديث عن أسلوبه ، وبحضر المآخذ التى استدرکها

ومع هذا لا أدعى بأننى تمت بكل ما ينبغي أن يقوم به باحث فى

مثل هذا الموضوع ، فانما هى محاولة بذلت فيها كل وسعى ، وطاقتى

وهى بعد هذا قابلة للنقد والتوجيه وصولا بها نحو الكمال أو ما

يقاربه ،

والله أسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه
الى يوم الدين . أما بعد :

فقد أفاقت أمتنا الإسلامية ، فوجدت نفسها وقد سبقتها حضارات
متقدمة مزدهرة ، فجعلت تحلول اللحاق بها ، وكان لزاما عليها أن
تدرس ماضيها وكل ما يتعلق به ، من علم وثقافة ، وأدب ، ودراسة
رجالها ، وأبطالها ، من مفكرين وساسة وحكام وقادة ، وعلماء برزوا في
مختلف العلوم .

كان ذلك العاضى بناء ضخما ، أقامه فكرنا الإسلامى العظيم ،
الذى خضع بين حناياه الحديد من عظماء الإسلام ، من عرب ومستعربين
خدموا هذا الدين ، وهذه اللغة فى جدارة واخراص ، لا يقلون فى
هذا عن الحرب الخلس ، فقد أصبحوا عربا فى دينهم ، ولسانهم ،
يدافعون عن حياض هذا الوطن الإسلامى الكبير ، وهذا الدين وتلك اللغة
وأخلصوا نياتهم لذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة لسانا وتأليفا ،
وأسلم نفسه لهذا الدين عقيدة وشريعة .

لذلك كان لهم الفضل العظيم ، وكان واجبهم علينا حسن الذكر ،
وتقدير الخلف اليار يسرفه العظماء .

وليس المقام هنا تعداد مآثر هؤلاء الأعلام حتى أبين ما كانوا عليه
وما أمتازوا به ، كل فى ميدانه ، فهم لا يحصون عدا ، ومآثرهم لا تقح
تحت حصر ، فحسبى أن أتناول أحد هؤلاء الأعلام ، وهو محمود بن عمر
الزمخشري ، على ضوء هذا الفكر الذى بينت .

فقد تناولته بحثا يكشف عن بيئته وعصره ، وحياته ، وتعليمه ،

وشيوخه ، وتلاميذه ، وتراثه العلمي ، ومنهجه .

ولما كان ذلك الحالة متشعب الثقافة اللسانية من نحو ، ولغة ،

وتفسير ، وبروز ، وأدب ، كان البحث ملزما بالاعتماد بهذه الثقافة

قبل الشروع في الجانب النحوي الذي كان متكاملا فيه ، وبز أقرانه بتفوق

وابداع .

فجعلت البحث في مقدمة يتلخص محتواها فيما عرضت ، وتتمهيد ،

وخمسة فصول وخاتمة .

عرضت في التمهيد إلى خوارزم إقليم الحرمة أبي القاسم ، وهو

شجر من شجر الأسر - يقع وراء نهر جيحون - يحيط به أعداء ،

فهو في رباط دائم ، ومناخه شديد البرودة شتاء حتى أن السوائل تجمد

فيه ، وجوه متقلب .

ومع هذا فإنه كثير الخيرات ، والمتعة فيه متوفرة ، وأهل أصطب

صناعات ، ويمتازون بالذكاء ، لذلك فقد أنجب الإقليم العديد من العلماء

السابقين على الزمخشري ، والمعاصرين له .

كما كان أهل الإقليم في ذلك الحين مزاياد دينية واجتماعية تخالف

غيرها من الشعوب ، ويبدو أن الإقليم كان معزولاً عن قديم الزمن .

وتناوب حكم الإقليم منذ فتحه حكام استقلوا عن الخليفة الحباسية ،

مثل : الطاهريين ، والمغاريين ، والبهمنيين ، والسرجقة ، حتى

جاء الخوارزميون وأسقطوا دولة السرجقة أخيراً .

وكان الحكم مدى فترة حكمهم يرعون الحلي والعلماء ، ويحنون

بالثقافة خير عناية ، وكان جلهم من أهل العلم . لذلك كان هناك

مراكز الثقافة التي تتمثل في : المساجد ، والمكتبات ، والمدارس ،
 وبوط الحكام ، وختمت التمهيدي بحال اللغة العربية في ذلك الإقليم
 حتى عصر الزمخشري . فقد احتلت مكان الصدارة وغلبت على اللغة
 الفارسية ، ثم أخذت في الضعف منذ أن قامت دولة الصفاريين ، حتى
 عاد إليها نشاطها ، وأخذت مكانتها مرة أخرى عند قيام دولة السلاجقة
 وتناولت الحديث في الفصل الأول عن مولده ، وتاسمه ، وكنيته ،
 ولقبه ، ونشأته ، وحياته ، وتحدثت عن أسرته المتدينة المنصورة ، عدا
 أبيهم الذي سجنه مؤيد الملك حتى مات في سجنه .

ثم تحدثت عن صفاته الحسية التي كانت تتمثل في سقوط ساقه ،
 وأثر ذلك في نفسه . وعن صفاته المعنوية التي بدا لي أنها مرت
 بعهدين : عهد الشباب المثوب الطامح ، وعهد الرشد ، والهدوء ،
 والقناعة .

فعهد الشباب كان يسيطر فيه علو الهمم ، والصراع للوصول إلى
 مصاف الطبقة الاجتماعية ، والعلمية المرموقة ، فوسع اتصالاته بالحكام
 للوصول إلى ذلك الغرض ، ولكن دون جدوى .

وما أن مرض مرضته المندرة كما سماها - كانت بداية الطور الثاني
 من حياته ، فالتمس لنفسه مسلكا مغايرا ، وخط لنفسه نهجا جديدا ،
 فاتجه نحو التأليف النافع الذي يتخلق تعلقا مباشرا بالآخرة ، وجعل يصلح
 ما بينه وبين العلماء في تواضع ، حتى عمّت سيرته اتفاق .

وكان قد ترك الزواج بسبب طلب العلم ، واحتج في ذلك ببعض
 الحجج الاجتهادية ، ولكنني أقمت الحجة على بطلان ذلك الرأي ،
 ووضحت أنها لا تقوم حجة أمام السنة الصحيحة التي تحت المسلم على

ورأيت من أثر نزوعه الى الله في طور حياته الثاني ، أنه توجه الى بيت الله المحرام بنية الجوار ، ثم عاد الى وطنه لشدة حنينه اليه ولم يمكث الا القليل فحز عليه فراق الأماكن المقدسة ، فعاد الى جواره الثاني ، وقد حققت مدته جواره في المرتين اذ اضطرب فيها بعض الباحثين . ثم أنهى الفصل عند وفاته .

ولما كان اعتزاله فترة بارزة في حياته ، لما بدا من تفانيه في خدمة ذلك المذهب ، واستخدامه النحو ، واللغة ، والادب ، والتفسير وتطويعها لخدمته العقائدية ، فقد دفعني ذلك للحديث عن نشأة المعتزلة في لمحات سريعة ، تحدثت فيها عن أصول عقيدة الاعتزال في نظر هؤلاء . وشددني الحديث الى قواعد الاعتزال التي أقرها واصل مؤسس الفرق ، وهي : التوحيد ، والعدل ، والميزة بين المنزلتين ، والقول في الفريقين من أهل الجمل ، وأصحاب عفين . وبينت مدى توجهه الزمخشري لبعض الآيات التي تؤيد هذه القواعد لكل في كشافه .

ثم أشرت اشارة سريعة الى رأيه المؤيد لمسألة خلق القرآن الكريم ، وما اعتد عليه في كشافه .

ولما كان للمعتزلة منهج في تأكيد فكرهم الاعتزالي ، وجاء الزمخشري مندفعاً نحو ذلك المنهج ، فقد أجهد نفسه في تأييد ذلك فوجه آيات توجيهها ، بوضيحه جمهور العلماء ، ومن هنا كان كشافه مدار بحث العلماء ومحققته ، والرد عليه كما فعل ابن المنير .

وفي نهاية هذا الفصل تحدثت عن موقف الزمخشري من الفرق المسمومة

الأخرى وهو موقف المتحامل ، فلم يهادن واحدة منها ، وهو يركز هجومه على العنيفة وأهل السنة فبينت جزءاً من نشاط أهل السنة ، ولفت نظر من يريد البحث الى بعض ما ألق في ذلك الموضوع .

وبعد ذلك تكلمت عن تعليم الزمخشري ، وأنه تلقى مبادئه على يد والده ، ثم ارتحل في طلبه حتى وصل الى ذروة العلوم التي درسها ، فبرز في علوم شتى حتى أصبح اماماً في التفسير ، ونحوها بارزاً الرأي والاجتهاد ، هذا فضلاً عن أصالته في علم البيان ، واللغة ، والدُّب نشره وشعره ، حتى وصف بالعديد من النحوت العلمية التي شاركتها حياته . وكان للزمخشري الكثير من الشيوخ ، لاحظت أن بعضهم قد التبس أمره فحققت ذلك .

وخرجت بالحديث على تلميذه ، اذ كانوا رؤوساً فاضل في ذلك الحين ، وذكرت لكل منهم بعض المؤلفات ، ثم ذكرت من استجازوه أو راسلوه .

ولما كان ذا مكانة عالية بين العلماء فقد خضعت ميخائيل بينت فيه مدى تفاعله مع العلماء ، وتعامله مع الأمراء ، وكم تحامل على علماء السوء ، أنهم تزلفوا للأمراء ، وكان له مع بعض العلماء مواقف جد ، كما كان له مواقف مرح ومباعدة .

وفي هذا الفصل تحدثت عن تراثه ، وصنفته الى ما هو مطبوع ، ومخطوط ، ومفقود ، وصنفت كل منها على أساس مادته ، فكانت على الترتيب الآتي : المادة الدينية ، فالنحوية ، فالأدبية من نثر وشعر . وتحدثت عن الكتب التي طبعت من حيث تأليف الكتاب ، وطريقته ومكانته ، وعن أثر الكتاب ومدى الاهتمام به بين العلماء ، ثم تحدثت عن مخطوطاته قطبعاته ، وكان لي رأي في بعض كتبه وحقيقة وجودها وتوثيقها

أما كتبه المخطوطة فقد جهدت فيها أن أجمع الأشياء والنظائر
التي يبدو من اسمها وجود نوع من التقارب ، وسلكت هذا السبيل
في المفقودات .

ولما كان الزمخشري من علماء النحو البارزين ، فقد جهدت في
إيضاح مذهبه المحوى والدافع إلى تحقيقه في مسائل النحو ، والمصطلحات
التي استعملها ، وبينت أن ميوله كانت بصرية مع الاستقلال برأيه الخاص
وتحدثت عن بعض موافقاته للمدرستين البصرية والكوفية ، ثم سقت نماذج
لموافقاته لبعض أفاض العلماء السابقين عليه ، وتكلمت عن جاء بعده من
العلماء ، وخصصت منهم أبا حيان النحوي ، وابن هشام النصارى ،
وسقت بعض النماذج التي وافق أبو حيان فيها الزمخشري ، وأردفت ذلك
بأمثلة خالفه فيها ، وجعلتها قسمين : مخالفاً له في القراءات ،
ومخالفاً له في النحو .

ولما لاحظت بعض العلماء هجمات أبي حيان على الزمخشري ، تتبع
بعضهم آراءهما فأنصفوا الزمخشري ، وكان أبو حيان يسد المطاع للزمخشري
ويندد به بين حين وآخر .

ترك هجوم أبي حيان على الزمخشري أثراً في نفوس بعض العلماء ،
مما جعلهم يوازنون بين العالمين ، ويشتبهون خرافاتهما حتى ألفوا الكتب
في ذلك مثل ما كتب الشيخ يحيى الشاوي في كتابه (بين أبي حيان
وأب عطية والزمخشري) وقصد به بيان الحق في هذه المناقشات . وكتب
ابن أم مكتوم كتابه (الدر اللقيط من البحر المحيط) وقصره على مناقشة
أبي حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما .

ومن أهم من تتبع الخلاف بين العالمين ، ابن هشام ، والسمين ،

وقاما بالدفاع عن جابر الله خير قيام ، وقد أُشِرَّ الى ذلك ،

وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن ابن هشام والزمخشري ، وقد

كان ابن هشام مجتهدا في رأيه ، وكثيرا ما أنصف الزمخشري ، وانتصر

له ، وخاصر من أبي حيان .

ثم تحدثت عن أصول النحوية التي بنى عليها ، فقد التزم الأصوليون

الهاميين في أصول اللغة وهما : السماع ، والقياس .

وقلت : ان السماع كان يقوم على نبهين عظيمين ، ديني ويتمثل

في القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغوي ويتمثل في اللغة العربية نثرها

وشعرها ، بحيث تؤخذ مما يوثق بفصاحتهم .

وكان الزمخشري متبعا لمن سبقهم النحاة في الاستشهاد بأدبيات

القرآنية ، أما الحديث فقد سكت النحاة المتقدمون عن الاستشهاد به ،

وكان الزمخشري من أول المستشهدين بالحديث الشريف ، وسقت طائفة

من استشاده به في اللغة والنحو .

ولما كان لحلماء اللغة والنحو رأى في التحديد الزماني والمكاني

لنقل اللغة وسماعها ، كان الزمخشري متبعا لهم ، لكنه وجد في نفسه

الكفاية في مخالفتهم فيما يراه صوابا .

فهو ينقض اللغة التي يراها ضعيفة اذا لم تكن وارد في فصحاء

العرب ، ولا ممن يوثق بفصاحتهم .

أما القياس فكثيرا ما كان يستعمله الزمخشري في المسائل النحوية ،

وله فيه موقف خاص به ، وهو :

ان القياس أعلى شئ في اللغة هو ما تعاون على ثبوته القياس

الصحيح ، والرواية القصيدة .

وعنده ، يرد القياس إلى الرواية التي يثبت وثوقها .

وكان يرى أن الاستعمال المستفيض أقوى من القياس الحسن .

وإن يصح عنده القياس على القليل ، وإن على اللغات الضعيفة .

ومجمل ما يراه أن كل ما كان بمنزل عن استعمال الفصحاء وعن

القياس فهو لحن .

وتحدثت في هذا الفصل عن منهجه في التأليف النحوي ، ويتمثل

ذلك في طبعه على محظا الكتب النحوية التي سبقته ، ونقوله عزاً فذاذ

السابقين عليه من العلماء ، وكان أعظمهم شأنًا عنده سيبويه .

ومن منهجيته أنه تحدث عن خطته في مقدمة كتابه الفصل ،

فقسه أربعة أقسام هي : الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، والمشتراك .

جمع في كل منها الأشياء والنظائر ، ولم يكن هذا مألوفاً قبله في

كتب النحو ، وبيّنت منهجه النحوي في كتبه الأخرى غير المفصل ، مثل :

الكشاف ، والنموذج ، والمفرد والمؤلف ، والحاجي النحوي ، وأعجب لأعجب ،

ورأيت من الجديد في منهجه أنه عرض منهجه لأول مرة في مقدمة كتابه ،

وأن الجانب النحوي عنده يقوم على الأحكام المتصلة بالكلمة من حيث بنيتها ،

وتصنيفها ، ووظيفتها في التركيب اللغوي .

ومن منهجه أنه على النحو في اتجاهيه هاتين هما : اللفظ

المفرد ، والتركيب اللغوي ، فجعل في كتبه اللغوية والنحوية ما عالج به

بعض قضايا النحو الكلية ، فجمع التشابهات في العمل والجنس في باب

واحد . مما دفعه إلى تأليف (مفصله) ثم (النموذج) وأردفهما بالمفرد

والمؤلف .

ولما أراد أن يخدم أبناء العربية ، ويقودهم الى أسرارها
ودقائق النحو فيها ألف كتابه المحتاجي النحوية ، وهو يعتمد فيه
على اختصار العبارة ووضوحها ، ويحرصها بتعبير مسجوع يساعد السامع
على حفظ المحتجبة .

ومنهجه النحوى فى دراسته للنصوص الأدبية يمتاز بالاطالة ،
والإسهاب ، يستطرد ، كما فى شرحه لامية الشنفرى .
وتحدث فى شواهد النحوى " ب طريقة فى الاستشهاد ، ورأيت
أنه " يختلف فى النحاة السابقين عليه ، " سيما البصريين منهم ،
فهو يستشهد بالقراءات ويرد طائفة منها ، ويضعف أخرى ، ويرجع
قراءة على قراءة ، ويوازن بين القراءات .

وكان يخرج بعض القراءات التى يضعفها النحاة ، ويستقل برأيه
فى تخريجها ، ولعل الزمخشري لم ينفذ قراءات بالتشذوذ ، مخالفاً بذلك
السابقين عليه واللاحقين له .

وهو ينسب الخطأ الى نقله القراءة " الى القراء أنفسهم .
يقول فى كشفه : " ان السبب فى قلة الضبط ، هو قلة ضبط
الدراية ، " ويضبط مثل هذا ان أهل النحو "

واستشهد بالحديث الشريف فى كل كتبه النحوية واللغوية ، وأعتبره
من أوائل المستشهدين به ، وقد سبق ابن خروف فى ذلك . وقد
سقت أمثلة " استشهاده فى مختلف كتبه .

واستشهد بالشعر والنثر من : روايات ، وأمثال ، وأقوال مشهورة
وبينت كيفية استشهاده .

وكان واضحا أنه يستشهد بكون الحرب الفصحاء ، شأنه في ذلك

شأن سائر النحاة ، وكان يستأنس بما يسمعه من اعراب في زمنه ،

للوصول الى معنى محين ، أو اثبات حكم ، وكان يستنبط من كلامهم

محائيل جديدة .

ونفيت عنه أنه كان يستشهد بشعر المولدين ، ولكنه كان يستأنس

به في توضيح قاعدة مستقرة .

ثم تحدت عن خصائص أسلوبه ، وما يمتاز به من سجع في عظم

كتبه الأدبية واللغوية ، ومقدمات كتبه بوجه عام . وتحدثت عن الإيجاز

الذي قد يصل الى حد الخموض ، والطناب الذي قد يصل الى حد

الاستطراد ، وأكدت ذلك بأشياء .

وأنتهت البحث ببعض المآخذ التي بدت أثناء السير في هذا

السبيل . وكل عالم مهما سمى مكانته يمكن أن يتحرف لها يؤخذ عليه .

وفي الختام أرجو الله مخلصا أن أكون قد وفقت الى بعض قصدي

وأن أزعج أني أتيت بها لم أسبق اليه ، وحسبي ما بذلت من جهد في

هذا ، فان وفقت فذلك ما أصبو اليه ، وان كانت أخرى - بقدر الله -

فذلك وسعي .

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يعيننا على السير قدما في العمل

على رفعة أمتنا ، والكشف عن آثارها العلمية ، والشهوض بلغتنا العربية

لغة القرآن الكريم .

والله يوفقنا الى كل خير ، انه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المصادر والمراجع :

(٩٩ ألف)

ابراهيم رفيدة (الدكتور)

النحو وكتب التفسير • ط • ليبيا • ١٩٨٠م

ابن ابيشير ، علي بن محمد •

الكامل في التاريخ • دار الفكر بيروت • ١٩٥٥م

ابن ابيباري ، كمال الدين محمد •

انصاف في مسائل الخلاف • (تحقيق محيي الدين عبد الحميد)

ط • محمد علي سبيع وأحمد • مصر • ١٩٥٢م

نزهة الألباء • (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)

دار نهضة مصر • القاهرة • ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

ابن بطوطة :

رحلة ابن بطوطة • الطبعة الأولى • باريس •

ابن تخرى بردى • جمال الدين أبو المحسن •

النجوم الزاهرة • ط • دار الكتب المصرية •

القاهرة • ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م

ابن جنى ، أبو الفتح عثمان •

الخصائص • (تحقيق محمد علي الفجار)

ط - دار الهدى للطباعة والنشر • بيروت •

تأين حزم الظاهري :

الفصل في النحل واليهواء والنحل • علي الطل والنحل •

د ط • د ت • أعادت طبعه بإيفست • مكتبة المثنى • بغداد •

ابن الخشاب : أبو محمد عبدالله بن أحمد •

المرتجل • (تحقيق علي ميدر) • منشورات دار الحكمة •

دمشق • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

ابن حنكاز : أحمد بن محمد •

وفيات أعيان • (تحقيق احسان عباس)

دار الثقافة • بيروت •

- ابن سديم الجمحي ، أبو عبد الله •
- طبقات فحول الشعراء الجاهليين والاساسيين •
- مكتبة الثقافة العربية • بيروت •
- ابن سيدتي •
- المخصص • لجنة احيا التراث العربي • القاهرة •
- ودار افق الجديدة • بيروت •
- ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحيم •
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مع حاشية الخفزي •
- ط • مصطفى البابي الحلبي • ١٢٥٩ هـ - ١٩٤٠ م
- ابن الحماد الحنبلي ، أبو الفتح عبدالحى •
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب •
- المكتب التجارى للطباعة والنشر • بيروت •
- ابن فارس أبو الحسين أحمد •
- الصحاح في اللغة • (تحقيق السيد أحمد حقر)
- ط • الحلبي وشركاه • القاهرة • ١٩٧٧ م
- ابن قاضي شهاب ، تقى الدين •
- طبقات النحاة اللخمييين • (تحقيق محمد عياف)
- مطبعة النحطان • بغداد • ١٩٧٤ م
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر •
- البداية والنهاية • الناشر مكتبة النصر •
- بيروت • ١٩٦٦ م
- ابن مالك ، جمال الدين محمد •
- تسهيل الفوائد • الناشر • دار الكتاب العربي •
- القاهرة • ١٢٥٢ هـ - ١٩٣٣ م
- ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى •
- النية وأهل • شرح الطلل والنحل • ١٢٦٦ هـ
- ابن منظر ، أبو الفضل جمال الدين •
- لسان الحرب • دار صادر بيروت •
- ودار بيروت للطباعة والنشر • ١٢٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

- ابن النير ، أحمد بن محمد •
- ايهتماف فيها تضمنه الكشف من الاعتزال •
- طبع مع الكشاف • مكتبة ومطبعة مستشفى البابي الحلبي وأوردته •
- القاهرة • ١٩٦٦م

- ابن النديم •
- الفهرست •

- ابن هشام ، جمال الدين •
- معنى اللبيب • ط • عيسى البابي الحلبي وشركاه • مصر •
- معه حاشية الأثير •
- أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك • ط • الصعادة بمصر •
- ١٢٩٢هـ — ١٩٧٣م

- ابن يعين ، يعين بن علي •
- شرح الفصل • الناشر • عالم الكتب • بيروت •
- ومكتبة المتن • القاهرة •

- أبو حيان ، أهر الدين محمد بن يوسف •
- البحر المحيط • الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة •
- الرياض •

- أبو الطيب اللغوي •
- مراتب النحويين • (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)
- الناشر • دار نهضة مصر • القاهرة •
- ١٢٩٤هـ — ١٩٧٤م

- أحمد أمين • (الدكتور)
- ضحى الإسلام • الطبعة الخامسة •
- ظهر الإسلام • مكتبة النهضة المصرية • ١٩٥٨م
- يوم الإسلام • ط • لجنة التأليف والترجمة والنشر •
- القاهرة • ١٩٥٨م

- أحمد الحوفي • (الدكتور)
- الزمخشري • الهيئة المصرية العامة للكتاب •
- الطبعة الثانية •
- بالطبرى • الناشر • المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- لجنة التصريف بالإسكندرية • القاهرة •
- ١٢٩٠هـ — ١٩٧٠م

- أحمد محمود صبحي (الدكتور)
— في علم الكون • الناشر • دار الكتب الجامعية •
القاهرة • ١٩٦٩م
- أحمد مختار الحبادي • (الدكتور)
— في التاريخ العباسي وأندلس • دار النهضة العربية •
بيروت • ١٩٧١م
- أحمد مكي المنصاري (الدكتور)
— سيرة والقراءات • دار اتحاد الحري للكتاب والنشر •
١٢٩٢هـ — ١٩٧٢م
- أبو حنبل ، غياث بن فوث الخليلي •
— ديوان أبو حنبل • الطبعة الثانية • دار المشرق •
بيروت
- أبو زهرى ، خالد بن عبد الله •
— شرح التصريح على التوضيح • دار الفكر • بيروت •
- أبو شعوي ، نور الدين علي بن محمد •
— شرح أبو شعوي على ألفية ابن مالك • (تحقيق محيي الدين
عبد الحميد) الناشر • مكتبة النهضة المصرية •
القاهرة • ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م
- أبو صخرى ،
— المسالك والممالك • تحقيق (محمد جابر عبد الحاحال)
وزارة الثقافة والإرشاد • الجمهورية العربية المتحدة •
الناشر • دار القلم • ١٣٨١هـ — ١٩٦١م
- أبو زهرى ، محمد •
— حاشية أبو زهرى • على مفتي اللبيب •
منبعة ميسى الباي الحلبي وشركاء • مصر •

(الباء)

- بركلمن ، كارل •
— تاريخ الأدب العربي (ت • الدكتور عبد الحليم النجار)
دار المعارف • القاهرة • الطبعة الثانية •

- البغدادي ، عبد القادر بن عمر •
- خزانة الأدب ولب لباب الحرب •
- دار صادر بيروت

- البغدادي ، اسماعيل باشا •
- هداية الحارفين • استانبول • ١٩٥١م

- بهيجة الحسنی : (الدكتورة)
- الزمخشري شاعرا • مطبعة الجمهورية •
- بغداد • ١٩٧٥م

(الشاء)

- الشاعلي ، أبو منصور •
- لطائف المعارف • (تحقيق إبراهيم أبياري وحسن الصيرفي)
- مطبعة الحلبي وشركاه • القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م
- يتيمة الدهر • (تحقيق محيي الدين عبد الحميد)
- مطبعة السعادة • القاهرة • ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

(الجيم)

- الجاحظ ، عمرو بن بحر •
- الحيوان و (تحقيق عباس حماد هارون)
- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده • القاهرة •
- ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م

- جرير بن عطية الخطفي •
- ديوان جرير • دار صادر بيروت ، ودار بيروت للطباعة والنشر •
- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م

- الجوهري ، اسماعيل بن حماد •
- تاج اللغة وصحاح العربية • (تحقيق أحمد عبدالغفور عطار)
- دار الكتاب العربي • مصر • ١٣٧٧هـ

(الحاء)

- حاجي خليفة •
- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون • طهران •
- الطبعة الثالثة • مكتبة المثنى بغداد •

- حسن إبراهيم حسن (الدكتور)
- تاريخ الإسلام السياسي • النهضة المصرية • مطبعة السنة المحمدية • ١٩٦٧م

- حسن عيون (الدكتور)
- تطور الدرس النحوى • جامعة الدول العربية • قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية • مطبعة الجبيلوى • مصر • ١٩٧٠م

(الـخـاء)

- خديجة الحديشي (الدكتورة)
- أبو حيان النحوى • مكتبة النهضة • بغداد • ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م

- الخونسارى
- روضات الجنات • (دون تحريف)

(الـدـالـى)

- الداودى شمس الدين محمد
- طبقات المفسرين (تحقيق على محمد عمر) الناشر - مكتبة وعية • القاهرة • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

- درويش الجندى (الدكتور)
- النظم القرآنى فى تفسير الزمخشري • دار النهضة • مطبعة الرسالة • ١٩٦٩م

(الـذـالـ)

- الذهبى عبد الله بن محمد
- الخبر فى خبر م غير • (تحقيق فؤاد سيد) دائرة المطبوعات والنشر • الكويت • ١٩٦١م
- ميزان اعتدال • دار المعرفة بيروت • الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م

(الـرـاءـى)

- الرازى محمد بن أبى بكر
- مختار الصحاح • الناشر • الهيئة المصرية العامة للكتاب •

- رشيد الدين الوطواط •
- من رسائل البلغاء • كرد علي •
- طبعة ١٣٦٥ هـ

(الزاي)

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسين •
- الواضح في علم العربية • (تحقيق أمين علي السيد)
- دار المعارف • مصر • ١٩٧٥ م
- طبقات النحويين واللغويين • (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)
- دار المعارف • مصر • ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني •
- تاج العروس • وتحقيق عبد الكريم الغرياني وراجعه عبد القادر أحمد فراج • مطبعة حكومة الكويت • ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م
- الزجاج، إبراهيم بن السري •
- اعراب القرآن • (تحقيق إبراهيم البيهاري)
- لجنة التأليف والترجمة والنشر • القاهرة •
- ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م
- الزركلي، خير الدين •
- الاعلام • دار العلم للمصيين • بيروت •
- الزمخشري، محمود بن عمر •
- أساس البرزخ • (تحقيق عبد الرحيم محمود)
- دار الكتب المصرية • ١٣٩٧٢ هـ - ١٩٥٣ م
- أعجب العجب في شرح زمنية العرب • مطبعة الجوائب •
- القسطنطينية • ١٣٠٠ هـ
- أسحاجي النحوي • (تحقيق مصطفى الحدري)
- منشورات مكتبة الغزالي • دمشق • ١٩٦٩ م
- أمكنة الجبال والنيا • (تحقيق إبراهيم السامرائي)
- مطبعة السعدون • بغداد • ١٩٦٨ م
- الدرر الدائر، المنتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات العرب •
- (تحقيق بهيجة الحسنی) المجمع الحلبي العراقي •
- ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
- الفائق في غريب الحديث • (تحقيق محمد علي البجاوي و
- محمد أبي الفضل إبراهيم) مطبعة عيسى اليابس الحلبي وشركاه •

- الكشف عن حقائق التنزيل - مصطفى البابی الحلبي وأبو دة •
القاهرة • ١٢٨٥هـ - ١٩٦٦م
- المستقصى في أمثال العرب • دار الكتب العلمية •
بيروت • ١٩٧٧م
- المفرد والمؤلف • (تحقيق بهيجة الحسني) •
مطبعة المجمع العلمي العراقي •
بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م
- المفصل في علم الحربية • مع ابن يحيى •
دار الكتب • بيروت • ومكتبة المثنى • القاهرة •
- خصائص العشرة الكرام البررة • (تحقيق بهيجة الحسني) •
وزارة الثقافة والإرشاد • بغداد •
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار • (تحقيق سليم النعيمي) •
أحياء التراث الإسلامي • مطبعة الحائلي •
بغداد • ١٩٧٦م
- لآب اللغة - شرح المقامات - طبع مع المقامات •
(تحقيق محمد سعيد الرفاعي) مكتبة الثقافة الحربية •
١٣١٢هـ
- مسألة في كلمة الشهادة • (تحقيق بهيجة الحسني) •
مطبعة المجمع العلمي العراقي • بغداد •
١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م
- مقامات الزمخشري • (تصحیح محمد سعيد الفاروقي) •
الناشر مكتبة الثقافة الحربية ١٣١٢هـ

(السين)

- السجاعي •
- حاشية السجاعي على شرح قطر الندى • الناشر المكتبة الحشيقية •
الشركة المحربية للكتب الحربية •
تونس • ١٣٧٧هـ - ١٩٤٨م
- سعيد الأفغاني •
- من تاريخ النحو • دار مكتبة الفكر • طرابلس • ليبيا •
- في أصول النحو • مطبعة الجامعة السورية •
١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

- السكري ، أبو سعيد •
- شرح أشعار الهذليين • (تحقيق عبدالستار فراج ، ومحمود شاكر) • دار الصروية • مطبعة المدني •
- سلسلة كنوز الشعر رقم ٣ القاهرة •

- سبيويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر •
- الكتاب • مطبعة بونوق • القاهرة • ١٩١٦م

- السيوطي ، جلال الدين •
- إبتقان في علوم القرآن • مطبعة مصطفى البابي الحلبي •
- القاهرة • ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م

- الفزهر في علوم اللغة • (تحقيق محمد جاد المولى وآخرين)
- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه • القاهرة •

- المطالع السعيدة في شرح الفريد • (تحقيق
- نبهان حسين) • مطبعة دار الرسائل •
- بغداد • ١٩٧٧م

- بزية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة •
- مطبعة السعادة • مصر • ١٣٢٦هـ

- شرح شواهد مخني اللبيب • دون تحريف •

(الشين)

- الشلوين ، أبو علي •
- التوطئة • (تحقيق يوسف أحمد المطوع) •
- دار التراث العربي • القاهرة • ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م

- الشهرستاني ، أبو الفتح عبدالكريم •
- الملل والنحل ، مع الفصل في الملة والديانة والنحل والنحل •
- مكتبة المثنى بغداد •

- شوقي ضيف ، (الدكتور) •
- المدارس النحوية • دار المعارف بمصر • ١٩٦٨م •

(الصاد)

- الصبان ، محمد بن علي
- حاشية الصبان على الشُّمُونِي
- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه • القاهرة •

(الطاء)

- الطبري ، ابن جرير
- تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)
- ذخائر الحرب رقم ٣٠ • دار المعارف بمصر •

(الحين)

- عبد الحفيظ السطلي • (الدكتور)
- ديوان أمية بن أبي السلت • المطبعة التعاونية •
- دمشق • ١٩٧٧م

- عبد الحكيم بلبي • (الدكتور)
- أدب المعتزلة • مكتبة نهضة مصر •
- القاهرة • ١٩٥٩م

- عبد الحميد الشلقاني • (الدكتور)
- أعراب الرواة • الشركة العامة للنشر والتوزيع •
- طرابلس — ليبيا • ١٩٥٧م

- رواية اللغة • دار المعارف • مصر • ١٩٧١م
- رواية اللغة فيما وراء العراق • وزارة التعليم •
- وحدة التأليف والترجمة والنشر • ليبيا •

- عبد الرحمن سميط انجلي
- خزانة الذهب المصبوك • مختصر من سير الملوك •
- مكتبة المثنى بغداد •

- عبد الواحد وافي (الدكتور)
- علم اللغة • مكتبة نهضة مصر • لجنة البيان العربي •
- القاهرة • ١٣٨٢هـ — ١٩٦٢م

- النحوى ، أبو القاسم •
- مسائل خرافية فى النحو • (تحقيق محمد حير الحلوانى)
- منشورات مكتبة الشهاب • حلب •

- على أبو المزارم (الدكتور) •
- أصول التفكير النحوى • الجامعة اللبنانية •
- مطبعة دار الثقافة • بيروت •
- الناشر دار القلم • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م

- الحليمى ، الشيخ ياسين •
- حاشية على شرح التصريح على التوضيح •
- دار الفكر • بيروت •

- الحسينى ،
- شرح شواهد المشمونى على ألفية ابن مالك •
- مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه • القاهرة •

(الفاء)

- فاضل السامرائى • (الدكتور)
- الدراسات النحوية واللغوية عند الرمخسرى •
- مطبعة أبرشاد • بغداد • ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م

- فتحي عبدالفتاح الدجنى • (الدكتور)
- ظاهرة الشذوذ فى النحو العربى •
- وكالة المطبوعات • الكويت • ١٩٧٤م

- أبو اسود الدؤلى ونشأة النحو •
- وكالة المطبوعات • الكويت • ١٩٧٤م

- الفيروز آبادى ، مخدالدين بن يعقوب •
- القاموس المحيط • المطبعة الحسينية المصرية •
- القاهرة • ١٢٣٠هـ

(القاف)

- القزوينى ، زكريا محمد •
- آثار البديد وأخبار العباد • دار صادر بيروت •
- ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

- * القفطى • جمال الدين •
- انباء الرواة • (تحقيق أبي الفضل إبراهيم)
- دار الكتب المصرية • ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

(الميم)

- * لجنــــــــــــــــة •
- دائرة المطرف الرسمية باللغة العربية •
- السبعة الأولى • القاهرة • ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م

(الميم)

- * مازن المبارك (الدكتور)
- الرواى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه •
- جامعة دمشق • ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٢ م

- * محمد حسنين أبو موسى (الدكتور)
- البهجة القرآنية فى تفسير الزمخشري •
- دار الفكر العربي • القاهرة •

- * محمد حسين آل ياسين (الدكتور)
- الدراسات اللغوية عند العرب • دار مكتبة الحياة •
- لبنان • ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

- * محمد الخضر حسين •
- دراسات فى العربية وتاريخها • المكتب الاسمي •
- مكتبة دار الفتح • دمشق • ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

- * محمد الطنطاوى (الشيخ)
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة • مطبعة وادى الملوك •
- مصر • ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م

- * محمد عبد العزيز النجار (الدكتور)
- ضياء السالك الى أوضح المسالك • مطبعة السعادة •
- القاهرة • ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م

- * محمد عيد (الدكتور)
- أصول النحو العربى • عالم الكتب •
- مطبعة دار النشر للثقافة • ١٩٧٣ م

- محمد فؤاد عبد الباقي •
- المصباح المفهرس ، ألفاظ القرآن الكريم •
دار الكتب المصرية • القاهرة • ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م
- المرادي ، حسن بن قاسم •
- الجنى الدانى فى حروف المعانى • (تحقيق طه محسن) •
جامعة بغداد • ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
- مرتضى آية الله الشيرازى • (الدكتور)
- الزمخشري لغويا ومفسرا • دار الثقافة للطباعة والنشر •
القاهرة • ١٩٧٧ م
- المرتضى ، السيد •
- أمالى المرتضى • مطبعة السعادة • الطبعة الأولى •
مصر • ١٣٢٥ هـ
- المرتضى ، أحمد بن يحيى •
- الضية والشمس • شرح الطل والنحل •
تصحیح توماس آرتون ١٣١٦ هـ
- مصطفى الشكعة (الدكتور)
- اسهام بنى مذاهب • دار النهضة للحرية للطباعة والنشر •
بيروت • ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م
- مصطفى الصاوى الجوينى • (الدكتور)
- منهج الزمخشري فى تفسير القرآن • دار المعارف •
مطبعة الرسالة • مصر • ١٩٥٦ م
- المقدسى ، عبدالله محمد بن أحمد •
- أحسن التقاسيم • الناشر • مكتبة حياط •
بيروت •
- المقرئ ، أحمد بن محمد •
- نفح الطيب من غصن ابن دلس الرطيب • (تحقيق احسان إيسر)
دار صادر بيروت • ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

- المقرئ ، اسماعيل بك عمر
- كتاب اللغات في القرآن الكريم • (تحقيق صلاح الضجدة)
- مطبعة الرسالة • القاهرة • ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

(الفن)

- ناجي معروف •
- عروبة العلماء المشهورين إلى البلدان الأجنبية في الشرق
- دمشق • مطبعة الشعب • بغداد • ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م

- النسيب ، محمد بن أحمد •
- سيرة حلال الدين منكبرتي • (تحقيق حافة حمدي)
- دار الفكر • مطبعة الاعتماد • مصر • ١٩٥٢ م

- الشهابي ، سليم ، محمد بدر الدين •
- الفضل في شرح أبيات الفضل • دار الجيل • بيروت •

(البناء)

(الهدليون)

- الهدليون •
- ديوان الهدليين • الديار القومية للطباعة والنشر •
- المجلس الأعلى للثقافة • القاهرة • ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م

(الزوار)

- وجدي بوزق غالي •
- المصحفات العربية • الهيئة العامة للتأليف والنشر •
- القاهرة • ١٣٦١ هـ — ١٩٧١ م

(ألباء)

- اليافعي ، أبو محمد •
- مرآة الجنان وبهجة اليقظان • مطبعة دار المعارف النظامية •
- حيدر آباد • ١٣٢٩ هـ

- ياقوت الحموي •
- معجم البلدان • دار المستشرق • بيروت •
- معجم البلدان • دار صادر • بيروت • ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

- يوسف اليان سركيس •
- معجم المطبوعات العربية • مطبعة سركيس •
- مصر • ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - ج
التقديم	١ - ٢٤

الفصل الأول

الزمخشري : نشأته وحياته

اسمه ، كنيته ولقبه	١٦ - ٢٨
مولده	٢٨
أصله وأسرته	٢٨ - ٣١
شخصيته	٣١ - ٣٦
انصرافه من الزواج	٣٦ - ٣٩
جواره الأول لميت الله الحرام	٣٩ - ٤١
جواره الثاني	٤١ - ٤٣
معدة جواره	٤٣ - ٤٥
وفاته	٤٥ - ٤٦

الفصل الثاني

الزمخشري و اعتزال

نشأة المعتزلة	٤٨ - ٥٠
أصول عقيدة المعتزلة	٥٠ - ٥٢
الزمخشري والفكر المعتزلي	٥٢
قواعد مذهب الاعتزال وموقف الزمخشري منه	٥٢ - ٦٠

الموضوع	الصفحة
التوجيه	٥٢
الحمد	٥٤
المنزلة بين المنزلتين	٥٦
قول وأهل في الفريقين من أهل الجمل وصلين ٥٨ - ٦٠	
منهجهم في تأكيد فكرهم الاعتزالي	
وجه الزمخشري فيه	٦٠ - ٦٦
الزمخشري والطائفة المعتزلي	٦٦ - ٧٠
الفصل في الضوابط	
الزمخشري ومنزلة بين العلم والحكام	
علمه ومنزلة بين العلماء	٧٢ - ٧٣
شبهه	٧٣ - ٧٨
تميمه	٧٨ - ٨١
اجازاته	٨١ - ٨٣
بين العلماء والحكام	٨٣ - ٨٨
تراثه العلمي	٨٨ - ١٢٤
الفصل الرابع	
الزمخشري والنحوي	
مذهبه النحوي	١٢٦ - ١٢٨
ما وافق فيه البصريين	١٢٨ - ١٣٢
ما وافق فيه الكوفيين	١٣٢ - ١٣٤
موافقاته لبعض السابقين من النحاة	١٣٤ - ١٤٣
ما وافق أبو حيان فيه الزمخشري	١٤٣ - ١٥٠

الموضوع	الصفحة
ما خالف فيه أبو حيان الزمخشري	١٥٠ - ١٥٦
مؤيدون للزمخشري ضد أبي حيان	١٥٦ - ١٦٠
ما وافق ابن هشام فيه الزمخشري	١٦٠ - ١٦٣
ما تارض ابن هشام فيه الزمخشري	١٦٣ - ١٦٦
من آراء الزمخشري التي انفرد بها	١٦٧ - ١٧١

الفصل الخامس

منهج الزمخشري النحوي

الزمخشري وأصول النحوية	١٧٣ - ١٧٦
منهجه في التأليف النحوي	١٧٦ - ١٧٩
منهجه النحوي في الكشف	١٨٠ - ١٨٣
التجديد في منهجه النحوي	١٨٤ - ١٩٣
شواهد الزمخشري النحوية	١٩٤ - ٢١٢
خصائص أسلوبه	٢١٢ - ٢٢٣
مآخذ علمي الزمخشري	٢٢٣ - ٢٣٣
الخصائص	٢٣٤ - ٢٣٨
ملخص الرسالة	٢٣٨ - ٢٤٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٤٨ - ٢٦٢

تمت بإعانة الله